3 SEP 1984
UNIVERSITY
Blue 22

٤٣ شاقـــل

العـــــدد
ثالـث والخمسون
يلـــول ـ ١٩٨

٥٣

الكاتب

للثقافة الإنســـانية والتقدم

- الدعوة للوحدة الشاطة قائمة قبل المجلس الوطني الفلسطينـــي .
- من اجل ضمان دور فلسطيني فاعل في العمـل العربـي المشتـــرك .
- الحرب العراقية الايرانية الى ايـــــن .....؟
- الشيوعيون العراقيون والحرب العراقيـة الايرانيـــــة .
- الافق التاريخي للطبقة البرجوازية الصغيـــــرة .
- بعض قضايا الحركة النسائية في المناطـق المحتلـــة .
- تعزيز دعائم الدولة والتمايـز السياسي في بلدان الشـرق .
- السلطة المحلية في قرية كفـر نعمـــــة .
- ليالـي بيرزيـت
- البكائيات في ادبنـا الشعبـــي .

لا بَدِيل عَن تنفيذ اتفاق عَدَن

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المدير المسؤول

أسعد الأسعد

القدس

AL-KATEB

for human culture and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

هيئة التحرير

محمد البطراوي جميل السلحوت

بثام الصالحي محمود الشيخ

صالح زقوت عمر حمش

المسؤول الإداري : يحيى شقير

صف ومونتاج : جبير أبو خضرة

الاشتراكات :

بالبريد الجوي أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار

بلدان أخرى ٦٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر

المراسلات :

الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

- الدعوة للوحدة الشاملة تائمة قبل المجلس الوطني وبعده ٢

سياسة

- اسعد الاسعد
- لا بديل عن تنفيذ اتفاق عدن ٤
- ابو وديده
- من اجل ضمان دور فلسطيني فاعل في العمل العربي المشترك ٨
- صالح زقوت
- الحرب العراقية الايرانية الى اين ١٥

دراسات وابحاث

- سمير البرغوثي
- الافق التاريخي للطبقة البرجوازية الصغيرة ٢٦
- نظام عطايا
- السلطة المحلية في قرية كفر نعمة ٤٤
- حسن الحاج
- بعض قضايا الحركة النسائية في المناطق المحتلة ٥٨
- شاكر فريد حسن
- نظرات في قصص الكاتب الفلسطيني محمد نفاع ١١٢

وثائق

- نص المبادرة السوفييتية الجديدة للتسوية قضية الشرق الاوسط ٨٧

حوار

- الشيوعيون العراقيون والحرب العراقية الايرانية ٢١

تراث

- جميل السلحوت
- البكائيات في ادبنا الشعبي ٩١

مداخلات

- سالم صالح محمد ، عبدالقادر باجمال ، فاروق علي احمد
- الثورة الوطنية الديمقراطية والتجربة اليمنية ٧٠
- نوادري سيمونيا
- تعزيز دعائم الدولة والتمايز السياسي في بلدان الشرق الاوسط ٣٢

قصة

- محمد البطراوي
- ليالي ببرزيت لم تضئها اقمار ١١٩
- خريج
- من اجل تجاوز اخطاء "ليالي ببر زيت" ١٢٢
- محمد خليل عليان
- ساعة في قطار الزمن ٩٩
- ابراهيم الدقاق
- هل تذكرين يا راعية ٩٣
- ناجي ظاهر
- مجنون الاغنية ١٠٩

شعر

- عبد الحكيم سمارة
- صمت الريف ١١٧

شهريات

- محمد البطراوي
- رسائل وردود ١٢٥
- اصداء ثقافية ١٢٧

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

الدعوة للوحدة الشاملة

مع اقتراب الموعد المحدد لدورة المجلس الوطني السابعة عشرة، ترتدى الاشارة الى المحتوى الذى حققته اتفاقات عدن اهميةخاصة، فالدعوة لعقد المجلس هذه المرة تنطلق من روح هذه القرارات وبموافقة الاطراف الخمسة الموقعة على الاتفاق، وبعد اتاحة الفرصة كاملةولعدةاشهر من اجل انضمام باقي الفصائل الوطنية لاعداد جدول اعمال المجلس، وهذا يختلف كيفيا عن الاحاديث السابقة عن عقد المجلس بالاغلبية العدديةوليسالسياسية .

ومثلما لم يكن في اية فترة سابقة ، فقد عكس اتفاق عدن نجاحا في تجاوز اشكالات معقدة بمعزل عن التأثير المباشر لاطراف اليمين العربي وبالتنسيق الفعال مع حلفائه الثابتين ممثلين في اليمن والجزائـر.

كما عكس اتفاق عدن، حقيقة التوازن في التركيب الطبقي للقوى السياسية في الساحة الفلسطينية، مؤسسا بذلك دعائم اقوى من اجل توسيع الديموقراطية في هيئات منظمةالتحرير القيادية، واعتماد منهج جديد جماعي في العمل القيـــادى .

واذا ما كان الجوهر التنظيمي لاتفاقات عدن، بخطوطه الرئيسية يحتاج الى دعائم في التطبيق والممارسة العملية مما يستلزم اقراره رسميا والعمل به في هيئات منظمة التحرير وعلى رأسها المجلس الوطني، فان التوجه السياسي الذى اقرته اتفاقات عدن، تلقى بادرة ترحاب عملية هائلة في الدعوة السوفييتية لعقد مؤتمر دولي لحل القضية الفلسطينية، لتسهم

Digitized by Birzeit University Library

ـــــائمة قبل المجلس الوطني وبعده

بذلك في سلب فرص الامبريالية والرجعية لاعادة التلويح بمشاريع الحلول الامريكية والاستفادة من اية عوامل ضعف في م.ت.ف.

ان اتفاقية عدن والتي حظيت بترحاب شديد من جانب القوى الثورية العربية والعالمية، تفتح افاقا رحبة للاستفادة من المبادرة السوفييتية على الصعيد الدولي والعربي ،ويمكن للمجلس الوطني الفلسطيني ان يحدد من بنودها نقطة انطلاقة جديدة في النضال من اجل تحقيق اهداف النضال الوطني والتوجه من خلالها لتعزيز موقع المنظمة على الساحة الدولية والعربيـــــــة .

واذا ما لم تتمخض نتائج الحوار مع التحالف الوطني، حتى موعد انعقاد المجلس الى النتائج المرجوة في انضمام التحالف للحوار الشامل والمشاركة في اعمال المجلس، فان هذه النتيجة على سلبيتها لن تغلق باب الحوار والتنسيق الدائم حتى تتحقق الوحدة الشاملة في م.ت.ف. وهذا احد ابرز بنود اتفاق عدن، الجزائر، والى ان يتحقق ذلك فان السبيل الى علاقة القوى المختلفة ببعض يجب ان يرتبط بالحوار الديمقراطي فقط لان الاعتقاد بنجاعة اية سبل اخرى لن يقود الا الى الحاق المزيد من الاضرار بقضية النضال الوطنـــي .

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

لا بديل عن تنفيذ اتفاق عدن

أسعد الأسعد

لا تزال اتفاقية عدن ، والنضال من اجل تنفيذها بما في ذلك النضال من اجل ضم باقي الاطراف الفلسطينية الى الاتفاق التاريخي ، يشكل القضية المركزية بين كافة القضايا المطروحة على الساحة الفلسطينية ، اذ ان التوقيع على اتفاق عدن ، لا يعني شيئا اذا لم يعزز هذا التوقيع بالالتزام بما تم الاتفاق عليه ، وتطويره باتجاه تعزيز الوحدة الوطنية ، وبدون ذلك يصبح الاتفاق عديم الجدوى ولا قيمة لـــــه .

وبناء عليه ، فان التمسك بالقضايا التي تم الاتفاق عليها ضرورة يجب ان يفرضها الحرص على البحث عن نقاط الالتقاء ، وجسر الهوة وتقليل الخلافات ، اذ ان رؤيتنا للهدف الكبير يجب ان تدفعنا باتجاه الموضوعية في رؤية القضايا دون زيادة او مبالغة في حجمها سواء سلبا اويجابـــــا .

من هنا فاننا نرى في توجه بعض الصحف في المناطق المحتلة الى التطرف في تناول القضايا المختلف عليها ، واللغط الزائد فيها ، ليس له ما يبرره ، اذ اننا نرى ان مهمتنا الاساسية يجب ان تنصب باتجاه تعزيز ما تم الاتفاق عليه وتطويره وترجمته الى الواقع العملي ، فضمن الموازين القائمة ، لم يكن بالامكان الخروج بافضل مما تم التوقيع عليه في الجزائر واذا كان هناك من يعتقد بغير ذلك فهو مخطئ وواهم جدا .

وعليه فان استمرار قوى التحالف الوطني في معارضة اتفاق عدن لن يقود الا لتفويت فرصة تاريخية لاعادة الوحدة الى م.ت.ف ، وعلى اسس اكثر ديمقراطية وبالتالي اخراجها من حالة التمزق التي تعيشها .

Digitized by Birzeit University Library

غير ان الاتفاق ليس هدفا بحد ذاته ، بقدر ما هو قاعدة وأساس لبناء الهيكل الواحد وتحديد صورة مستقبل العمل الواحد لتحقيق اهداف النضال الوطني الفلسطيني .

من هنا فان التمسك بما تم الاتفاق عليه وتنفيذه ، يأتي على رأس اولويات النضال في المرحلة الراهنة ، وضمن ذلك يجب ان يكون تنفيذ البند المتعلق بعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الموعد الذي تم الاتفاق عليه ، وضمن الاسس التي اتفق عليها الجميع ، ومع ادراكنا بأن عقد المجلس الوطني ليس هدفا بحد ذاته ، انما نتيجة لما تم الاتفاق عليه ، وخطوة على طريق ارساء المبادئ التي تم الاتفاق عليها ، الا اننا نرى ان الدعوة لحوار بين كافة الاطراف لحل ما تبقى من قضايا مختلف عليها ، يجب ان لا يتوقف بأي حال من الاحـــــوال .

ان الرجعية العربية ، وأنظمة اليمين العربي ، تسعى جاهدة لتوسيع الخلافات القائمة بين مختلف الاطراف الفلسطينية ، وتجييرها لصالح موقفها المعادي ، ومع ادراكنا لحقيقة موقف هذه الانظمة ، وعدم استغرابنا له ، الا ان ما يلفت الانتباه ويدعو للاسف ، ما صدر عن بعض قادة التحالف الوطني في دمشق عقب انتهاء اجتماعات الجزائر وصدور البيان الختامي عن لقاءات التحالف الديمقراطي وممثلي اللجنة المركزية لحركة فتح ، مؤكدين ان الطريق لحل الخلافات الفلسطينية كانت وستظل الحوار الديمقراطي الجاد والمسؤول .

ان احدا من الفلسطينيين ممن يحرصون على وحدة منظمة التحرير ، ويناضل من اجل تجاوز وضعها الراهن لا يمكن ان يقف ضد عقد المجلس الوطني الفلسطيني ضمن الاسس والمبادئ التي اتفق عليها في عدن والجزائر والتي كانت بمثابة الخطوة الاولى على طريق تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينيـــــة .

كما ان محاولة البعض دفع مسار النقاش حول قرارات عدن والجزائر ، باتجاه تحديد الطرف المنتصر ، وتبيان نجاحات هذا الفريق او ذاك كما يريده البعض دون تقدير لمحتواه الاساسي ، فان النتيجة هي افقاد الاتفاق مغزاه التاريخي ، ان كل قائل بأن المنتصر الوحيد كان ابو عمار ، او التحالف الديمقراطي ، او فتح ابوعمار ... الخ ، مما يثار لن يجد جوابا شافيا ، ذلك ان هذه المسألة لم ترد في جدول اعمال عدن ، بل كان الوارد هو المحافظة على الانجازات الكفاحية للشعب الفلسطيني وعلى رأسها منظمته الشرعية ، مع عدم غياب حقيقة الصراع داخل الساحة الفلسطينية وطبيعة استمرارها ولكن في اطار اكثر تحديدا واقل ضررا على المسيرة الكفاحية لشعبنا ، ومن هنا جرت التضحية من جانب القوى ، باطروحات مختلفة كانت تعرضها قبل اللقاءات بالانطلاق من حقيقة موضوعية ، قائمة تتلخص في تركيب القوى المحركة لثورة التحرر الوطني ، وفي طابع الوزن النوعي الذي يمثله كل فصيل في الساحة الفلسطينية فضلا عن عدم الامكانية لاستبعاد بعض الفصائـل .

ان الموقف الفلسطيني ، يجب ان ينبع من المصلحة الوطنية وبالتالي ، يجب ان تتحدد المواقف بمنتهى الوضوح والثقة ، كما أن الموقف العام يجب ان يحدده الموقف من القضايا

Digitized by Birzeit University Library

الاساسية، وعلى رأسها القضية الوطنية للشعب الفلسطيني، من هنا تأتي اهمية التمسك بالمبادرة السوفييتية الجديدة المتعلقة بحل ازمة المنطقة ومن ضمنها الدعوة لانعقاد المؤتمر الدولي. هذه المبادرة التي جاءت سواء من حيث التوقيت والخلفية السياسية القائمة في المنطقة، وازمة الحلول المنفردة الاميركية التي وصلت جميعها الى طريق مسدود وازمة القوى الموالية لاميركا في المنطقة وأولئك الذين راهنوا على نتائج الانتخابات الاسرائيلية ونجاح حزب العمل. وكذلك من حيث انها، (اى المبادرة السوفياتية) قد اشارت الى طريق حل ازمة المنطقة وطريق تحقيق الاهداف الفلسطينية كما حددتها قرارات قمة فاس بخصوص القضية الفلسطينية - وهو الطريق الوحيد الممكن والصحيح في الوضع الراهن عربيا ودوليا وهو بالتحديد طريق المؤتمر الدولـــي.

وضمن ذلك وفي اطاره، يجب ان تنصب كافة الجهود في هذه المرحلة، ان كافة المخلصين للقضية الفلسطينية، حريصون على حل الخلافات الفلسطينية قبل الذهاب الى المجلس الوطني، كما ان تذليل العقبات التي تحول دون تصفية الاجواء بين سوريا ومنظمة فتح، تظل من القضايا الاساسية التي يجب تحقيقها، والاسراع في انجازها، ولعل الجهود التي تبذلها حكومة اليمن الديمقراطي والجزائر والاتحاد السوفياتي تأتي ضمن هذا الفهم والحرص المشترك على اهمية تنقية الاجواء وتصفية الخلافات بين سوريا ومنظمة فتح، وكل ذلك، يصب في نفس الاتجاه، الساعي الى اقامة جبهة قوية للخروج من الازمة الحالية وحتى يصار بالامكان مواجهة المخاطر الكبيرة المحدقة، والتي تتعاظم يوما بعد يوم.

ان الدوائر الامبريالية واعوانها تسعى جاهدة لخلق ذرائع من اجل اجهاض اى تحرك لحل قضية الشرق الاوسط محاولة الالتفاف على اية مبادرة جديدة تتعارض والمصالح الامبريالية في المنطقة، من ذلك، تلغيم البحر الاحمر والتذرع لادخال الاساطيل الغربية للمياه العربية لاقامة احلاف رجعية، ترتبط بحكام البيت الابيض، وتضع المنطقة العربية تحت سيطرة الدول الامبريالية بشكل قاطع، برعاية النظام المصرى الذى يقف على رأس المنفذين لهذه السياسة، وبمباركة حكام اسرائيل وتمشيا مع الاهداف المشتركة لكافة اطراف الجوقـــة.

ان المخاطر الكبيرة، هذه وغيرها، تدفعنا الى تعزيز الوحدة الوطنية، والبحث عن القضايا الاساسية المشتركة - وهي كثيرة - لتطويرها وترسيخها، وتذليل كافة العقبات امام تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في عدن، وحتى يتم ذلك، فان السبيل لتحقيقه يتطلب الترفع عن النهج الذى سلكته بعض الصحف في المناطق المحتلة، مدركين حساسية المرحلة، ودقتها الامر الذى يتطلب النظر بموضوعية الى كافة القضايا المعلقة.

ان حرصنا على تحقيق الوحدة الوطنية يجب ان لا يدفعنا الى فقدان الصبر والثقة بامكانية التغلب على الصعوبات كما ان تعثر الحوار عند قضية من القضايا، يجب ان يدفعنا الى هدم ما تم بناؤه، ونقض ما تم الاتفاق عليه، ولعل تطلع الجماهير الفلسطينية، وكل المخلصين الى ارساء وتعزيز ما

Digitized by Birzeit University Library

تم الاتفاق عليه ، يجب ان يكون دافعا للعمل على تحقيقه ليس فقط لانه الخيار الوحيد ، بل لتفويت الفرص على الاطراف الساعية الى عرقلة ما تم الاتفاق عليه في عدن ،والعمل باتجاه اجهاض الاتفاق ، وخلق بدائل تتفق والمصالح الرجعية في العالم العربي ، الموظفة لخدمة الامبريالية ومخططاتها .

ان سعي اليمين العربي لاحباط اتفاق عدن ، قد يدفع انظمة اليمين الى الدعوة الى عقد مو تمر قمة عربية للخروج بصيغة بديلة ، او التحرك باتجاه اتفاقات جانبية لن تؤدي الا الى اضاعة الحق العربي ،وتمييع القضية برمتها واغراق المنطقة بحالة من الترهل والاحباط تكون عواقبها وخيمة. من هنا نرى انه ما من بديل غير تعزيز اتفاقية عدن والتمسك بها وتنفيذ بنودها والاستمرار في تعميق الحوار مع كل الاطراف للاتفاق فذهابنا الى المجلس الوطني بأقل الخلافات سوف يعزز موقفنا ، ويساعدنا على الخروج اكثر قوة واشد صلابة .

Digitized by Birzeit University Library

من أجل ضمان دور فلسطيني فاعل في العمل العربي المشترك

بقلم : أبو وديدة

تميز الوضع في منطقة الشرق الاوسط، وفي الشهور الاخيرة، بتسارع حركة الاحداث فيه. ونجم عن هذا التسارع العديد من المتغيرات التي يتوجب على المراقب السياسي الانتباه لها ودراسة تأثيراتها المتبادلة على سير القضية كلها . ولعل آخر هذه المتغيرات ما عرف بقضية تلغيم البحر الاحمر . وهذه القضية طرحت نتيجة فورية مؤداها خسران المراهنة على احتمالات ابتعاد النظام المصرى عن سياسات كامب ديفيد، وبطلان اسس هذا الرهان المعتمد على محاولات زخرفية تجميلية محدودة نفذها النظام في داخل مصر ومع جيرانه .

فدعوة النظام المصرى لاساطيل حلف الاطلسي بتكثيف حشودها في البحر الاحمر، تحت غطاء البحث عن الالغام وتحديد مصدرها، وتنقية مياه البحر الاحمر منها، وما رافق الدعوة من اتهامات جزافية لايران وليبيا، ثم التركيز على ليبيا، واستبعاد غير مبرر، مع سيل اعلامي بقصد تعمية شعوب المنطقة عن الفاعل الحقيقي، للامبريالية ولاءعوانها، صاحبة المصلحةفي توتير الوضع في المنطقة، لاقناع الانظمة الرجعية العربية، بطلب الحماية الامريكية الاطلسية، والانتظام في احلاف تحت المظلة الامريكية الاطلسية للدفاع عن النفس، هذه وغيرها شكلت مؤشراتجديدة عن استعداد النظام المصرى الثابت لخدمة السياسة الامريكية في اطار كامب ديفيد .

وجاءت " المبادرة" "المصرية المتكررة بدعوة البلدان العربية المطلة على البحر الاحمر لعقد اجتماع مكرس لبحث أمن البحر الاحمر بمشاركة البلدان المستفيدة من الملاحة فيه ، باستثناء الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية، لتوضح معالم المؤامرة الجديدة المتمثلة بمحاولة تسلل مشروع ريغان من نافذة البحر الاحمر بعد ان فشل في الدخول للمنطقة من بوابة لبنان ومن نافذة الخليج بعدهـــا .

Digitized by Birzeit University Library

واذا كان لمصر هدف خاص يتمثل في محاولة العودة للصف العربي من هذا الباب بعد ان فشلت محاولةعودتها من باب الحل الاميركي للقضية الفلسطينية، بعد المراهنة الفلسطينية الاردنية واحياء البرلمان وموضوعات التمثيل الاردني والانابةالكونفدرالية، وما رافقها من دعوات بضرورة عودة مصر للصف العربي استعداداًالعملية "صنع السلام"، فانها ايضا كررت محاولاتها لاثبات اهليتها لدور اكثر تقدما من دورها الحالي. ومثل هذه المحاولة كما هو معروف لم يتوقف النظام المصرى عن تأديتها في الماضي، وان كانت تتميز هذه المرة بصفتهـــا العمليـــــة .

ومع ذلك يمكن القول، في الاطار السابق، ان الجديد في الموضوع هو علو صوت جرس التنبيه لاولئك الذين فكروا، كما يدلل حصر حوارهم مع الذات في التقدم لحل المشاكل الداخلية، بأن الامبريالية، بعد خسارتها المهينة في لبنان، وفشل محاولة عودتها من نافذة الخليج، قد توقفت عن حياكةالمؤامرات في المنطقة. وما يمكن التحذير منه هو ان احدا لا يحيطه فراغ او جدران تعزله او تحميه من هجمات الاعداء الخارجيين .

ولكن الامر الاكثر اهمية هو ملاحظة ان الامبريالية تحاول باستمرار استغلال ما تسميه بالتهديد الخارجي لتكثيف وجودها في المنطقة، فما من ازمة وقعت الا وتزايد وجودها العسكرى بالاساطيل والقواعد الثابتة ـ دييغو غارسيا، مصيرة العمانية، البحرين ..الخ او قواعد التسهيلات كرأس بناس في مصر ومواقع في السعودية والصومال ... ، وذلك يترافق مع تكثيف ضغوطها لجمع البلدان العربية في احلاف، او حلف شامل، تحـــت زعامتهـــــا .

ومنذ مشروع ايزنهاور وحتى جولة الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركي السابق حاولت الامبريالية انشاء احلاف تحت زعامتها وتحت يافطةمواجهة خطر سوفييتي اوشيوعي مزعوم. ولقد تجرأت انظمة صديقة لها على المجاهرة بعدم وجود مثل هذا الخطر ـ بعض الدول الخليجية مثلا ـ وبناء على ذلكعدم خوفها من احتمالات وقوعه. وفي مسألتي قصف الناقلات النفطية في الخليج وتلغيم البحر الاحمر كان واضحا ان الامبريالية غيرت تكتيكها من التلويح بخطر وهمي الى ايجاد خطر ملموس تحسه زعامات الانظمة العربية الرجعية و وتضطر بسببه للجوء للامبريالية الامريكية طلبا للحماية والانتظام في منظومة دفاعية او ما شابه تحت الزعامة الامريكية الاطلسية. وقصة تلغيم البحر الاحمر تشير مجددا الى محافظة الامبريالية على هدف دمج اسرائيل في اطار الحلف الجديـــد .

واذا كانت هزيمة امريكا المهينة في لبنان والغاء اتفاقية ١٧ ايار وباختصار افشال تطبيق مشروع ريغان عبر بوابة لبنان، ثم تحرج البلدان الخليجية من قبول الحماية الامريكية لناقلاتها النفطية ومن ثم افشال تطبيق مشروع ريغان مجددا من نافذة الخليج، اذا كانت هذه قد شكلت الارضية والحافز للمؤامرة الجديدة فلم يفت فطنة المراقبين ملاحظة ان المؤامرة الجديدة جاءت في عقبي المبادرة السوفييتية الجديدة .

Digitized by Birzeit University Library

ان المبادرة السوفييتية، فضلا عن انها زودت الشعوب العربية وحركاتها واحزابها الوطنية التقدمية، وانظمتها المتصدية للامبريالية بسلاح ماض لمحاصرة حلول استسلامية انفرادية، فانها قدمت ايضا دليلا هاما على وجود امكانات فعلية لحل قضية الشرق الاوسط لصالح شعوبها وضد اطماع التوسع والعدوان واستلاب ثروات الشعوب واستقلالهـــا .

والمبادرة وهي تؤكد ان الامبريالية لم تعد صاحبة اليد الطولى، وان ميزان القوى يميل لصالح الشعوب العربية وتصديها لمخططات الامبريالية، تزود الشعوب العربية وفصائل وانظمة الحكم الوطنية بحوافز معنوية اضافية للتقدم على طريق الانتصار .

فالمبادرة بوضوح بنودها وضعت الإنظمة العربية مكشوفة امام شعوبها . التزام سوفييتي ثابت ودائم بمناصرة ودعم حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة والعادلة في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة على اساس سلام ثابت وطيد ومضمون ، وضمان،استقلال وسيادة كاملة للبلدان العربية الاخرى، مقابل انكار امريكي واضح لحقوق الشعب الفلسطيني وانحياز كامل لصالح اطماع اسرائيل التوسعية وتغطية ودعم دائم لافعالها العدوانيـــة .

وباكتساب المبادرة السوفييتية لمزيد من الدعم والتأييد الشعبي العربي والرسمي والشعبي العالمي، صار يتسم بالصعوبة الكبيرة جدا توجه اى نظام عربي نحو الحل الامريكي، او معارضته للمبادرة السوفييتة الداعية لعقد مؤتمر دولي باشتراك جميع الاطراف المعنية، ومنظمة التحرير طبعا في مقدمتها على قدم المساواة للبحث في حل لقضية الشرق الاوسط، قدمت المبادرة السوفييتية اسسا وبنودا في غاية الوضوح لهـــا .

والامبريالية الامريكية واعوانها في المنطقة تدرك جيدا ان نجاح المبادرة بالعمل العربي الجاد، والفلسطيني خصوصا، لعقد المو تمر برغم الامبريالية الامريكية على التراجع وقبول المشاركة فيه. وفي ظل الوضع الدولي الراهن، وبمزيد من تعديل ميزان قوى المنطقة لصالح الشعوب العربية يمكن انتزاع مكاسب هامة لصالح الشعب الفلسطيني واخوته الشعوب العربية.

وفي هذا الاطار يمكن رؤية الجهد الذى تبذله وسائل اعلام الامبريالية واتباعها في العالم والمنطقة باستغلال مسألة تلغيم البحر الاحمر للتعتيم على المبادرة السوفييتية، ولاشغال الشعوب العربية وقواها عن الانتظام في اطار جهد منسق لفرضها، كمقدمة لاسدال ستار النسيان عليها .. كما حدث مع البيان السوفييتي الامريكي بين غروميكو وفانس ومبادرة الرئيس السوفييتي بريجنيف .

ولقد بات واضحا للمراقبين السياسيين ان جملة التطورات السياسية في منطقتنا هيأت للانظمة والحركات المتصدية لمخططات الامبريالية فرصة مسك زمام قيادة العمل العربي من جديد . فاضافة لما سبق وبعد محاصرة الانظمة الصديقة لامريكا، باصطدامها بالجدار الصلد للرفض الامريكي بالضغط على اسرائيل وبعد احجامها حتى عن تقديم وعود شفوية باعطاء هذه الانظمة شيئا في الحل المقبل، لاستخدامه لاغراض الدعاية الداخلية، وبالتالي وصول الحل الامريكي الى طريق مسدود، وبما اعقبه من فشل المراهنات على حل يقدمه حزب العمل

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي وبرنامجه اصلاءبدون التعقيدات الجديدة بعد الانتخابات لا يصلح اساسا للتفاوض، ومن ثم انتقال هذه الانظمة الى المعالنة بسحب الثقة من "الشريك الكامل" ، واعلان عدم صلاحيته "كحكم نزيه" ... الخ ، والى المطالبة بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه جميع الاطراف بمن فيهم الدائمين في مجلس الامن.تصريحات الملك حسين – بعد كل هذا وبعد نجاح المنهج الكفاحي في لبنان وفي انجاز اتفاق عدن –الجزائر للوحدة الوطنية الفلسطينية، صارت دعوة الانظمةالعربية الى الرجوع الى نهج المعارضة والتصدى لمخططات الامبريالية امرا ممكنا ومحتملا.

واذا كان البعض لا يهدف الى تعقيد الامور، والوصول الى النتائج الاساسية والهامة فانه ببساطة يستطيع التوجه لانظمة الصداقة الامريكية بالقول : ها انتم قد جربتم طريق الحل الامريكي وفشلتم ولذلك ندعوكم للعودة الى طريقنـــا .

ان قيام تضامن عربي على الاساس المذكور امر ممكن ومحتمل.وغير بعيدة عنه محاولات التفاهم وتحسين الاجواء التي تجرى بين هذا القطر وذاك. لكن المسألة الاهم ،اذا ما حدث ذلك ، في الاستفادة من تجارب وعبر الماضـــي .

فلقد تشكلت بعد انحراف السادات جبهة للصمود والتصدى.ووضعت برنامجا كان هو البديل لنهج السادات. وكان مؤملا حينما استجابت لدعوة قمة بغداد ان تناضل هناك لاقرار برنامجها او برنامج قريب منه، يقوم التضامن العربي على اساسه للتصدى لنهج السادات، وان تتمسك ، استنادا لاهليتها وبقوة بدورها القيادي. لكنها بدلان تفعل ذلك تخلت عن برنامجها ودورها لصالح برنامج قمة بغداد والقيادة التقليديـــة .....

ولكي يقوم بدورها الآن فانها ببساطة يجب ان تكون موحدة الصف ثابتة الخطى مسلحة ببرنامج سياسي وعملي مؤيد جماهيريا ودوليا . ومن بدهيات الامور ان تكون اعادة وحدة التحالف السوري – الفلسطيني – الوطني اللبناني حجر الزاوية لصف وطني موحد ثابت الخطـــى

وعلى الصعيد الفلسطيني لا يفوت اى مراقب تقدير اهمية الدور المنوط بمنظمة التحرير والحركة الوطنية الفلسطينية.انها ولاسباب عديدة تملك مفاتيح القيام بدور متقدم وموجه ايضا .

وعلى ضوء ذلك تتجلى الاهمية الفريدة لاتفاق عدن – الجزائر، وتقييم الانجاز الكبير الذى تحقق بتوقيعه اسلوبا ومضمونا . والانجاز الاكبر المنتظر اذا ما وضع موضع التطبيـــق .

فمن حيث المضمون قدم اتفاق عدن – الجزائر اساسا موضوعيا لدور فلسطيني مستقل ومن ثم بارز ، مؤثر وفعال، في صياغة توجهات وبرنامج عمل المستقبل . فالاتفاق قدم برنامجا سياسيا كفاحيا واضحا ، وبرنامجا تنظيميا مميزا ايضـــا .

Digitized by Birzeit University Library

والاتفاق كان نجاحا في الاختيار لتطبيق اسلوب الحوار الديمقراطي . وما لم يعط حقه من التركيز والاهتمام حتى الان ، حقيقة توصل الاطراف المتحاورة الى اتفاقها بارادتها وفي مواجهة الضغوط عليها من الخارج . والاتفاق لذلك كان ثمرة استقلالية فعلية للحوار والعمل الفلسطيني والارادة الفلسطينية ويعزز ذلك ، ولا ينال منه ، المساعدة النزيهة التي قدمها الاشقاء والاصدقاء في اليمن الديمقراطي والجزائر والاتحاد السوفييتي وغيرهم .

ولذلك ليس تضخيما للامور . كما يقول البعض ، وضع مسألة الاخلاص لاتفاق عدن ـ الجزائر والحرص على تطبيقه كمعيار لصدق الالتزام باستقلالية العمل الفلسطيني واستقلالية الارادة والقرار والسياسة والادارة ... الخ . فالوحدة على اساس هذا الاتفاق هي ضمانة اكيدة وثابتة لدور فلسطيني مستقل ، مؤثر وفعال ، في جبهة العمل العربي المقبلة ، وفي جبهة الصمود والتصدى السورية ـ الفلسطينية ـ اللبنانية وحلفائها الاخرين ، اليمن الديمقراطي الجزائر . الخ .

ان اتفاق عدن ـ الجزائر يحمل عناصر قوة لا يمكن تجاهلها او تحديها . وتجربة الشهور القليلة الماضية تشير الى ان احدا من غير الراغبين او المعارضين لاتمام الوحدة الفلسطينية من خارج الفلسطينيين لم يجرؤ على مهاجمة او نقد او معارضة اتفاق عدن ـ الجزائر . فالاتفاق يحوز على الشرعية باستناده الى مقررات الدورة ١٦ للمؤتمر الوطني الفلسطيني في الجزائر والتي شاركت جميع الفصائل الفلسطينية في نقاشها وصياغتها . وهو يحظى بتأييد جماهيري فلسطيني واسع جدا ويحظى بدعم وتأييد عربي وطني وعالمي واسع ومؤثر ايضا .

ذلك لا يلغي حقيقة ان الاتفاق لم يحقق كل مطالب هذا الفصيل او ذاك . ولم يتم الاتفاق على كل النقاط الخلافية المطروحة . وهو ايضا اساس ومدخل لحوار وطني شامل . ولكن يمكن القول ان ما تحقق هو افضل ما يمكن الحصول عليه في ظل تعقيدات الوضع الفلسطيني الراهن . ونقاط الخلاف يمكن الاستمرار في الحوار حولها او طرحها في مواقع اخرى كالمجلس الوطني الفلسطيني القادم مثلا . وعليه فان رفض الاتفاق استنادا لانه لم يقدم حلا لمطلب معين لاحد الفصائل اولعدة منها امر لا يتسم بالحكمة السياسية .

ولا يمكن اغفال حقيقة ان اوساطا ممن راهنوا على الحل الامريكي ولم يعودوا عن مراهناتهم ، مثل اللوبي الاردني والسعودي والامريكي .... الخ لم يقبلوا باتفاق عدن . وهم يعلمون ويتحينون الفرص للانقضاض عليه ، واشد ما يحتاجون اليه هو الوقت . واحباط الاتفاق امر ممكن خصوصا اذا ما استمرت عرقلة اجراء الحوار الشامل ، ومن ثم تطبيق الاتفاق ، على امل اضعاف ثقة الجماهير واحباط اقسام منها ، او صرف اهتمام اخرين ... الخ .

وليس اليمين الفلسطيني ممن لا زال مرتبطا بالحل الامريكي كأمثال فريح ، هو وحده من يشكل الخطر على الاتفاق ، فاليسار المغامر بتوسيعه شقة الخلافات ، ورفضه للحوار الشامل على

Digitized by Birzeit University Library

اساس ان الاتفاق لم يُقصِ ياسر عرفات عن رئاسة المنظمة ،بقدم من حيث يدرى او لا يدرى خدمة جليلة لاعداء وحدة الشعب الفلسطيني ،فلسطينيين كانوا ام غيرهم . واستناد هذا اليسار في رفضه للاتفاق لعدم طمأنينته لنوايا اليمين ، والتدليل بتصريحات من هذا المسؤول او ذاك تصب في نفس الطاحونة .

ان نجاح اسلوب الحوار الديمقراطي في حل الخلافات ولجم التصدعات واعادة الوحدة وبنفس الدرجة من الاهمية تثبيت استقلالية العمل والقرار والارادة .. الخ ، قد بيّن بوضوح ودقة متناهيين صحة الافكار القائلة بأن منظمة التحرير ليست نظاما عربيا يمكن الاطاحة به بانقلاب عسكرى وتعيين قيادة جديدة . كما بينت التجربة ايضا خطأ التوجهات القائلة بقدرة فصيل او فصائل على فرض قيادة لفصيل آخر. فالفصائل هي حركات ممثلة لطبقات وفئات اجتماعية هي صاحبة الحق الوحيد في اختيار او تغيير قياداتها. والوحدة الوطنية تتم بتجاوز او تجاهل هذه الطبقة او تلك خصوصا اذا كانت بهذا العرض والاتساع تمثله فتح مثـــلا .

لكن معارضة اتفاق عدن والسعي لاحباط تطبيقه لا يقتصر على اطراف فلسطينية فقط. فنجاح الحوار الديمقراطي في وضع واقرار الاتفاق لم يجلب الفرح لانظمة عربية عديدة . فقد قدم برهانا عمليا على اهمية مسألة الافراج عن الديمقراطية والتوسع في تطبيقها .وهو مثال يحتذى مطروح الان بقوة امام الشعوب العربية وحركاتها التحررية. والشيء المهم ان الجانب التنظيمي للاتفاق اجرى تعديلا على بنية الهيئات ، القيادية للمنظمة، بحيث وضع ضوابط للحد من الفردية والارتجال ، وطور تمثيل الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة بشكل اكثر ايجابية ، وبالتالي فان هذا يعني منظمة تحرير اكثر ديمقراطيـــة .

ان هذا مثال غير مريح للانظمة العربية ولاعداء الشعوب العربية ايضا . ومن المنطقي ان تعمل على منع تطبيقه . خصوصا وهي تعرف انه على هذا النحو يضمن دورا اكثر استقلالية لمنظمة التحرير واكثر فاعلية في العمل العربي المشترك .

ومن المعروف ان الانظمة العربية حرصت في الماضي على تشكيل القيادة الفلسطينية ، من خلال تدخلها المباشر وغير المباشر معا ، وعلى صورتها . ولكي يكون لكل منها موقع نفوذ فيها . هكذا كان ابان تشكيل الهيئة العربية العليا وأول منظمة للتحرير والتي دعا لتشكيلها مؤتمر القمة العربي الاول. وعلى هذا المنوال تم السير فيما بعد، وحتى بعد الاعتراف بالمنظمة ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجـــده .

والمتتبع للاحداث لا بد يلاحظ ان اصابع الانظمة العربية لعبت جيدا في تأجيج الصراعات والخلافات، وان جهودا بذلت لمنع حصر الخلافات وتطويقها . ولعل ابرز الوقائع ما حدث قبل عام ٧٦، العام الذى شهد مؤتمر المصالحة العربية الذى وصف بأنه اسرع مؤتمر للمصالحة شهدته الساحة السياسية العربية وغير العربية . لقد تمت في عقبيها مصالحة فلسطينية ابقت كل شيء كما كان .والاهم ظلت المنظمة ببرنامج ومنهج يتفقان مع المتفق عليه عربيـــا .

Digitized by Birzeit University Library

ولذلك يصبح مهما جدا الانتباه الى سعي انظمة عربية الى تأخير الاتفاق الفلسطيني حتى نضوج المتغيرات العربيـــــــة .

فليس من المستبعد كما علمتنا التجارب ، ان تصل محاولات تلطيف الاجواء الى مصالحة عربية. ومن شأن ذلك إن حدث قبل اكمال الوحدة الفلسطينية ، ان تفرض على الفلسطينيين مصالحة مماثلة. والاطراف المعارضة الان لاكمال الحوار الشامل وعقد المجلس الوطني ، اى وضع اتفاق عدن موضع التطبيق ، تعترف بعدم قدرتها على مجابهة مصالحة من هذا النوع. بل وقبولها بمثل هذه المصالحة التي ستطيح بكل الاصلاحات التنظيمية والسياسية التي تم التوصل اليها . كما ستقبل المعارضة ببرنامج سياسي يتفق مع برنامج المصالحة العربية ، اى تجريد منظمة التحرير من برنامجها الكفاحي ومن ثم دورها المطلوب في صياغة وتوجيه وجهة العمل الفلسطينـي والعربـي المقبـــــل .

هكذا يمكن بالاستناد الى ما سبق التوصل الى استنتاج بأن المهمة التي تحظى بالاولوية المطلقة فلسطينيا هي وضع اتفاق عدن ـ الجزائر موضع التطبيق بتخطي كل المعوقات . واذا كان مؤملا فتح الابواب امام الحوار الشامل والسير فيه الى نهايته المنشودة قبل انعقاد المجلس الوطني الفلسطينـي ، فان وضع الاتفاق موضع التطبيق وحتى قبل اكمال الحوار الشامل لا يعني اغلاق الابواب امامه فالابواب ستبقى دائما مفتوحة وامكانية الحوار والتوصل للنتائج المرجوة ستظل قائمـة وفي اى وقـــت .

Digitized by Birzeit University Library

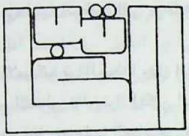

الحرب العراقية ـ الايرانية الى أين ... ؟!

بقلم : صالح زقوت

لا تزال الحرب الايرانية العراقية مستمرة في الاشتعال منهية عامها الرابع ومبتدئة عاما جديدا ولا تلوح في الافق بوادر ايقاف هذه الحرب التي حصدت ارواح عشرات الالاف من الجنود والمدنيين ودمرت طاقات الشعبين الجارين الاقتصادية والعسكرية، وخربت المدن والقرى على جانبي الحدود، ولا يزال حكام البلدين ينفذون اشكالا مختلفة للحرب فمن حرب الحدود التي يزج فيها بالالاف من الجنود، يقف على جانبي الحدود ٧٥٠ الف جندي عراقي وايراني، الى حرب المدن وحرب المدمرات، وها هي حرب الالغام تدمر البواخر الناقلة للنفط وغيرها ، هذه الحرب المجنونه والتي تتناقض مع مصالح الشعبين الجارين والتي في مجملها تخدم مصالح الامبريالية والرجعية في المنطقة، ما أسبابها ؟ وما هي دوافعها ؟ وما السبيل للخروج من اتونها ؟ اسئلة تدور على السنة المواطن العربي والايرانـــي .

قبل الاجابة على هذه الاسئلة لا بد من العودة الى الوراء الى الفترة التي انتصرت فيها الثورة الايرانية وكنست نظام الشاه الرجعي الموالي للامبريالية . في شباط ١٩٧٩ اسقطت جماهير الشعب الايراني نظام شاه ايران العسكري القمعي البربري وعرف العالم هذه الثورة بالثورة الاسلامية نظرا لان قادة هذه الثورة من رجال الدين والأئمة الايرانيين " الآيات" فضمن الظروف الخاصة لتطور الثورة الايرانية وبسبب القمع الرهيب الذي مارسه نظام الشاه المخلوع وبوليسه السافاك ضد القوى اليسارية والديمقراطية الايرانية وعلى رأسها حزب توده بعد ان سقطت حكومة مصدق الوطنية في اوائل الخمسينات، حرم الشعب الايراني من قيادة تقدمية يسارية وتهيأت الظروف لرجال الدين من الأئمة الشيعة لقيادة الثورة التي نضجت ظروفها الموضوعية في اواخر السبعينات وعندما قيمت قوى السلام والتقدم والاشتراكية الثورة الايرانية الاسلامية لم تقيمها من خلال قادتها وانما من خلال عوامل اهمها :

Digitized by Birzeit University Library

١) دور الجماهير الشعبية في الثورة فقد كان حجم الجماهير الشعبية المشاركة في المظاهرات ضد نظام الشاه واسعا وكثيفا بحيث تذكرنا بحجم الجماهير التي شاركت في الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وحجم الجماهير وخروجها من الركود الى العمل الثورى وبهذا الحجم يشكل عامل امان لتطور الثورة وانتقالها من مرحلتها الوطنية الى مرحلة ارقى وهي المرحلة الاشتراكية .

٢) حطمت الثورة الايرانية اكبر قاعدة عسكرية للامبريالية الامريكية في المنطقة وهي القاعدة التي كانت واشنطن تخطط لها وتزودها بالمال والسلاح المتطور والخبراء لتكون اداتها في ضرب حركة التحرر الوطني في المنطقة وخصوصا بعد فشل تدخلها المباشر في فيتنام وهزيمتها النكراء امام جيش التحرير الوطني الفيتنامي .وقد بدا دور النظام الشاهنشاهي في تدخله المباشر في عُمان لتصفية الثورة الشعبية المسلحة التي كانت تقودها الجبهة الشعبية لتحرير عمان من الحكم الملكي المدعوم بالاستعمار البريطاني " (١)

وتم الاتفاق البريطاني الامريكي الشاهنشاهي على ضرورة قيام الشاه بدوره العسكرى في مواجهة الثورة العمانية المسلحة وعلى ضوء هذا الاتفاق ارسل شاه ايران وحدات من قواته المسلحة الى منطقة القتال في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٣ شاركت في الحرب الدائرة في منطقة ظفار " . وقبل ذلك احتل نظام الشاه الجزر العمانية الثلاث طنب الكبرى ،طنب الصغرى ، وأبو موسى من مدخل الخليج العربي يتحكم في مداخل الخليج وهي الجزر التي تذرع نظام صدام بها لاشعال فتيل الحرب المجنونه التي فجرها ضد الثورة الايرانية الفتية .

٣) ان خطورة القاعدة التي أنشأها نظام الشاه بالتعاون مع امريكا لا تكمن فقط في كونها قاعدة لضرب حركات التحرر وتصفيتها بل كانت ايران في عهده اكبر قاعدة للتجسس ضد الاتحاد السوفياتي، فقد نصبت فيها امريكا الرادارات وأجهزة التصنت الالكترونية الحديثة لالتقاط المعلومات عن السوفييت لصالح المخابرات المركزية .

٤) ان هذه الثورة اثبتت ان الجماهير الشعبية العزلاء اذا أحسن تنظيمها يمكنها ان تسقط وتحطم اعتى النظم الرجعية وأكثرها جبروتا وتسليحا .

٥) موقف الثورة الايرانية وانحيازها الى جانب حركة التحرر الوطني وخصوصا الفلسطينية فقد اغلقت الثورة الايرانية سفارة اسرائيل وفتحت ممثلية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومنعت تصدير البترول لاسرائيل وقفلت ايران في وجه البضاعة الاسرائيلية والتي كانت تشكل ايران سوقا رائجة لصناعة اسرائيل وتجارتها .

لهذه الاسباب فزعت امبريالية الولايات المتحدة والرجعية المحلية من الثورة الايرانية وبدأت تحيك المؤامرات بالتعاون مع الرجعية المحلية ضد هذه الثورة الشعبية الفتية لقد كان يخيفها توطد الثورة وتحويلها الى ثورة اشتراكية لقد كان يذعرها تفجر مشابه للثورة الايرانية في السعودية ودول الخليج ولهذا بدأت تعمل بكافة السبل والاساليب لضرب هذه الثورة وحصرها وتصفيتها،سواء من الداخل أو حتى بتصفيتها بالتدخل المباشر ان امكن أو

Digitized by Birzeit University Library

بالاعتماد على النظم العميلة الرجعية المجاورة لايـــران .

لقد وجدت الامبريالية الامريكية ضالتها في نظام القتلة في بغداد فهو المؤهل للقيام بهذا الدور الاجرامي التآمري على الثورة الايرانية الفتية، وبالفعل ونتيجة للظروف الداخلية التي كان يمر بها نظام صدام شن حربه القذرة ضد الثورة واجتاح الجيش العراقي الاراضي الايرانية في ايلول ١٩٨٠ بعد اقل من عامين من انتصار الثورة الاسلامية وفي ظروف الصراع الداخلي للثورة بين القوى اليمينية واليسارية على قيادة الثورة فقد كان الهدف هو ترجيح كافة الشروط لتستولي القوى اليمينية على السلطة في ايران او خلق جو مريح للامبريالية الامريكية للتدخل في شئون المنطقة .

لقد ادعى النظام العراقي ان حربه هي حرب تحررية هدفها تحرير الجزر الثلاث طنب الكبرى، وطنب الصغرى ، وأبو موسى ، وهي الجزر التي احتلها شاه ايران في اوائل السبعينات وادعى انه يريد ارجاع منطقة محاذية لشط العرب . ولكن ولماذا في هذا الوقت بالذات يفجر نظام صدام الفاشي الحرب وضد الثورة !! ولماذا لم يحاول ذلك في عهد الشاه المخلوع ؟؟!! . ان الاهداف من الحرب واضحة ومكشوفة مهما حاول نظام القتلة اخفاءها تحت دعاوى قومية او تحررية وهو التآمر على الثورة الايرانية ووضع المصاعب في طريقها وحرفها عن مسيرتها (٢)" فان الامبريالية والرجعية العربية التي شجعت ودفعت نظام صدام الفاشي الى اشعالها ومن ثم غذتها بالمليارات من الدولارات والاسلحة والدعم المتعدد الوجوه من اجل ادامتها لاطول فترة ممكنة بهدف تدمير قدرات البلدين الجارين وتهيئة الاجواء لتنامي نفوذ القوى الرجعية واليمينية وتصعيد سياسة القمع ضد القوى التقدميـة في البلديـــن " .

ويمكن ادراك مغزى حرب صدام القذرة في موقف القوى الامبريالية والرجعية ودورها وانحيازهـــا :ـ

أولا :ـ (٣) لقد اشارت صحيفة الواشنطن بوست في عددها الصادر يوم الاول من كانون ثاني ١٩٨٤ بأن هزيمة نظام صدام في الحرب امر يناقض المصالح الامريكية في المنطقة، كما اشارت صحيفة الجزيرة السعودية في ١٩٨٤/١/٧ استنادا الى مصادر امريكية ان واشنطن بدأت حملة ضغط شديدة على حلفائها في الاطلسي من اجل تقديم الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي لنظام صدام ".

ثانيا :ـ ان انظمة الحكم الرجعية العربية وعلى رأسها السعودية قدمت الى العراق ما يقرب من ٤٨ مليارا من الدولارات لتغذية الحـــرب .

ثالثا :ـ يمكننا ان ندرك خطورة هذه الحرب وقذارتها وخدمتها لمصالح الامبريالية الامريكية والرجعية والصهيونية، ان اسرائيل شنت حربها العدوانية في صيف ١٩٨٢ واجتاحت لبنان بهدف تصفية منظمة التحرير الفلسطينية وتعميم كامب ديفيد في ظل اشتعال هذه الحرب، وانشغال الجيش العراقي والايراني بتبديد بعضهما البعض. لقد كان ممكنا لهذين الجيشين ان يكونا سندين حقيقيين للثورة الفلسطينية وللحركة الوطنية اللبنانية. كان

Digitized by Birzeit University Library

يمكن ان يغيرا ميزان القوى في المنطقة لصالح حركة التحرر الوطنى العربية ويشلا يد اسرائيل العدوانية ويحطمانها بعد ان اختل هذا الميزان بالصلح الذى عقده السادات مع اسرائيل،واخرج مصر من صف القوى المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ولكن رياح صدام تجرى بما لا تشتهي سفن التحرر والتقدم .وقد قال رفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي السابق ان من مصلحة اسرائيل ان يستمر نزيف الدم في هذه الحرب وأعلن"ليواصلوا قتل بعضهم البعـــض ."

ولكن اذا كان نظام صدام حسين الفاشي هو المسؤول الاول عن اشعال هذه الحرب" (٤) ان حزبنا اى الحزب الشيوعي العراقي يحمل حزب البعث العفلقي ونظامه كامل المسئولية في اثارة الحرب الظالمة ونتائجها الكارثية وتعريضها الجدى لسيادة واستقلال البلاد الى المخاطر الكبيرة ". هذه الحرب التي ذهب ضحيتها ٨٠٠ ألف انسان من الطرفين بين قتيل وجريح.فلا بد من وقفة على الجبهة الاخرى والتساؤل ما هو دور حكام ايران في هذه الحرب وما هي مواقفهم ؟؟ قبل صيف ١٩٨٢ وعندما كانت ايران تقاتل الجيش الذى يحتل ارضا ايرانية كانت حرب ايران حربا عادلة تحررية وكانت ايران تلقى التأييد من القوى اليسارية والتقدمية وخصوصا حزب تودة والاتحاد السوفياتي بل والشعوب العربية وقواها التحررية ولكن الامور بدأت تختلف بعد ان اخرجت القوات العراقية من الاراضي الايرانية،فقد استغل النظام العراقي ظروف الاجتياح الاسرائيلي للبنان صيف ١٩٨٢ وتظاهر بسحب قواته ليحفظ ماء وجههوليظهر نفسه امام الرأى العام العراقي والعربي انه سيوجه هذه القوات لمقاتلة جيش المعتدين الصهاينة وليغطي على اهدافه القذرة.ان صدام لو كان صادقا في نواياه لارسل جيشه الى سوريا ثم الى لبنان دون قيد او شرط ووضعها تحت تصرف سوريـا والثـورة الفلسطينيـةعنـد ذلـك كـان يمكـن ان تنشـأ ظـروف حقيقيـة لانهـاء الحـرب لصالـح القـوى المعاديـة للامبرياليـة ولكـن النظـام الصـدامي الـــذى حسم مواقفه منذ عام ١٩٧٨ وانتقل الى الصفوف الرجعية الامبريالية بعد ان ضرب الجبهة الوطنية العراقية وقتل وطارد وسجن مئات والاف الشيوعيين والوطنيين والديمقراطييـــن .

ولكن ورغم ذلك كان الموقف الايجابي والتقدمي والذى يخدم مصالح الشعب الايراني والشعوب العربية وحركتها التحررية هو وقف الحرب من جانب ايران ايضا دون شروط تعجيزية ليست معادية لصدام بقدر ما هي معادية ايضا للقوى الوطنية والتقدمية العراقية فكيف تصرفت القيادة الايرانية بعد انسحاب الجيش العراقي من الاراضي الايرانية صيف ١٩٨٢؟!

يبدو ان الحرب اتت ثمارها داخل ايران نفسها فقد تمكنت القوى الرجعية واليمينية داخل حزب الجمهورية الاسلامية من السيطرة على الدولة والانفراد بالسلطة في ظل ظروف الحرب ولذلك وضعت الحكومة الايرانية شروطها لانهاء الحرب وهي :ـ

١) اسقاط نظام صـدام .

٢) التعويض عن خسائر الحرب .

وقد بدأت القيادة الايرانية ترسل موجات من الجيش الايراني بالاسلحة التقليدية الى جبهة

Digitized by Birzeit University Library

القتال لمواجهوا الموت معتمدين على حماس الشبان الايراني الديني وبهذا تمكن النظام الصدامي من توسيع رقعة الحرب لتشمل المدن وناقلات النفط .

ان اصرار ايران على هذه الاهداف هو قفز عن الواقع فشعار اسقاط صدام وتصدير فتيل الثورة الايرانية لبغداد قد ادى خدمة لا نظير لها للنظام البعثي العفلقي في بغداد فقد استطاع ان يضلل جماهير الشعب العراقي، ويظهر نفسه كما لو أنه يقاوم العدوان على بلاده ضد المعتدى الفارسي، على حد قول اجهزة اعلامه وتحت هذا الشعار الكاذب يضرب نظام القتلة الصدامي ويسجن ويطارد الشيوعيين والوطنيين والديمقراطيين العراقيين والاكراد بل واستطاع النظام العراقي ان يوسع من تحالفاته مع الرجعية في المنطقة فكما اشرنا امدته الرجعية بمليارات الدولارات، وبل وسع تحالفة مع فرنسا التي امدته، بطائرات سوبرائتندار البعيدة المدى مما مكن النظام من مواصلة الحرب التدميرية ولكن لو اوقفت ايران الحرب وتعاونت معنويا وماديا مع القوى الوطنية واليسارية التقدمية في العراق فهي القوى الوحيدة والمؤهلة لاسقاط نظام صدام ومحاسبته دون العمل بتصدير مثيل النظام الايراني، ولكن نظام طهران قد سقط في نفس المستنقع الذى سقط فيه نظام صدام وهو مستنقع معاداة وضرب القوى التحررية والتقدم الاشتراكي والتنكر لاهداف الثورة الايرانية، فاليمين الايراني الذى استطاع عبر صراع دام مع القوى التقدمية والديمقراطية وعلى رأسها حزب توده ثبت اقدامه في السلطة وانفرد بها و شن حملات من القتل ضد حزب الشعب "حزب تودة" وضد القوى التقدمية والديمقراطية ووضع الاقتصاد الايراني تحت سيطرة الاحتكارات الامبريالية خدمة لاوساط الرأسمالية الايرانية .

كان الواجب على الحكومة الايرانية ان توقف الحرب وتلتفت الى الاصلاحات الداخلية والبناء الداخلي وتنجز مهمات الثورة الايرانية، فالاصلاح الزراعي والذى ناضل من اجله الفلاحون الايرانيين اهمل ، وقضية حق تقرير المصير للشعوب الايرانية مثل الشعب الكردى والاذربيجاني ووجهت بالقتل والتصفية وهي الشعوب التي كانت لها اسهاماتها في النضال ضد الشاه، وقضية الحريات التي تاق اليها الشعب الايراني تواجه بالقتل والسجن والمطاردة، ان ايران الان تقع في قبضة نظام يشبه الى حد بعيد انظمة القرون الوسطى ، ان هذا النظام قد قفز عن الواقع وتنكر لاهداف الجماهير الايرانية المسحوقة، واختار طريق الحرب والدمار، هذا الطريق الذى لن يستفيد منه غير الامبرياليين والرجعيين وخصوصا امبريالية الولايات المتحدة، التي تعد السبل للتدخل في شئون المنطقة واخضاعها لمخططاتها العدوانية ونهب ثرواتها البترولية حتى تحكم الطوق اكثر وأكثر حول الاتحاد السوفياتي ولكن ما المخرج من هذه الحرب المدمرة والتي تشبه في بشاعتها الحرب العالمية الاولى بكثرة ما ذبح فيها من جنود ومدنيين وما دمر فيها من اقتصاد وخيرات ومدن، انه سؤال لا بد من طرحه في هذا الوقت الذى تبدو فيه المحاولات لتوسيع رقعة الحرب لتشمل بلدان المنطقة، بل وتدويلها حتى تسهل الامكانيات امام الولايات المتحدة للتدخل والتواجد اكثر

Digitized by Birzeit University Library

وأكثر في هذه المنطقة الاستراتيجيـــــــــة .

ان القوى المسيطرة الحاكمة في البلدين ليستا مؤهلتين لانهاء هذه الحرب فيما يبدو لذلك تقع مسئولية انهاء الحرب على عاتق القوى التقدمية واليسارية والديمقراطية في كلا البلديـــــــن .

فالحزب الشيوعي العراقي يقرر في احدى بياناته " ان حزبنا اذ يؤكد موقفه المبدئي والحازم الرافض لجميع اشكال التدخل الخارجي في الشئون الداخلية لبلادنا ولاى شكل من اشكال الاحتلال الاجنبي او أى الحاقات لاراضي الغير ويعارض جميع المحاولات الرامية الى فرض الحكومات لا يرتضيها الشعـــــب ".

اذن هذه ملخص لوجهة نظر الحزب الشيوعي لانهاء الحرب وعقد صلح عادل وديمقراطي بين البلدين الجارين دون الحاق لاراضي الغير (٢) ودون فرض حكومة مواليه لهذا النظام او ذلك ، (٣) بعد ايقاف الحرب يمكن حل المشاكل المختلف عليها بالمفاوضات وهذا هو ايضا موقف القوى التقدمية والديمقراطية واليسارية في ايران، عند ذلك يمكن انهاء الحرب وتصفية نفوذ الامبريالية من المنطقة ونفوذ عملائها وتوجيه الطاقات للبناء الداخلـي لا للحرب والدمـــــار .

المصـــــــادر :

١) اليسار العربي : حزيران ١٩٨٤ ص ١٢ .
٢) الثقافة الجديدة آيار ١٩٨٤ ص ٤
٣) المصـــدر السابق ص ٦
٤) من بيان للحزب الشيوعي العراقي الصادر في آب ١٩٨٣ .

Digitized by Birzeit University Library

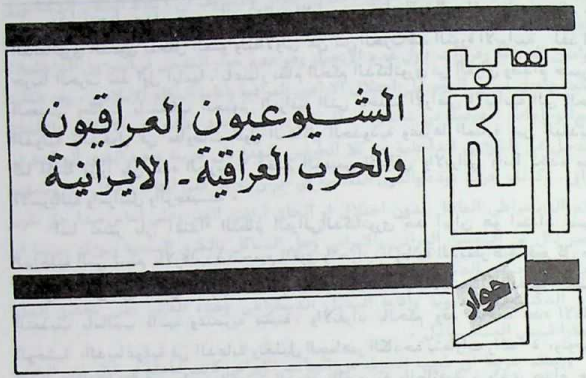

توجهت الكاتب الى احد اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي الذي التقته في احدى العواصم الاوروبية ببعض التساؤلات عن اهم الاحداث الدائرة في المنطقة ، والابعاد السياسية لهذه الاحداث وتأثيرها على مستقبل العراق وقضايا الشعب العراقي الاساسية .

س ١ : ما هو موقفكم من الحرب العراقية ـ الايرانية ، وما هي تأثيراتها على العراق ؟ وكيف ترون طريقة حلها ؟ .

من المعروف ان صدام حسين دكتاتور العراق ، هو الذي وقع اتفاقية الجزائر في ربيع ١٩٧٥ ، بين العراق ونظام الشاه المقبور ، وقد احتوت هذه الاتفاقية على مواد مجحفة بحق سيادة العراق على اراضيه ،ومجحفة بحقوق شعبه الديمقراطية وبوحدته الوطنية .ويتحمل صدام حسين المسؤولية الاولى عن عقد هذه الاتفاقية وكل ما تبعها من مآس ولكن صدام حسين نفسه الغى هذه الاتفاقية من طرف واحد في عام ١٩٨٠ بحجة استعادة حقوق العراق ورفع الحيف عنه بشأن الحدود بين البلدين وذلك عقب سقوط الشاه وانتصار الثورة الايرانية وعدائها السافر آنئذ للامبريالية الاميركية ولاسرائيل . وشن النظام الديكتاتوري الدموي في العراق الحرب ضد الثورة الايرانية اذ لو بقي الشاه ولم تنتصر الثورة الايرانية في حينها ، لبقيت اتفاقية الجزائر كانجاز يتفاخر به صدام ونظامه الدكتاتوري .

Digitized by Birzeit University Library

وكما يتحمل صدام حسين المسؤولية الاولى في عقد اتفاقية الجزائر، فانه وبنظام حكمه الدكتاتوري الدموي يتحمل المسؤولية الاولى عن شن الحرب ضد الثورة الايرانية لقد ادان حزبنا الحرب منذ اول ايامها، باعتبار نظام الحكم الدكتاتوري في العراق وصدام حسين هو المعتدي وطالبنا بانسحاب الجيوش العراقية التي دخلت الاراضي الايرانية الى الحدود الدولية والدخول في مفاوضات حول المشاكل الحدودية وغيرها المثارة بين البلدين. كما اكدنا مرارا بان هذه الحرب لا تخدم الشعبين العراقي والايراني وانما تخدم مصالح الامبريالية واسرائيل والرجعيـــة.

اننا نعتبر بان اعتداء النظام العراقي الدكتاتوري ضد ايران هو امتداد لسياسته الداخلية التي تتسم بالارهاب ضد جميع القوى والاحزاب الوطنية الديمقراطية وقمع كل صوت للمعارضة حتى من داخل الحزب الحاكم نفسه، بالاعـدام والاغتيـال والقتـل تحـت التعذيب باساليب فاشية وعنصرية مشينة، والانفراد بالحكم وقد صاحب هذه الاساليب الوحشية، الديماغوغية في الدعاية وتضليل الجماهير الكادحة بشعارات زائفـة، وتوجيهها للمطامح الاستهلاكية، وتأجج القومية الضيقة والعنصرية والطائفية. ولدى صدام حسين ونظام حكمه مطامح توسعية وحب فطيع للتسلط والسيطرة، ولهذا فان خلع شاه ايران من جانب الثورة الايرانية ولد لديه شعورا مزدوجا يتميز:

١) بالخوف من ثورة الشعب العراقي اخذ يعالجه بالقمع الوحشي للشعب.

٢) بالطموح الى احتلال مكانة ايران الشاه في الخليج والمنطقة كلها وادى ذلك منطقيا الى اعادة النظر من قبله في محالفاته الداخلية، وفي محالفاته على النطاق الدولـي.

فعلى النطاق الداخلي فرط بالتحالف مع حزبنا الشيوعي وشن حملة ارهاب غاشمة ضد اعضاء وكوادر حزبنا، متحالفا مع اصحاب رؤوس الاموال البيروقراطيين والطفيليين الذين اخضعوا كامل سياسة النظام لمصلحتهم، وعلى النطاق الدولي فرط بحلفائه من الدول العربية التقدمية واعتمد على الدول العربية الرجعية، وخرج ببدعة "الميثاق القومي" التي تساوي بين العدو والصديق، بين الدولتين العظميين، بعد ان كان ميثاق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ينص على معاداة الامبريالية والصداقة مع البلدان الاشتراكيـــة.

وبعد الفشل العسكري الذي مني به نظام صدام حسين في ايران، اضطر الى سحب جيوشه الى الحدود الدولية، والدعوة الى حل المشاكل بالتفاوض وعلى اساس اعادة الاعتراف باتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ومع كل ذلك بقي هو وحزبه الحاكم في مؤتمره القطري التاسع متمسكا بشعار وجوب التمسك بمكاسب الحرب" كذا ! اي الحصول على اراضي ومياه ايرانية لقاء الانسحاب مـن اراضيهـــا.

ان الحرب العراقية الايرانية التي ابتدأت بعدوان نظام الحكم في العراق، قد ادت الى تقوية اليمين داخل الثورة الايرانية وسلطتها مثلما ادت الى تقوية اليمين والرجعية في العراق حيث اصبح من العسير جدا ايجاد الارضية الصالحة للمفاوضات بين النظامين، فكلا النظامين له مطامع في اراضي وسيادة البلد الاخر فايران تطالب باسقاط نظام صدام حسين

Digitized by Birzeit University Library

واقامة نظام حكم اسلامي عن طريق احتلال العراق والمعروف ان اسقاط النظام الدكتاتوري واقامة النظام البديل هوشأن من شؤون الشعب العراقي وحقه في تقرير مصيره حيث تنص القوانين الدولية وقرارات دول عدم الانحياز وهو عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية . وعملت وتعمل ايران اليوم على احتلال الاراضي العراقية واقامة النظام الاسلامي . وقد فشلت جميع الوساطات الدولية في تحقيق المفاوضات بسبب وجود مطامع في الاحتلال والالحاق والتدخل في الشؤون الداخلية من كلا الطرفين ولهذا فان حزبنا وبقية القوى الوطنية في العراق ، وكذلك حزب توده والقوى التقدمية في ايران تؤكد على ايقاف القتال فورا وتحقيق السلم الديمقراطي العادل بدون احتلال او الحاق اراضي الغير وعلى اساس مبدأ حق تقرير المصير لكل من الشعبين العراقي والايراني وحل المشاكل بالطرق السلمية ويؤكد حزبنا ان نظام صدام حسين الدكتاتوري غير قادر وغير اهل لتحقيق ذلك ،اننا نعتقد ان اسقاط سلطة صدام الدكتاتورية الدموية واقامة البديل الديمقراطي وحده القادر على تحقيق السلم الديمقراطي العـــادل .

ويعتقد حزبنا ان طبيعة الحرب من الجانب الايراني كانت عادلة في اول سني الحرب عندما اعتدت الجيوش العراقية على اراضيها ، اما الان فاننا نعتبر بأن الحرب عدوانية من كلا الطرفين العراقي والايراني بعد التطورات التي تحدثت عنها اعلاه ودخول ايران الى الاراضي العراقية ، ويشاركنا في هذا الرأى القوى التقدمية في ايران وفي العراق معا .

آثـار الحـرب العراقيـة ـ الايرانيـة :

لقد ادى استمرار الحرب للسنوات الاربع الماضية اضافة الى الخسائر المادية والبشرية الى اثار مأساوية اقتصادية واجتماعية في العراق ، وفي ايران ، فقد خسر العراق وحده مئتي ملبار دولار ، وحوالي ٦٠٪ من القوى البشرية القادرة على العمل بين قتيل او جريح او اسير او عاجز عن العمل ، واشتد استغلال العمال من النساء والرجال ، حتى في ايام الراحة الاسبوعية والغيت الاجازات المرضية ، واجازات الامومة وجميع المكاسب التي حصلت عليها الطبقة العاملة بنضالها العنيد ، وانتشرت الفاقة والحرمان بين الكادحين وتضخم عدد الارامل الشابات، والاطفال الاحداث اليتامى دون اية رعاية من قبل الدولة حيث يتعرض عشرات الالاف من الاطفال والاحداث الى التشرد او العمل الاجبارى واتسعت رقعة السكان التي يشملها التجنيد الاجبارى حتى شملت الاحداث والشيوخ . وتغص السجون بعشرات الالاف من السجناء السياسيين ، من مختلف الاحزاب والقوى الوطنية حيث يموت الكثير منهم تحت التعذيب او بالتسميم الكيماوى او لسوء التغذية دعك عن الالاف الذين اعدموا بسبب رفضهم الحرب ورفضهم للنظام الدكتاتـــورى .

وتسبب هذه الحرب والتي تدعى " بحرب الخليج" وضعا متوترا في الخليج العربي ، فقد حشدت اميركا وحلفاؤها الاطلسيون قوات عسكرية هائلة في الخليج ، تشمل القواعد العسكرية والاساطيل الحربية وحاملات الطائرات ، وقوات الانتشار السريع ، في جو من

Digitized by Birzeit University Library

الدعاية الامبريالية الاميريكية حول حماية مصادر وممرات النفط ، يتخللها تهديد صارخ بالتدخل العسكرى ، ومحاولات مفضوحة لزج دول الخليج في اتون الحرب واستخدام التسهيلات العسكرية التي تقدمها لاميركا مقابل تسليحها بالاسلحة الحديثـــة .

لقد نصت الاتفاقية الاستراتيجية بين امريكا واسرائيل ، على ان تقوم اميركا بالدور القمعـي الرئيسي في الخليج ، وتقوم اسرائيل بالدورالرئيسي لتهديد لبنان وسوريا الصامدتين وتلعب الدول العربية الرجعية كالسعودية والاردن دورا خطيرا في التمهيـــد للسيطرة الامريكيـــة الكاملة على المنطقـــة .

ان مطامح الادارة الامريكية هي استعادة سيطرتها على المنطقة بكاملها وتركز فعالياتها اليوم في الخليج بعد ان منيت سياستها في لبنان بالفشل ، مستغلة حاجة حلفائها الاطلسيين الى نفط الخليج للضغط عليهم لقبول سياستها الخارجية كاملة ، خصوصا ما يتعلق بسياستها في تأجيج التوتر اثر نشر الصواريخ ، وتهيئة الظروف لحرب نووية كارثية وانها تعمل على نشر فعاليات حلف الاطلسي الى منطقة الشرق الاوسط واعادة حلف السنتو (الباكستاني ـ التركي) الى الحياة ، وتطمح الى النفوذ ثانية الى ايران لتستكمل سيطرتها على المناطق المحيطة بحدود الاتحاد السوفياتي .

ويلعب نظام الحكم الفاشي في تركيا عضو حلف الاطلسي دورا خطيرا في هذا المخطط فقد وقعت تركيا اتفاقيات امنية مع نظام الحكم في العراق ، اباحت لها في ربيع عام ١٩٨٣ الدخول الى الاراضي العراقية ، ولم يكن ذلك الا مناورة تتهيأ فيها الى اجتياح فعلي لاراضي العراق للاستيلاء على منابع النفط في كركوك في حالة اجتياح ايران للاراضي العراقيـــــة .

س٢ : ما هو موقف المعارضة لنظام الحكم الدكتاتورى في العراق ؟ وما هي سياسة حزبكم بهـذا الصـــدد ؟

ان استقلال وسيادة وطننا العراق مهدد بالخطر نتيجة السياسة المعادية للشعب والوطن التي سلكها نظام صدام حسين . ان شعبنا وقواه واحزابه الوطنية تتحسس بعمق خطر تدخل القوات الاجنبية الايرانية منها والاميركية والاطلسية عمومـا وتشجبـــه .

ان حزبنا يحمل نظام الحكم الدكتاتورى مسؤولية التفريط باستقلال وطننا ، اضافة الى تحميله مسؤولية شن الحرب العدوانية ضد ايران ومسؤولية اضطهاد الشعب وقمعه واغراقه بالدمـاء . وان حزبنا مصمم على النضال لاسقاط هذا النظام المعادى للشعب والوطن ، واقامة البديل الديمقراطي الذى يحقق السلام وينقذ استقلال الوطن ويذود عنه ويحقق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان .

ان العزلة الخانقة للحكم في داخل العراق ناتجة بدرجة رئيسية عن اسلوبه الفاشي في الحكم ومعاداته للشعب ولقواه الوطنية والتقدمية وعن تدهور الاوضاع الاقتصادية والمعاشية

Digitized by Birzeit University Library

للسكان ، وعن الحرب المجنونة التي شُنها وهو غير قادر على ايقافها ، وعن تفريطه باستقلالنـــا الوطنـــــي .

ومن الناحية الاخرى فهنالك رفض شامل من قبل الشعب العراقي للحرب ، وترفض اكثرية الشعب وجميع قواه الوطنية نظام الحكم الذى اشعلها وجر البلاد الى الكارثة وخلال السنوات الاربع الماضيات تراكم تذمر الشعب ونقمته واخذ يتحول بشكل ملموس الى كفاح ضار من اجـل اسقاطـــــه .

وليس غريبا ان يختار الشعب اسلوب الكفاح المسلح كاسلوب رئيسي في هذا الكفاح ، فالقوة القمعية للسلطة هي التي ادت الى المقاومة المسلحة التي اخذت تنتشر من كردستان الى مناطق بلادنا الاخرى كما تنتشر النار في الهشيم . ولقد دعم الكفاح المسلح انطلاق الانتفاضات الجماهيرية في المدن العراقية ، واثر في هروب الجنود والضباط بسلاحهم من الجيش لينضموا بالتالي الى صفوف الجماهير المكافحة،وهذه العملية تجرى بوتائر متسارعة في طول البلاد وعرضها في الريف وفي المدينة في الجبال والسهول والاهوار

لقد تعززت فعالية قوى الجبهة الوطنية الديمقراطية (جود) سياسيا وعسكريا وهي تضم اضافة الى حزبنا الشيوعي الحزب الديمقراطي الكردستاني ، والحزب الاشتراكي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردى (باسوك) ولديها عشرات الالاف من المسلحين الذين تشمل فعالياتهم بشكل متسع الريف والمدينة والى جانب ذلك توجد احزاب اخرى معارضة كحزب البعث الاشتراكي قيادة قطر العراق ، والحزب العربي الاشتراكي ، وحزب الشعب الثورى الكردستاني ،وغيرها ،وهي وان لم تنظم حتى الان في جبهة عريضة الا ان حزبنا يبذل الجهود من اجل تحقيق ذلك من خلال الحوار البناء مع هـذه الاحـــــزاب .

اما ما يخص حزب الاتحاد الوطني الكردستاني ، فان قيادته (جلال الطالباني) قد خرجت منذ ربيع ١٩٨٣ من المعارضة وتخلت عن اهدافها وتعاونت مع السلطة في ذبح قوى حزبنا وقوى جود في بشت آشان . ان حزبنا قد توجه ويتوجه الى فضح خيانة قيادة هذا الحزب وجذب قواعده الى العمل الجبهوى المشترك ، خاصة وان قيادة هذا الحزب لم تحصل على اى مكسب للشعب الكردى نتيجة مساومتها بل انها تمادت مع السلطة في شن المعارك ضد قوى المعارضـــــة .

وان الامبريالية والرجعية المحلية من جانبها اخذت تميل في الاونة الاخيرة وبغرض تقصير التراكم الثورى ، الى تبديل صدام ، بحاكم آخر اقل عنفا ودموية واوسع حيلة وديماغوغية . ان حزبنا وقوى المعارضة ستكافح من اجل المضي في سبيل اسقاط نظام الحكم الدكتاتورى الدموى ومن اجل تحقيق البديل الديمقراطي بالاستعداد الكامل لكل الانعطافات والمفاجآ ت ، ليمضي حزبنا في كفاحه ويحتل الدور الطليعي في تحقيق الانتصار على الدكتاتورية وتحقيق الحكومة الوطنية الديمقراطية الائتلافية، التي تستند الى الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة وتحقق السلام والديمقراطية والحكم الذاتي لكردستان العـراق .

Digitized by Birzeit University Library

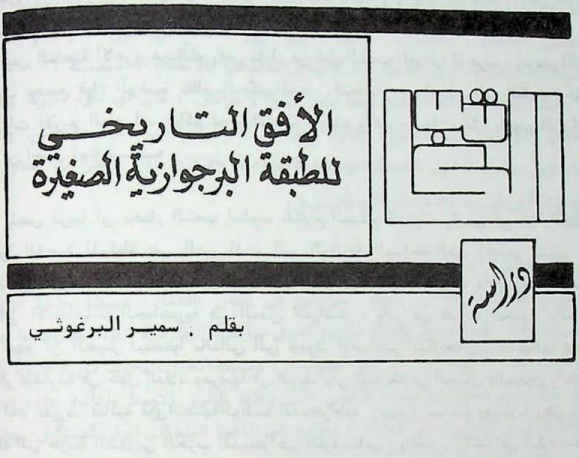

لقد سبق للكلاسيكيي الماركسية ـ اللينينية اعطاء التشخيص العام والسمات المميزة للطبقة البرجوازية الصغيرة، ودورها في علاقات الانتاج الرأسمالية، ومحدوديتها التاريخية ، وما تقدمه من برامج وأطروحات سياسية وأيديولوجية متنوعة في الشكل متحدة في الجوهر، تعكس عدم الثبات والاستقرار الذي تتصف به هذه الطبقة في العملية الانتاجية. فمن المعروف ان تطور علاقات الانتاج الرأسمالية، يعزز باستمرار الاستقطاب الطبقي الذي يسير باتجاه تبلور طبقتين رئيسيتين في وضع صراع دائم ، البرجوازية بمختلف اقسامها (صناعية ـ تجارية ـ بنكية، زراعية) والطبقة العاملة، واذا كانت الطبقتان الرئيسيتان تحافظان على مصالحهما من خلال الصراع الدائم والمتعدد الاشكال فيما بينهما ، فالبرجوازية الصغيرة على عكس ذلك تحاول ان تذود عن مصالحها الاقتصادية من خلال التذبذب المستمر بين هاتين الطبقتين ، وخلال عملية التذبذب هذه تنتقل اجنحة منها الى مواقع البرجوازية الكبيرة لتلتحم بها واخرى تتجه نحو مواقع الطبقة العاملـــــة .

ان موقع البرجوازية الصغيرة في العملية الانتاجية، يتيح لها ان تمتلك مواقع ومصالح مشتركة مع البرجوازية والطبقة العاملة على حد سواء ، فهي من جهة تقع تحت استغلال بشع من جانب البرجوازية الكبيرة عن طريق التنافس غير المتكافيء الذي يهددها بالانهيار دوما وعبر توزيع الناتج القومي المجحف لصالح البرجوازية الكبيرة ، مما يجعلها في مجابهة الى

Digitized by Birzeit University Library

جانب الطبقة العاملة ضد رأس المال الكبير؛ولكنها بالمقابل وفي الموقع الاخر من الطبقة العاملة تشارك العائلة البرجوازية في احدى سماتها الرئيسية وهو الموقف من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج بالرغم من تفاوت حجم هذه الملكية ، ان هذا التشعب في المواقع والمصالح والخيوط المشتركة مع الطبقتين المتصارعتين الرئيسيتين ، ينعكس على الصعيد الايديولوجي بشعار " وحدة الامة" والمصلحة الوطنية والقومية التي تعلو أى صراع او تناقض طبقي،بحيث تبلورت الايديولوجيا القومية كملازم للوعي البرجوازي الصغير، ومما لا شك فيه ان شعارات "المصلحة القومية" و"الوطنية" تلعب دورا ايجابيا وتقدميا في مرحلة التحرر الوطني ، اذ تشحذهم الجماهير في النضال ضد الامبريالية والاستعمار ، الا أنها لاحقا وفي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية قد تشكل خطرا يهدد العملية الثورية ، وفي حالة انتقال اجنحة من البرجوازية الصغيرة الى مواقع رأس المال الكبير فسرعان ما تتحول القومية الى فاشية كما هو الحال في العراق ، والمصلحة الوطنية الى تفريط بالحقوق والسيادة الوطنية كما حدث في مصر بعد عبد الناصر .

ان قانون التراكم الرأسمالي الناتج عن عملية اعادة انتاج رأس المال الاجتماعي ونمو التراكم كما صاغه كارل ماركس،يتجلى بازدياد ثروة ورأس مال البرجوازية من جهة، وازدياد الافقار النسبي والمطلق للطبقة العاملة وشدة بؤسها من جهة اخرى ، اما بخصوص البرجوازية الصغيرة فانه يسارع في عملية فرزها وتمايزها وانتقال اجنحة الى مواقع رأس المال الكبير وأخرى الى مواقع الطبقة العاملة ، ان عملية الفرز هذه تتسم بطابع موضوعي لا يمكن ايقافها ولكن بالامكان التأثير عليها باتجاه التباطؤ أو التسريع كما هو الحال عند دراسة أثر البترودولار في المنطقةالعربية على هذه العملية .

ان هذه الظاهرة والتي استطاع المنظرون الماركسيون رصدها، تمثل الاساس المادي والجوهر الموضوعي لتفسير ظواهر الردة في الثورة الوطنية الديمقراطية،وظواهر تعمق هذه الثورة وتحولها الى ثورة اشتراكية بمفهومها العلمي بقيادة الديمقراطيين الثوريين،الذين هم بدورهم انتقلوا ليصبحوا ممثلين للطبقة العاملة . ومن الملاحظ من خلال رصد هذه العملية التاريخية أن الاجنحة البرجوازية الصغيرة المفروزة الى مواقع رأس المال الكبير تتميز ببعض السمات المشتركة مثل التطرف اليميني في معاداة الطبقة العاملة وحلفائها،وغالبا ما تحاول ان تضفي على الصراع الطبقي طابعا دمويا وعنيفا ، اذ بهذا تعبر في رجعيتها عن بعض سمات البرجوازية الصغيرة المكتسبة كالعنف والتهور والضربة السريعة الخاضية للطبقة العاملة وقواها السياسية،وليس غريبا القول ان عددا غير قليل من الفاشيين والممثلين لمصالح رأس المال الكبير،كهتلر وصدام حسين والنميري والسادات وبعض جنرالات انظمة أمريكا اللاتينية انحدروا من أسر يغلب عليها الطابع البرجوازي الصغير، كما انه بالمقابل فان أجنحة البرجوازية الصغيرة التي تتبنى الماركسية ـ اللينينية أى التي تمر في عملية انتقال موضوعية الى مواقع الطبقة العاملة والتي؛ اصطلح على تسمية ممثليها السياسيين بالديمقراطيين

Digitized by Birzeit University Library

الثوريين (١)، تتميز برامجها احيانا وبعض مواقفها بالتطرف اليسارى الذى يتجاوز قوانين الصراع الطبقي، ولكن مع استمرار العملية الثورية، تبدأ وفق الظرف الموضوعي الملموس بالتخلص من هذه السمات تدريجيـــــا .

انه من الضرورى الاشارة ان عملية انتقال هذه الاجنحة من البرجوازية الصغيرة تمر عبر تعقيدات كثيرة وبأشكال متعددة ومتفاوتة، يلعب فيها الظرف الخاص دورا بارزا . فوجود هذه الطبقة في السلطة يضفي شكلا مميزا لعملية الفرز فيما لو كانت خارجها ، كذلك الحال بالنسبة لطبيعة المرحلة الثورية فيما اذا كانت مرحلة تحرر وطني او ثورة وطنية ديمقراطية . ويجدر التنويه ايضا ان عملية الفرز والانتقال لا تأتي بيوم، ولا تحدث كأنها انقلاب في فكر وأيديولوجية هذه الاجنحة، بل هي نتاج لعملية تراكمات كمية متواصلة على صعيد النشاط الاقتصادى اليومي ، ما تلبث هذه التراكمات أن تتحول الى طفرة نوعية تتجلى في تحولات في البرامج السياسية والايديولوجية لتنظيمات سياسية ، ولذا لا يمكن رصد ظاهرة الانتقال المتحركة الا من خلال دراسة التطورات المستجدة في مواقف وبرامج التنظيمات السياسية للبرجوازية الصغيـــــرة .

اذا انتقلنا من العموميات النظرية الى الاوضاع الملموسة، يمكن ان نتحسس ان هذه العملية الموضوعية قد اخذت تجلياتها على الساحة العربية بحيث اصبحت من احدى قضايا الساحة المهمة المطروحة امام المفكرين والمنظرين الماركسيين العرب وبالاخص الشيوعيين . ولقد استطاعت حركة الطبقة العاملة في البلدان العربية ممثلة بأحزابها الشيوعية من رصد هذه العملية وتحليلها ودراستها ، فمن خلال التحليلات العديدة لدراسة ظاهرة الردة عن الثورة الوطنية الديمقراطية في مصر والسودان والعراق القيت اضواء على ميكانيكية احدى جوانب عملية الفرز الا وهي انتقال اجنحة من البرجوازية الصغيرة الى مواقع رأس المال الكبير، فتحول البرجوازية الصغيرة الموجودة في السلطة الى برجوازية بيروقراطية وتحالفها مع رأس المال الخاص والكومبرادور التجارى، شكل الميكانيزم الداخلي للارتداد عن النهج الوطني والتحولات الديمقراطية ، وكما يقول الدكتور رحيم عجينة عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حول تجربة الردة في العراق" " فحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في العراق، ذو الاصول البرجوازية الصغيرة، وبسبب من طبيعته الطبقية وأيديولوجيته المعادية للشيوعية والديمقراطية وقوميته الشوفينية ، تحولت قيادته الى فئات الرأسماليين الكبار الذين يمتلكون الملايين، ويقيمون نظاما اقتصاديا لرأسمالية الدولة البيرقراطية ويرتبطون اكثر فأكثر بالاحتكارات الامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة العربية وفي منطقة الشرق الاوسط ويتحولون الى اداة لتنفيذ سياسة التحالف الرجعي الامبريالي وبالتالي الى أحد عناصر هذا التحالف ، ان كل هذه التغيرات أدت الى تشكيلية سياسية فكرية طبقية ونظام سياسي يجسد كل خصائص ثورة الردة " (٢) .

Digitized by Birzeit University Library

وعلى هذا الصعيد لم تكن مفاجأة سياسة الاستسلام الساداتية التي تتوجت بزيارة السادات للقدس بالنسبة للطبقة العاملة وأحزابها السياسية، فقد كانت قادرة من خلال رصد عملية الفرز والانتقال على التنبؤ بحتمية بروز نهج الاستسلام والمساومة وان لم تكن قادرة على تحديد شكل تجليات هذا النهج سلفا. ان المفاجأة كانت من نصيب الاجنحة البرجوازية الصغيرة في حركة التحرر الوطني العربية التي/اذهلها سقوط اشقاء كانوا بالامس جزءا لا يتجزأ من هذه الطبقة، لم يسقط السادات وصدام والنميري لان هناك تحولا ما في امزجتهم أو وقعوا تحت تأثير عقد نفسية كالجنون وحب العظمة كما حاول البرجوازيون الصغار تصويره، بل سقطوا ليبرهنوا ان تطور قوى الانتاج وعلاقات الانتاج لم تعد تسمح للبرجوازية الصغيرة أن تلعب الدور الحاسم والقيادي في حركة التحرر الوطني العربية، بل آن الاوان لكي تضطلع الطبقة العاملة وأحزابها السياسية وبرامجها بدور قيادة العملية الثورية، وهذا جوهر التحولات النوعية الجارية في حركة التحرر الوطني، وان كانت تجرى ببطء وفي غاية من التعقيد، وفي هذا المجال تجدر الاشارة الى ان انتقال زمام قيادة حركة التحرر الى الطبقة العاملة لا يمكن فهمه بشكل احلال ميكانيكي يتم في ليلة وضحاها، وان لم يكن هكذا فهناك عجز ما في احزاب الطبقة العاملة أو أزمة في البديل الثوري كما يحلو للبعض تسميته، ان الماركسية ـ اللينينية تستوعبها بكونها عملية اجتماعية تاريخية معقدة تسير باتجاهين متعاكسين في آن واحد، وانحسار تدريجي في نفوذ وأيديولوجية وبرامج البرجوازية الصغيرة واتساع ونمو في نفوذ وأيديولوجية احزاب الطبقة العاملة، ان التراجع المستمر في الايديولوجيا القومية، وفشل الكثير من شعارات وبرامج البرجوازية الصغيرة على الصعيد القومي والوطني، لهو دليل واضح على مضمون هذه العملية الموضوعية، تماما كما تشهد الكثير من الساحات العربية تعاظما ملموسا في نضال ومواقع الاحزاب الشيوعية والعمالية العربيـــة .

بهذا الوضوح وبعد الرؤيا اخذت الاحزاب الشيوعية العربية في تكريس جهود نظرية مكثفة، لدراسة الجانب الاخر من عملية فرز الطبقة البرجوازية الصغيرة على الساحة العربية، عملية انتقال اجنحة من هذه الطبقة الى مواقع الطبقة العاملة وظهور تنظيمات تتبنى نظرية وأيديولوجية الطبقة العاملة، والتي يطلق عليها الديمقراطيون الثوريون، فقد كرست النهج مجلة الاحزاب الشيوعية العربية جزءا كبيرا من عددها الثالث الصادر في شباط ١٩٨٤ لبحث هذه الظاهرة على الصعيدين النظرى والتطبيقي وجاءت المقابلة مع على ناصر محمد الامين العام للحزب الاشتراكي اليمني، لتلقي الضوء وبوقائع تاريخية على خصوصية ميكانيكية انتقال اجنحة من حركة القوميين العرب بوصفه تنظيم قومي برجوازي صغير الى التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية بكونه اطار للديمقراطيين الثوريين ولاحقا الى الحزب الاشتراكي اليمني كحزب سياسي قائد للطبقة العاملة اليمنية، ولتشخيص السمات الرئيسية بكل مرحلة من مراحل التحول هذه. ان عملية الفرز لاجنحة من البرجوازية الصغيرة لمواقع الطبقة لم تقتصر على ساحة اليمن الديمقراطي وان كانت ابرزها، وانما شملت ساحات عربية أخرى

Digitized by Birzeit University Library

اهمها الفلسطينية ومن ثم اللبنانية، ورغم السمات العامة المشتركة بين هذه الساحات فهناك خصوصيات للساحة اليمنية عدا سواها اظهرتها المقابلة آنفة الذكر يمكن ايجازها .

– ان عملية الانتقال والتحول في اليمين الديمقراطي جرت والقوى موضوع التحول موجودة في السلطة، اذ لعبت المسؤولية المباشرة تجاه الجماهير وقيادتها دورا بارزا في تسريع النضوج السياسي والتنظيمي والايديولوجي، واتمام عملية الانتقال بفترة زمنية قصيرة نسبيا بعكس باقي الساحات العربية؛ اذ تجرى عملية التحولات في تنظيمات متواجده خارج السلطة، وبعضها في ظروف نضال وطني تحررى معقد، بالطبع هذا لا يعني ان بذور عملية التحول في اليمين لم تنشأ في ظروف النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني وقبل استلام السلطة، يقول على ناصر محمد " كان للحركة (المقصود حركة القوميين العرب) برنامج تثقيفي يرتكز على الكتابات القومية مثل كتب ساطع الحصرى، وهذا البرنامج معمم على كل فروع الحركة بما في ذلك اليمن، ولكن هذا الامر لم يدم طويلا، فالاعضاء الفروع لم تتقيد به، في اليمن مثلا كان للاعضاء قراءات خاصة خارج البرنامج المركزى كليا، أذكر عندما كنا في القاهرة عام ١٩٦٥ اخذ العديد من الطلاب يتمرد كليا على فكر الحركة ويتجه الى قراءة الفكر الماركسي، وبدأ عملية تدريس الفلسفة الماركسية في صفوفهم دون علم الحركة، حتى مجلة الحرية التي كانت تعبر عن رأى الحركة، بدأت تنتهج خطا تقدميا جديدا في المجال الفكرى، وقد انعكس هذا على الميثاق الوطني الذى اقره المؤتمر الاول للجبهة القومية والذى تضمن جوانب متقدمة قياسا الى المنطلقات الفكرية للحركة، وأقترب كثيرا من الفكر الاشتراكي العلمـــــي " (٣)

– ان القوى موضوع التحول في اليمن الديمقراطي انجزت في الواقع العملي مراحل عملية التحول، وبتشكيل الحزب الاشتراكي اليمني، انتقلت من كونها ديمقراطيون ثوريون الى ممثلين حقيقيين للطبقة العاملة اليمنية تنظيميا وسياسيا وأيديولوجيا، وبهذا تكون قد اتمت التحامها بالحركة الشيوعية لتصبح فصيلا من فصائلها . اما في باقي الساحات العربية فان هذه القوى ما زالت في مخاض مرحلة الانتقال أى في السير نحو التبلور التام والكامل على كافة الاصعدة التنظيمية والسياسية والايديولوجية، هذه المرحلة تحمل في طياتها نزعات برجوازية صغيرة موروثة ومكتسبة من الانتماء الطبقي السابق تتجلى أحيانا بالنفس والمنهاجية البرجوازية الصغيرة في التعامل وتطبيق النظرية الماركسية ـ اللينينية مما يولد صعوبات امام احزاب الطبقة العاملة في التعامل مع هذه القوى . وتظهر بوضوح هذه السلبيات في ساحة الارض المحتلة وخاصة في الحركة النقابية اذ يتضح من ممارسات بعض القوى أنها تنظر للطبقة العاملة، رغم اعلانها بتبني ايديولوجيتها بكونها سلعة للمنافسة في سوق الصراعات السياسية تماما كما ينظر البرجوازي الصغير لنشاطه الاقتصادى اليومي . مما يولد لديها قناعة بضرورة "تملك "هذه الطبقة بأى وسيلة وبأى ثمن وبأسرع وقت متناسية ضرورة النضال اليومي الدؤوب والصبور في صفوف العمال . ان هذا المنطق يقود لاتباع وسائل غير شريفة كالتزوير والخداع والابتزاز في تنظيم العمال وفي الحركة النقابية، تتوجت بمحاولات مستمرة لشق وحده

Digitized by Birzeit University Library

هذه الحركة وبعثرة جهودها ، وبرغم كل هذه السلبيات فانه من الخطأ النظر لهذه القوى كأعداء طبقيين للطبقة العاملة وحزبها السياسي ، بل يجب النظر للسياق التاريخي لعملية انتقال هذه القوى الى صفوف الطبقة العاملة والتحامها بالحركة الشيوعية ومساعدتها على اتمام نضوج رؤيتها الايديولوجية وأسسها التنظيمية ووضوح برامجها السياسية ، ولا يمكن بطبيعة الحال التكهن بأشكال التحامها بالحركة الشيوعية سلفا ، فهذا يتحدد بعد النضوج التام ووفق الظرف الملموس ولذا يبدو شعار " حزب شيوعي موحد" في الوقت الراهن سابق لاوانه ،ويحمل في طياته النزعة المتسرعة الهادفة لحرق المراحل الزمنية الضرورية لنضوج هذه العملية التاريخية . ان عملية الالتحام لا يمكن لها ان تتم الا عبر سلسلة متواصلة قد تطول من التحالفات والعمل المشترك والنقاشات الايديولوجية مع حزب الطبقة العاملة يقول ماهر الشريف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني "ان الخبرات النضالية التي راكمتها تجربة الثورة في جمهورية اليمن الديمقراطي في مجال ظاهرة التحول هي خبرات غنية ، يمكن للثوريين الفلسطينيين الاستفادة منها خصوصا وأن ظاهرة التحول باتت راسخة في الساحة الفلسطينية تتطور باضطراد ،وتتجلى ليس في ازدياد انتشار افكار الماركسية ـ اللينينية وانتقال قوى فلسطينية أكثر فأكثر من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ،وانما ايضا في ازدياد التقارب ،وتعزز علاقات التعاون والتنسيق المشترك بين الحزب الشيوعي الفلسطيني وبين هذه القوى موضوع ظاهرة التحول " (٤)

الهوامش :

١) لا يمكن اطلاق اصطلاح " الديمقراطيون الثوريون" على الاجنحة من البرجوازية الصغيرة والوسطى ،التي فقدت ملكيتها خلال الازمات الرأسمالية المتتالية ،وانتقلت الى مواقع التطرف اليسارى العدمي في نضالها ضد المجتمع الرأسمالي تحت شعارات الماركسية ،كما هو الحال عند المنظمات الارهابية المنتشرة في بلدان اوروبا الغربية .

٢) النهج : دفاتر الماركسية ـ اللينينية في الوطن العربي ص ٥٩ عدد ٣

٣) نفس المصدر السابق ص ٩٠

٤) نفس المصدر السابق ص ٤١ .

Digitized by Birzeit University Library

تعزيز دعائم الدولة والتمايز السياسي في بلدان الشرق

نوداري سيمونيا

Nodari
SIMONIYA

من المعروف جيدا ان التمايز الاجتماعي ـ السياسي سمة هامة للمرحلة المعاصرة من تطور البلدان التي نالت استقلالها .ولهذه المسالة جانبان لايتطابقان دائما هما : التمايز الداخلي وفق طبيعة التطور الاجتماعي والتشكلي من جهة والتمايز الخارجي وفق التوجه في السياسة الخارجية من جهة ثانية . وعند دراسة هذين الجانبين لابد للباحث ، كما هوواضح ، من ان ياخذ في اعتباره ان في اعماق التمايز السياسي للبلدان النامية تكمن عمليات تعزيز سلطة الدولة وتمتين وحدة الامة في كل من هذه البلدان . وماهذا ، بمعنى ما ، الا انعكاسا لهذه العمليات التوحيدية التعزيزية في الاساس ، ولابد لنا من الوقوف على طبيعة ومحتوى العمليات الاخيرة اذا ما اردنا الا نرى ظاهرة التمايز السياسي التي نلاحظها كومة فوضوية من الاحداث التاريخية واعمالا عشوائية تقوم بها الحكومات والاحزاب والقادة الافراد المعزولون .

اين يقع جوهر وخصوصية الاساس الذي يرتكز اليه هذا التمايز ؟

* * *

يعتبر تعزيز سلطة الدولة وتمتين وحدة الامة قضية مركزية في اي مجتمع انتقالي . ولهذه القضية في الشرق ، على اي حال ، سمات تميزها عن النموذج الغربي التقليدي . واحد اوجه الخلاف الاساسية يكمن في بنية المجتمعات مابعد الكولونيالية بالذات . ففي الانتقال من الاقطاع الى الراسمالية في الغرب كان الاقتصاد متعدد البنى الذي ورثه المجتمع يحتوي على عناصر النظام الراسمالي التي تكونت في المجتمع القديم اضافة الى الشرائح المتبقية من البنى الاقطاعية وقد تركزت المهمة الرئيسية على تحديث (عصرنة) وطحن وتحويل هذه الشرائح ، واكمال هضمها واذابتها الى درجة اكثر او اقل من جانب العضوية الاجتماعية الانتاجية البرجوازية الجديدة . اما البلدان النامية المعاصرة فقد ورثت الية اكثر تعقيدا ذات بنى متعددة و«متداخلة» او «مجمعة» تتالف من البنى الثلاث التالية : البنية الراسمالية الوطنية ، البنية الكولونيالية ، والبنية التقليدية القديمة .

وهكذا فان لقضايا التحديث وتعزيز الوحدة

Digitized by Birzeit University Library

القومية وسيادة الدولة في البلدان المستقلة حديثا وجهين خلافا لما كان عليه الوضع في تاريخ اوروبا السابق . وبالتالي ينبغي لحكومات هذه الدول ان تحل مهمة مزدوجة : فهي مطالبة من جهة بتحويل البنى الكولونيالية واذابتها في اطار الاقتصاد الوطني ، ومن جهة اخرى بـ «احتواء» البنى القديمة ، لتحديثها تدريجيا بغية ادخالها الى فلك نمط الانتاج العصري .

ومن هنا فان للدولة في بلدان الشرق الحديثة اهميتها الخاصة . فهي مدعوة لان تلعب دورا خلاقا وبناء نشيطا على جميع مستويات المجتمع بصورة عملية : على مستوى الاساس الاقتصادي (بما في ذلك مهمتها بوصفها حاملا مباشرا لعلاقات الانتاج) ، على مستويات البنى القومية والاثنية والاجتماعية ، وعلى مستوى النظام الكلي للبنية الفوقية السياسية (بما في ذلك قيامها ببناء اجهزتها المدنية والعسكرية) ، وعلى المستوى الايديولوجي (تكوين وغرس ايديولوجية الدولة ككل) .

كانت ثورات التحرر الوطني والتاكيد على اقامة الدولة الوطنية المقدمات الحاسمة التي بدونها كان من المستحيل حتى البدء بالتغلب على البنية «المختلطة» للمجتمعات . ولكن ثورات التحرر الوطني والدول الوطنية الحديثة عجزت وحدها عن انجاز هذه المهمة اي مهمة التغلب على البنية «المختلطة» للمجتمعات . وقد تطلب ذلك مرحلة تاريخية كاملة من التطور الرأسمالي او الاشتراكي التكويني المستقل . فنزعات الابتعاد عن المركز الناجمة عن تباين البنى المؤلفة للمجتمع «المختلط» والتي هدأت مؤقتا خلال عملية التحرر تعود الى السطح ثانية مع الخطوات الاولى المتخذة باتجاه التطور المستقل مضطرة حكومات الدول المستقلة حديثا الى الشروع باتباع استراتيجية تعزيز الوحدة الوطنية وترسيخ سيادة الدولة . وقد تميزت مرحلة كاملة من مراحل ما بعد الكولونيالية بمحاولات قادة الحكومات الوطنية الهادفة الى حل هذه المسألة في اطار الاشكال البرلمانية المأخوذة من الغرب . ولكن معظم هذه المحاولات باءت بالفشل .

تكمن الصعوبة الرئيسية والقضية المفتاحية في عدم تلاؤم المجتمع الواقعي (المجتمع «المختلط» ذي البنى المتعددة) مع الاطار المعلن رسميا للدولة والمجتمع (اي الدولة الرسمية الشرعية) . كانت الدولة البرجوازية في معظم البلدان الاوروبية نتيجة العملية التاريخية الطبيعية لنشوء وتطور عناصر المجتمع المدني المستقبلي في اعماق التشكيلة الاجتماعية المحتضرة واكتسابها للمزيد من المواصفات الخاصة بها خلال المرحلة الراسمالية المبكرة . ومع اتمام هذه المرحلة كان اطار المجتمع الواقعي والمدني متفقا بصورة عامة .

وبعبارة اخرى كانت

اكثرية السكان في المجتمع الواقعي تؤلف في الوقت نفسه كتلة المجتمع المدني الكبرى وتعتبر نفسها ، اولا وقبل كل شيء مواطنين في بنية الدولة المعنية ، في حين تتراجع عضوية كل منهم في الجماعات والمجتمعات الاضيق الى المؤخرة بل وتختفي تماما في بعض الاحيان .

اما بالنسبة للدولة البرجوازية الحديثة في الشرق فانها نشأت ، على الرغم من انها لم تسقط من السماء ، «من القمة ، من الأعلى» ساما نتيجة لثورات تحرر وطني ظافرة او عبر صفقات عقدت بين القوى الكولونيالية السابقة وبين الشرائح العليا من الطبقات الحاكمة . فقد وجدت هذه النظم البرلمانية نفسها بعد الحصول على الاستقلال مباشرة على قاعدة غير مناسبة اطلاقا من مجتمع «خليط» ، ينطوي على عناصر منفردة قوية جدا لتشكيل دولة مدنية «عصرية» ، ولكن هذه العناصر لم تكن في معظم الحالات كافية لضمان الفعالية المستقرة والنشيطة لدولة عصرية حقا . لذا ليس مفاجئا ان نجد الدولة البرجوازية المأخوذة من الخارج والمعلنة رسميا مجرد اطار ، مجرد شكل ليس الا ، يفتقر الى المحتوى

Digitized by Birzeit University Library

المناسب في البلدان النامية . اضف الى ذلك ان التباين بين الشكل والمضمون سرعان ماأخذ صفة مدمرة في العديد من هذه البلدان .

والحقيقة هي ان التفاعل بين الدولة البرجوازية (بشكلها المعلن - الجمهورية البرلمانية الدستورية) والمجتمع الواقعي «المختلط» يؤدي من البداية الاولى الى نتيجة متناقضة جدا . فانعدام التلاؤم بين المجتمع الواقعي ببناه الاقتصادية المختلفة مع تعدد بناه القومية والاثنية والاجتماعية الاقتصادية وبين الدولة الرسمية انتقل بصورة الية الى داخل الدولة مما اضعف ارادتها وقدرتها ازاء تحويل المجتمع الواقعي وتوحيده . فالدولة نفسها اصبحت بحاجة الى نوع من التصحيح والتعديل . لقد اصبحت الحاجة تدعو الدولة نفسها الى حد ادنى من التصحيح والتعديل . فلا بد من شكل ادنى للدولة البرجوازية ذات الاساليب والاشكال المختلفة من المركزية مع حصة اكبر من الحكم التقليدي المطلق ، المالوف اكثر بمظاهره الخارجية لدى اكثرية السكان والاكثر تلاؤما مع المهمات المطروحة في مرحلة بعينها من مراحل التطور الاجتماعي للبلدان المستقلة حديثا .

كان التعديل او التحويل الذي ادخل على الدولة الرسمية في عدد من البلدان في الشرق مختلفا من حيث العمق ، وتم تنفيذه باساليب مختلفة ، واخذ اشكالا متباينة . وقد كان التباين كبيرا بحيث تراوح بين وضع بعض القيود المحدودة على النظام البرلماني المعلن اساسا وبين استبدال النظام كله بنظام سلطوي (دكتاتوري) . وفي بعض الحالات ، اذا ما كان ميزان القوى الطبقية والاجتماعية الملموس يسمح بذلك ، تم دوس اطار الدولة البرجوازية ككل وذلك بتسلم قوى الديمقراطية الثورية لسلطة الدولة وتوجيهها لتطور المجتمع نحو الاشتراكية .

كانت المفارقة التي تسم وضع البلدان النامية تكمن في واقع ان نقطة الضعف ونقطة القوة النسبية للدولة الرسمية كلتيهما كانتا مشروطتين بالاسباب نفسها : البنية المجزأة عموما للمجتمع ، وغياب مجتمع مدني متشكل اوبنية قومية متميزة وقوية يمكنها ان تشكل قاعدة مباشرة للدولة . ففي معظم بلدان الشرق كانت البنية الراسمالية لدى نيل الاستقلال اضعف من ان تقوم بمهمة بناء النظام . فالبرجوازية الوطنية كانت ما تزال طبقة بذاتها ، كقاعدة ، وما من زمرة من زمرها كانت قادرة على الارتفاع الى ما فوق مصالحها الانانية الضيقة . بعبارة اخرى ، لم تكن لدى البرجوازية ككل مصلحة عامة كافية ذاتيا تستطيع ان تفرضها مصلحة وطنية او شاملة .

وفي ظل هذه الشروط استطاعت الاستقلالية النسبية للدولة ان تبرز الى الوجود . وبعبارة اخرى ، اذا لم يستطع اي من العناصر المكونة للبنية الموروثة من الكولونيالية ان يصبح القوة المهيمنة على الدولة الرسمية فان ممثلي الشريحة الاجتماعية ذات الاستقلال الذاتي عن كل هذه البنى هي التي تغدو هذه القوة بالضرورة . وهذه الشريحة هي البروقراطية ، المدنية والعسكرية ، والقطاعات المقابلة لها من المثقفين (القطاعات السياسية والعسكرية والتقنية وغيرها) اصبحت هي التي تمثل هذه الشريحة .

غير ان امكانية الاستقلالية النسبية للدولة لم تكن ممكنة التحقق الا بشرط ان تكون الدولة ، اضافة الى ممارستها للقهر ، (حسب متطلبات مرحلة التطور الاجتماعي الاقتصادي بالذات) ، قادرة على ايجاد الصيغة المناسبة للمساومة والتوفيق بين المكونات الرئيسية للمجتمع «الخليط» ، هذه الصيغة التي يجب ان تكون مستندة الى الحاجة لحل اكثر المهام اساسية بالنسبة لهذا المجتمع : كالحيلولة دون تمزق العضوية الاجتماعية الفتية ، وملء سيادة الدولة القومية بمحتوى اصيل ، والتغلب على التخلف الموروث من الاجيال ، والحصول على الاستقلال الاقتصادي ،

Digitized by Birzeit University Library

وتطوير الثقافة الوطنية وتنميتها والخ . . . فعلى الدولة ان تركز نشاطها على مصالح معينة لكل الجهات الرئيسية المكونة لهذا المجتمع مع البقاء في الوقت نفسه فوقها . ويجري حل هذه المهمة عن طريق مركزة البنية الفوقية ذاتها ، مما يمنحها صفات تتناسب مع الحاجة العامة الى الحفاظ على الجهات المختلفة المكونة للمجتمع داخل اطار دولة موحدة وطنية . ففي المراحل الاولية للتطور المستقل تكتسب عملية المركزة هذه في بلدان الشرق وبصورة حتمية صفة سلطوية دكتاتورية (مكشوفة حينا ومخبوءة تحت ستار من التمويه عن طريق اشكال مختلفة من البرلمانات اكثر الاحيان) .

لايعني تاسيس الدولة السلطوية الدكتاتورية سيطرتها الشاملة على سائر قطاعات المجتمع . ففي البداية لاتتعدى الامور الاعلان الرسمي عن مثل هذه السيطرة من قبل الدولة الرسمية ، وبعد ذلك فقط يجري ملء اطار الدولة الوطنية بالمحتوى المناسب الى هذا الحد او ذاك . وفي الوقت نفسه تحاول الحكومات الوطنية وقياداتها التعويض عن غياب النشاط المدني الشامل المعزز لوحدة المجتمع بحياة سياسية مفروضة «من الاعلى» . وليس السبب هنا هو رغبة الحكومات والقيادات ومشيئتها بل الحاجة الموضوعية الى مثل هذا التعويض . غير انه من المهم ، على اي حال ، الا تتحول الوسيلة المعتمدة لتحقيق الغاية الى غاية بذاتها . فالحياة السياسية لاتستطيع مهما حاولت ان تحل محل كل مظاهر النشاط المدني ودوره الموحد ، وبالتالي لايمكن حل مسالة تعزيز وحدة الدولة والوحدة الوطنية ، بالاساليب السياسية والايديولوجية وحدها (مهما كانت هذه الوسائل هامة وضرورية) .

تستمر اليوم في كل البلدان النامية عمليا شرائح لايستهان بها من البنى القديمة والكولونيالية في أن تعيش حياتها الخاصة المستقلة ذاتيا بصورة نسبية ، تتبع في توجهها مثلا قيمية مختلفة عن تلك التي توصي بها الدولة وتصفها . وولاء مثل هذه الجماعات الاجتماعية مازال مرتبطا ببعض القوى الخارجية أو البنى القديمة . وهذا بالتحديد هو السبب الكامن وراء حركات المعارضة بل والانفصال العديدة في العديد من البلدان النامية . والاستعمار الجديد يحاول استخدام هذين العاملين كليهما لخدمة مصالحه . وهذه التيارات المعادية للدولة الرسمية كما تبين الممارسة العملية يمكن ، على أي حال ، أن تعمل منفصلة أومجتمعة أوحتى أحدها ضد الاخر .

وفي الحالة الاخيرة قد تشن بعض الحركات التقليدية حربا ضد الاستعمار الجديد وتؤلف تحالفات موقتة مع القوى الاجتماعية العصرية الوطنية .

* * *

هذه هي السمات التي تميز مجموعة البلدان النامية عن الغرب وتجعلها مجتمعا معينا يحتل مكانا خاصا في الاقتصاد الرأسمالي العالمي بوصفها منطقة تخضع للاستثمار والاستغلال . وعلى مستوى السياسة الخارجية يجبر هذا الوضع البلدان المستقلة حديثا على أن تتوجد في حركة عدم الانحياز . ولكن هنالك ، على اي حال ، فروقا أساسية الى حد التطرف داخل هذا المجتمع سواء في العلاقة بين المكونات الاساسية للمجتمع «المختلط» في مختلف البلدان (البنى الاقتصادية الوطنية والبنى الكولونيالية والقديمة) أم في الطبيعة الملموسة لهذه المكونات . فهناك بلدان لم تكتف فيها الرأسمالية الكولونيالية بسحق جزء أساسي من البنى التقليدية القديمة بل وسارت أبعد من ذلك وأنتجت «نفيها» - بنية رأسمالية وطنية ، قوى اجتماعية وسياسية جديدة ، وحركة تحرر وطني جماهيرية . غير أن هناك بلدانا أخرى تم فيها الحفاظ على شرائح هامة من التقاليد القديمة حتى الان . وتوجد أيضا اختلافات هامة جدا في البنيان الداخلي لهذه البنى . وهكذا فان البلدان المعينة قد تختلف اختلافا أساسيا فيما يختص بالعلاقة بين مشاريع القطاع الخاص

Digitized by Birzeit University Library

ومشاريع الدولة في البنية الوطنية . كما يمكن للتشكيلات التقليدية أن تختلف وتتدرج(من المشاعية ـ البدائية الى الاقطاع المتأخر) . والفروق في نمط البنى الكولونيالية هي الاخرى ، أخيرا ، ليست قليلة الشأن . ففي بعض الحالات لاتزال الاشكال الكولونيالية «الكلاسيكية» هي المسيطرة محتواة في النمط الكولونيالي القديم لتقسيم العمل(على شكل مشاريع صغيرة لانتاج المواد الخام مرتبطة بدوائر العمل الكبرى للقوى الكولونيالية السابقة من خلال شبكة معقدة من الرأسمال التجاري والربوي) . وفي حالات أخرى تشغل البنى الكولونيالية المعدلة مساحة أوسع (كالمشاريع الصناعية الاجنبية في البلدان النامية نفسها) .

من الواضح تماما أن مستوى نضج المعطيات الداخلية للتحرر الوطني كان بالضرورة متدرجا مثله مثل العلاقة بين الطبقات التقليدية والعصرية والقوى السياسية في حركة التحرر وتبعا لشكل العمليات الثورية وطبيعتها في النظم السياسية ، لافاق التحولات الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية ، بما في ذلك امكانية سبق الاحداث أو التراجعات . هذه الفروق بالتحديد هي التي كونت الاساس الموضوعي للتمايز فيما بين البلدان النامية داخلياً وخارجياً على حد سواء هذا الاساس الموضوعي الذي يتميز عن الاساس الذاتي : ارادات ورغبات الحكومات والقيادات التي قد تتوافق أو تتعارض موقتا مع الاساس الموضوعي .

داخليا يجري التعبير عن التمايز بادىء ذي بدء من خلال تباين بدائل المساومات والصفقات التي اضطرت الحكومات الرسمية لأن تقبل بها بالاستناد الى الخلائط الملموسة للبنى الاجتماعية في بلادها . ولانستطيع أن نناقش هنا بالتفصيل هذه البدائل الأساسية فيها والفرعية مما يجعلنا نقتصر على الاشارة الى نماذجها الرئيسية المعبر عنها في أنماط مختلفة من التطور الاجتماعي :

١ ـ يستطيع الباحث ، أولا ، أن يستثني مجموعة صغيرة من البلدان التي حافظت على النظم البرلمانية رغم التذبذبات والتغيرات التي تعرض لها التطور الاجتماعي في الفترة مابعد الكولونيالية(مثل الهند وسري لانكا وماليزيا والخ . .) على الرغم من أن العنصر السلطوي الدكتاتوري في بعض هذه البلدان قد زاد نفوذا وقوة . وكثيرا مايحاول السوسيولوجيون الغربيون تفسير الأسباب الكامنة وراء الاستقرار النسبي لهذه النظم بخصوصية ثقافة هذه الدول وحضارتها اضافة الى التقاليد والاديان المتشكلة تاريخيا . ويشيرون الى ان بعض هذه البلدان (الهند مثلا) تحقق متوسط نمو اقتصادي بالنسبة للفرد أخفض بكثير من بلاد أخرى لم تستطع فيها الأشكال البرلمانية للحكم أن تمد جذورها . ومن هذه الحقيقة يستخلصون الاستنتاج القائل بأن أخذ العامل الاجتماعي ـ الاقتصادي بعين الاعتبار لايستطيع أن يقدم تفسيرا مقنعا لهذه المسألة .

ونحن نعتقد أن تحليل السمات الثقافية ـ التاريخية لهذا المجتمع أوذاك لايستطيع ـ وحده أن يفسر شيئا من المشكلة التي نحن بصددها وتهمنا(على الرغم من أن مثل هذا التحليل قد يشكل وجب أن يشكل اضافة مهمة وجانبا مميزا لأية دراسة تاريخية ملموسة) ، لأن هناك بلدانا لها السمات ذاتها من حيث الثقافة والحضارة لم تستطع الاشكال البرلمانية أن تترسخ فيها . بل وعلى النقيض من ذلك هناك اختلافات وفروق أساسية في الثقافة والحضارة في هذه المجموعة نفسها مما ينفي امكانية التوصل الى صياغة شاملة لتفسير استقرار النظم البرلمانية فيها . ونحن نعتقد أيضا ان من أهم الأسباب الكامنة وراء الحفاظ على هذه النظم هناك هو المستوى الاعلى من تشكل البنية الرأسمالية«الوطنية» التي لابد من الاشارة اليها(بصرف النظر عن كون الهيمنة عائدة الى رأس المال الخاص أو

Digitized by Birzeit University Library

رأسمال الدولة أو الخ . . .) .

يكمن الخلل المنهجي في رفض أهمية العامل الاقتصادي - الاجتماعي بالنسبة لاستقرار النظام البرلماني في البلدان النامية أو عدم استقراره ، في نظرنا ، في أن المؤشرات الاحصائية الرسمية للنمو الاقتصادي المأخوذة في الاعتبار عادة ماتكون وثائق تفتقر الى مايكفي من المعلومات عن النواحي التشكلية للتطور الاقتصادي - الاجتماعي الواقعي للمجتمع . ومما له أهمية حاسمة ، في هذه الحالة ، نضج النواة المشكلة للنظام ، أي البنية الرأسمالية الوطنية ، وبالتالي قدرتها على تولي الدور القيادي بالمقارنة مع الاجزاء المكونة الاخرى للبنية ، وليس حقيقة أن الاكثرية العظمى من جماهير السكان لم تدخل بعد في علاقات رأسمالية صحيحة هذه الجماهير التي لاتساهم في الانتاج الوطني العام بما يتناسب مع حجمها ولاتشغل بالتالي الا مكانة هامشية بالمقارنة مع النواة المشكلة للنظام .

٢ - يضم النموذج الثاني بلداننا لاتزال خاضعة للنظم الملكية الى هذا اليوم أو الى ايام قريبة وهي ، على أي حال ، مضطرة لأن تسير في الطريق البرجوازي للتحديث والعصرنة تحت ضغط العوامل الخارجية والداخلية . لابد لنا هنا من التحفظ والقول بأن هناك فروقا أساسية بين البلدان الواقعة في هذه المجموعة لأن الشكل الملكي قد ينطوي على محتوى متباين جدا بين بلد واخر أو في مراحل تاريخية مختلفة من تطور البلد الواحد (الملكية المطلقة في العربية السعودية ، والملكية البونابرتية الجديدة في ايران بعد الثورة البيضاء للشاه ، أو الملكية الدستورية في المغرب) . أضف الى ذلك أنه في بعض الفترات من تاريخ هذا البلد أو ذلك قد توجد ملكيات ذات نمط انتقالي أو مختلط حين ينطوي نظام بعينه على عناصر من الملكية المستبدة أو الدستورية أو البونابرتية الجديدة (مثل خليط الملكية الدستورية مع المحتوى الاستبدادي في نظام الشاه قبل عقد الستينات في ايران ، وهناك ظاهرة مماثلة في نيبال بعد عام ١٩٥١ ، الخ . . .) .

هذه الاختلافات مهمة لتحديد مدى تقدم البلد المعني على طريق التحديث والعصرنة لمرحلة ملموسة من التطور البنيوي ، ولطبيعة التغيرات الثورية أو اللاثورية ومايترتب عليها من نتائج .

وهكذا خلافا لما هي حال ايران التي شهدت منذ بداية القرن العشرين عددا من الانطلاقات الديمقراطية والتراجعات المضادة للثورة وسلسلة من الازمات في البنية الاجتماعية اضافة الى العديد من الاصلاحات المختلفة فان العربية السعودية دولة حديثة نسبيا من كل هذه النواحي ، ولايتعدى تاريخها خمسة عقود من السنين . فقد كانت تمر عبر المراحل الاخيرة من المركزة الاقطاعية حين وجدت نفسها غارقة فجأة في سوق البترول العالمية . وقد تطلب ظهور البوادر الاولى للعصرنة البرجوازية في المجتمع السعودي مايقل عن ثلاثين الى اربعين سنة من التأثير المخمر للرأسمال الاجنبي ، ولتصبح هذه البوادر ملموسة ولتحويل الملكية الاقطاعية الى ملكية مطلقة استبدادية .

مهما كانت الفروق بين البلدان الملموسة فان العصرنة البرجوازية في ظل النظم الملكية تتسم بسمة نموذجية هامة - هي سمة التناقض العميق والحاد بين القاعدة والبنية الفوقية هذا التناقض المرتبط ارتباطا وثيقا بثنائية البنية الفوقية نفسها واتصافها بالتناقض الداخلي . فحين تبدأ البنية الفوقية للملكية التقليدية ، تحت ضغط العوامل الداخلية والخارجية ، بأن تلعب ، فعلا ، دور محرك عملية العصرنة الرأسمالية للمجتمع ، مع بقائها محافظة على شكلها الملكي في جوانبها السياسية والايديولوجية ، انما تبدأ بذلك ، موضوعيا بأن تعمل في بعض جوانبها وفق طبيعة تشكيلية جديدة كليا . وهكذا فان التناقض الاول ، التناقض الموضوعي ، كامن في البنية الفوقية

Digitized by Birzeit University Library

نفسها ، هذه البنية الفوقية التي هي من الآن فصاعدا نوع من التركيب الذي يؤلف بين عناصر بنى ذات طبيعة معادية بعضها للبعض الآخر . وهذه الثنائية الاساسية للبنية الفوقية لاتعقد فقط عملها التحديثي التعصيري تعقيدا كبيرا بل وتحمل في طياتها أيضا بذور تناقضات اجتماعية ـ اقتصادية عميقة ، سرعان ماتبرز على السطح وتغدو أكثر حدة مع السير قدما في عملية العصرنة .

والظاهرة الثانية هذه تتضح بصورة خاصة وتفرض نفسها بسرعة أكبر في البلدان التي تمتلك ثروات طبيعية خاصة(مثل البترول) تحصل منها على معظم مانحتاج اليه من النقد الاجنبي الضروري للتقدم الاقتصادي . تكون عصرنة القاعدة هنا سريعة جدا وتتجاوز تطور البنية الفوقية نفسها كثيرا بتجلياتها السياسية والايديولوجية ، ومما يزيد الامر حدة أن الانجازات الاقتصادية الاولى وزيادة الدخل القومي وارتفاع مستوى الحياة الى حدود معينة مع النزوع الواضح لدى النظام الى الحفاظ على الذات ، كل هذا يشجع كثيرا التيار الداعي الى الركود والاستبداد والبيروقراطية في البنية الفوقية . وهذا يؤدي الى التناقض الهام العميق الثاني بين القاعدة والبنية الفوقية ككل . فمن جهة تجري عملية ادخال قوى الانتاج العصرية من الاعلى مثل التكنولوجيا المأخوذة من الدول الرأسمالية المتطورة ، وتشكيل عناصر رأسمالية الدولة بل ورأسمالية الدولة الاحتكارية ، ومن جهة ثانية هناك بنية سياسية قديمة لاتتحرك في أفضل الحالات الا من الملكية الاستبدادية الى البونابرتية الجديدة (بأكثر أشكالها رجعية وقمعا بوليسيا) مع البقاء أحيانا غارقة في المرحلة الاستبدادية دون حركة .

وجوهر المسألة يكمن بالتحديد في أن مراحل محددة من التطور الرأسمالي يجري القفز فوقها ، وأن هذا البديل المحدد لرأسمالية الدولة الاحتكارية مختلف عن الاشكال«الكلاسيكية» (التقليدية) في الغرب من حيث التكوين والسمات البنيوية على حد سواء .

فرأسمالية الدولة الاحتكارية في الشرق تبرز الى الوجود ، أولا ، وفق طريق معكوس ، اذ ان الدولة تظهر على المسرح لا في المرحلة الختامية لعمليات الاحتكار بل على العكس تماما تكون هي صاحبة المبادرة والمساهمة الرئيسية في هذه العمليات . ثم أن عملية الاحتكار نفسها تكون ، ثانيا ، ضيقة على الساحة الاجتماعية : لايشارك فيها الا أعضاء من النخبة الارستقراطية والبيرقراطية العالية الخ . . . من شرائح المجتمع . ورأس المال الاحتكاري الرجعي الارستقراطي البيرقراطي السريع التكون يضع يده عادة على زبدة عملية العصرنة البرجوازية ويعيق التطور الديمقراطي للرأسمالية .

ان طبيعة أصل رأسمالية الدولة الاحتكارية والفترة القصيرة نسبيا التي يستغرقها ظهورها هي التي حددت تشكلها وفق نموذج ناطحات السحاب . فهي خلافا لما هي حال رأسمالية الدولة الاحتكارية (الكلاسيكية) «التقليدية» التي هي قمة الهرم ، اذا صح التعبير ، المستندة الى قاعدة واسعة قديمة من رأس المال الخاص والانتاج البضاعي على النطاق الضيق ، لاتمتلك أية أسس ثابتة (كما هي حالها في ايران) على شكل رأسمال خاص متطور الى درجة كافية وبنى اجتماعية برجوازية صغيرة . وقد أدى ذلك الى ان يكون البناء ، بناء صرح رأسمالية الدولة الاحتكارية في عدد من الدول النامية ، هشا ومهزوزا رغم المؤشرات المثيرة على النمو السريع للدخل القومي والبناء أو البريق الظاهري عن الاوضاع الاقتصادية الجيدة للبلاد ، هذه الاوضاع التي تتركز عليها الدعاية بشكل مكثف .

٣ ـ والنموذج الثالث من البلدان تمثله أنظمة حكم استبدادية عسكرية ـ بيرقراطية كبنغلادش والباكستان والخ . .) ومدنية (كالسنغال) . كانت المحاولات الاولى التي بذلتها الاوساط البرجوازية

Digitized by Birzeit University Library

وبوائر مالكي الارض والبرجوازية الصغيرة التي استلمت السلطة في هذه البلدان ، هذه المحاولات الهادفة الى تحقيق تطور رأسمالي مستقر في اطار الديمقراطية البرلمانية المأخوذة من الغرب محكومة بالاخفاق كما ادت الى حدوث أزمات اقتصادية ـ اجتماعية وداخلية حادة . وبعد مرحلة من المواجهة طالت هنا وقصرت هناك اضطرت هذه الاوساط أخيرا الى التخلي عن المبادرة والقيادة ، بغية السير بمجتمعاتها قدما في طريق العصرنة البرجوازية ، لقوة اجتماعية ـ سياسية جديدة هي البرجوازية البيروقراطية وممثلها السياسي : البيروقراطية العسكرية والمدنية . وهذه الشريحة الجديدة تشكلت في مختلف البلدان بطرق متباينة وفي مراحل تاريخية متغايرة ، غير أن الدور القيادي لرأس المال البيروقراطي كان في كل مكان نتيجة اجتماع جهود بل واندماج اجتماعي تام بين عنصرين أو جناحين مؤلفين هما : بيروقراطية عسكرية أو مدنية فاسدة وطفيلية وحفنة صغيرة من كبار التجار ورجال الاعمال .

وما هذه النظم الا نوع من الدكتاتوريات البونابرتية أو البونابرتية الجديدة اذا أردنا أن نكون أكثر دقة . فهي ، خلافا لماهي حال سابقاتها التي قامت موضوعيا بتمهيد الطريق أمام فرض الدور المهيمن للبنية الرأسمالية الخاصة على كل البنى الانتاج الاجتماعي ، تقدم نموذجا مختلفا للثورة الاجتماعية البرجوازية . ليست البنية الرأسمالية الخاصة هي التي تغدو الالية المشكلة للنظام هنا بل رأسمالية الدولة الاحتكارية التي تنزع الى أن تتطور لتصبح رأسمالية دولة احتكارية بيروقراطية متجاوزة رأسمالية الاقتصاد الخاص بوصفها مرحلة مستقلة لعملية التطور التشكلي (رغم أن هذه الاخيرة كانت موجودة ، اما كعناصر معزولة أو كبنية متكاملة ، قبل فرض السلطة السياسية للبرجوازية البيروقراطية ، وتستمر في الوجود تحت ظلها ، وستبقى أيضا في مرحلة هيمنة رأسمالية الدولة الاحتكارية البيروقراطية) . ويجب القول هنا ان رأسمالية الدولة الاحتكارية البيروقراطية قد نشأت في بعض هذه البلدان (تايلاند) أو تم تشكل عناصرها الاولى والهامة جدا (كما هي الحال في اندونيسيا على سبيل المثال) .

رغم التماثل الواضح للاوضاع التاريخية الموضوعية في هذه البلدان وفي البلدان الملكية يبقى هناك فرق أساسي ، في نظرنا ، في طبيعة البنية الفوقية بالذات ، هذه البنية الفوقية التي توجه وتنفذ عملية الثورة الاجتماعية البرجوازية برمتها . ففي النظم الملكية تقوم البنية الفوقية التقليدية باستخدام البيروقراطية بوصفها أداة للعصرنة أو التحديث ، أما في ظل النظم البونابرتية الجديدة فان البيروقراطية هي نفسها صاحبة المبادرة في هذه العملية ، ولاتخضع لاية من القيود العديدة التي تفرضها العلاقات والروابط والالتزامات الاقطاعية والعشائرية والهرمية وغيرها . هذا لايعني أن التقليدية لاتلعب أي دور في البلدان الخاضعة للنظم البيروقراطية العسكرية ، ولكن أهميتها ومقاومتها للنهوض الاجتماعي البرجوازي يكون على الاقل أضعف وأدنى ولو بدرجة واحدة .

ومثل هذا الوضع يجعل هذه النظم موضوعيا أكثر مرونة وأقدر على تبني متطلبات العصرنة البرجوازية على الرغم من أن الشيء الكثير يبقى في الوقت نفسه معتمدا على الطبيعة الملموسة للعامل الذاتي .

ترفض جميع هذه النظم والديمقراطية الخاضعة للسيطرة العسكرية ، البرلمانية الغربية بحدة أقل أو أكثر ، وتدعو الى الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية . وفي الوقت نفسه لاتسمح الطبقات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ذات الحصة الاكبر في البنيان الاجتماعي لمجتمعات هذه البلدان في ظل الوضع السياسي الراهن وتقاليد الحياة السياسية للنظم العسكرية أن تلجأ الى أسلوب قمع الاحزاب

Digitized by Birzeit University Library

والغائها . وذلك هو السبب الكامن وراء نشوء المؤسسات التمثيلية بأكثرية مؤيدة للحكومة ، كما تجري صياغة دساتير تضمن عمليا الدور المهيمن للجيش في منظومة الاجهزة التشريعية والتنفيذية للسلطة . ويجرى الاعلان عن أن الجيش هو ضامن وحامي» الاستقرار السياسي و«التوجه الصحيح» لنشاط مؤسسات البنية الفوقية كلها .

٤ ـ لابد للباحث من أن يستثني بشكل خاص مجموعة أخرى من البلدان تجري فيها عملية العصرنة والتحديث بافاق وتوجهات اشتراكية . فالديمقراطية الثورية أتت الى السلطة في هذه البلدان بأحد الطرق الاتية : إما لأن المبادرة السياسية انتقلت اليها في مرحلة القتال في سبيل التحرر الوطني (مثل الجزائر ، موزمبيق ، أنجولا ، الخ . .) ، وهكذا كان استلام السلطة نقطة البداية للتوجه الاجتماعي الجديد في الوقت نفسه ، أوجاءت الى السلطة نتيجة أزمة عميقة تعرضت لها البنية الاجتماعية عجزت البرجوازية الحاكمة والاوساط اليمينية من البرجوازية الصغيرة عن حلها على ارضية اصلاحية أو استبدادية (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، بنين ، مدغشقر ، بورما ، وغيرها)

تواجه الديمقراطية الثورية أيضا قضايا تعزيز الدولة والوحدة الوطنية هذه القضايا التي تتفاقم أكثر مع بروز المهمات الجديدة المترتبة على السير في طريق التوجه الاشتراكي . ففي الدول التي تحقق فيها هذه الديمقراطية في انجاز نوع من التحالف الواقعي والضروري ، نوع من التحالف يأخذ في الاعتبار الطبيعة الواقعية للمجتمع الواقعي ومستلزمات التوجه الاشتراكي ، هناك خطر الانحراف عن مثل هذا التوجه (كما حصل في غانا ومالي في النصف الثاني من عقد الستينات وفي مصر والسودان والصومال وغيرها في عقد السبعينات) .

أما بالنسبة للتمايز الداخلي فمن الممكن تحديد مجموعتين مختلفتين بين البلدان ذات التوجه الاشتراكي . تختار الديمقراطية الثورية في احداها عمليا ومن البداية الماركسية اللينينية كأساس ايديولوجي لنشاطها السياسي وتوجد أحزابها الطليعية الثورية وتتبع المبادىء الاممية .

ومن الايام الاولى تتخذ التحولات الاجتماعية الثورية أشكالا أكثر تطورا من الديمقراطية الشعبية . أما قوى الديمقراطية الثورية في المجموعة الثانية فتتميز بتبني البدائل «القومية» للاشتراكية ، وبالاقلال من اهمية الصراع الطبقي والطبيعة الطبقية للسلطة المؤهلة لأن تنفذ الخط المتناسب مع التوجه الى اعادة بناء المجتمع بناء اشتراكيا .

* * *

تكمن الاختلافات في طبيعة البنية الاجتماعية للبلدان النامية في الشرق أيضا وراء تمايزها من حيث سياستها الخارجية . ولابد من الاخذ في الحسبان ان هذا التمايز لايتوافق دوما من كل الجوانب مع التمايز البنيوي الاجتماعي الاقتصادي الداخلي في هذه البلدان . فتورط أحد البلدان النامية في نزاع محلي قد يكون عاملا هاما يؤثر على توجهه في السياسة الخارجية . ومثل هذا التورط قد يسبغ موقتا لونا معاديا للامبر يالية الى حدود معينة لنواح محددة من السياسة الخارجية لنظام يدور في الفلك الامبر يالي بشكل عام ، كما هي الحال في الشرق الاوسط على سبيل المثال .

ومع ذلك فان هناك قوانين محددة لتمايز السياسة الخارجية في البلدان النامية استنادا الى طبيعة تطورها البنيوي تغدو واضحة على خلفية تاريخية عريضة الى هذا الحد أوذاك . وأحد هذه القوانين يؤكد على أن الدول حيث تكون حصة الانتاج من أشكال الانتاج الموروثة من الكولونيالية قليلة نسبيا في اجمالي الانتاج القومي العام ، وحيث تكون عملية تشكل السوق الداخلية متقدمة الى درجة كافية لتؤدي دور القاعدة الاساسية لتكوين وتقوية البنية الرأسمالية الداخلية (بما

Digitized by Birzeit University Library

فيها أشكالها الخاصة والتابعة للدولة) ، يؤكد على ان هذه الدول تتسم باتباع خط مستقل في السياسة الخارجية وتلعب دورا ايجابيا نشيطا في حركة عدم الانحياز (الهند وغيرها) . أما التوجه الامبريالي أو الدوران في الفلك الامبريالي ، كقاعدة (ولكنها ليست بلا استثناءات) فتتبعه بلدان تكون فيها المكونات الكولونيالية المعتمدة على التخصص بالمواد الخام المرتبطة ارتباطا وثيقا وخاصا بتقسيم للعمل غير متساو . ولعل أبرز مثال على ذلك مثال ارتباط مجموعة كبيرة من البلدان المتحررة حديثا (الافريقية خصوصا) بالسوق الاوروبية المشتركة .

قد تلعب السلطة السياسية بالطبع ، دورا نشيطا بل ومستقلا نسبيا كما اشرنا من قبل . اذا مكن ميزان القوى الملموس العناصر البرجوازية الصغيرة الراديكالية من استلام السلطة فقد تحاول هذه العناصر أن تتبع سياسة معادية للامبريالية رغم التبعية الشديدة التي يعاني منها اقتصادها لتقسيم العمل الرأسمالي العالمي . كما كانت حالة اندونيسيا مثلا في ظل حكم سوكارنو . ولكن الطبيعة النسبية لاستقلالية سلطة الدولة في مثل هذه الظروف تبرز بالتحديد عبر واقع أن من غير الكافي الاقتصار على الاعمال المعادية للامبريالية في السياسة الخارجية وحدها . فالعداء الثابت للامبريالية في السياسة الخارجية يجب أن يتعزز بتحولات داخلية جذرية في الميادين الاجتماعية والاقتصادية ، والا فان العلاقات التقليدية في قلب الاساس سينسف مثل هذه البنية الفوقية السياسية غير المنسجمة . وبالمقابل فان الهند على الرغم من أنها لم تظهر أشكالا حادة وعنيفة من العداء للامبريالية على مستوى الدولة في سنوات الاستقلال فانها خطت على اى حال خطوات هامة الى الامام في تكوين خط مستقل حقا في السياسة الخارجية وفي الاقتصاد .

وفي عقد السبعينيات تأثرت عمليات التمايز السياسي في البلدان المستقلة حديثا تأثرا كبيرا بعوامل متداخلة ومترابطة مثل عدم التكافؤ في التطور الرأسمالي في هذه البلدان وزيادة النظرة الانتقائية التفضيلية اليها من قبل الدوائر الاستعمارية الجديدة في الغرب .ونتيجة لذلك نشأت مراكز للتأثير المالي وبؤر للانتاج الصناعي من أجل التصدير في البلدان التي سارت على طريق التطور الرأسمالي .

وفي الحالة الاولى نشير هنا الى بلدان الاوبيك المحافظة التي تمتلك احتياطات هائلة من البترودولار . وارتباطها بالامبريالية يتحقق من خلال منظومة اعادة دوران سيول البترودولار في الاسواق المالية الغربية ، ومن خلال العقود التي تحقق الارباح الاسطورية للشركات متعددة الجنسيات من أجل انشاء وبناء المشاريع الصناعية والقاعدية ومشاريع الابهة المجردة على شكل «اتفاقات ثلاثية» ، وتقدم فيها الشركات متعددة الجنسيات التكنولوجيا والمعدات والاختصاصيين في حين تقدم احدى الدول العربية الغنية الموارد المالية الموظفة في هذا البلد (النامي)أوذاك .

لقد تحول العديد من بلدان الاوبيك اليوم الى مصدر رئيسي للتمويل بالنسبة لعدد من البلدان النامية . ففي عام ١٩٨٠ بلغ حجم المساعدات النقدية التي قدمتها دول الاوبيك العربية بموجب اتفاقيات ثنائية أوعبر منظمات دولية ٦٨٠٠ مليون دولار (مقابل ٣٦٥ مليون دولار في ١٩٧٠) .

حتى أن الاستعمار الجديد مستعد لافساح المجال أمام تلك التي تساهم بسخاء لتحتل أمكنة بارزة في المنظمات المالية الخاضعة للسيطرة الامبريالية والتي تحظى باهتمام المستعمرين الجدد الخاص جدا (كما هي حال العربية السعودية التي حصلت على مستوى أعلى من التمثيل في صندوق النقد الدولي

اما الحالة الثانية فنجدها في البلدان ذات المساحات الصغيرة نسبيا التي تجتذب الشركات

Digitized by Birzeit University Library

متعددة الجنسيات بانخفاض سعر القوة البشرية الموصوفة وبالشروط الممتازة لنشاطها (مثل سنغافورة ، هونغ كونغ ، تايوان ، وكوريا الجنوبية) . فقد استطاع رأس المال المحلي أن يدخل في قلب الشركات متعددة الجنسيات بوصفه شريكا أدنى وأن يطور بسرعة مُروعا جديدة من الصناعات التحويلية لتصدير المنتجات الى البلدان النامية الاخرى والبلدان الرأسمالية المتطورة على حد سواء .

تبرز عمليات التمايز في السياسة الخارجية أيضا في حركة عدم الانحياز . ففي داخل هذه الحركة يستطيع المراقب أن يلاحظ ذلك الجناح اليساري الثابت في عدائه للامبريالية والوسطيين المعتدلين ، جنبا الى جنب مع الجناح اليميني المحافظ المستعد لعقد الصفقات مع الامبريالية حول القضايا الاساسية بما في ذلك استراتيجية الكفاح ضد الكولونيالية الجديدة . وفي هذه النقطة تكتسب مسألة عدم التجانس في طبيعة العداء للامبريالية لدى المجموعات المختلفة من البلدان النامية الان أهمية خاصة . فالوجوه المتعددة للعداء للامبريالية تزداد وضوحا وتميزا . وهذا التنوع يتحدد من الفوارق في المحتوى الداخلي أي من تنوع تطلعات القوى الاجتماعية السياسية (ديمقراطية ثورية ، برجوازية وطنية ، تقليدية الخ . .) التي ترفع شعار العداء للامبريالية . وهذا الواقع يحتم امكانية حدوث المزيد من التمايز فيما بين الدول والبلدان النامية .

وهكذا فان النتيجة الحتمية التي تترتب على بلدان التوجه الاشتراكي . حيث الديمقراطية الثورية في السلطة ليست فقط الحفاظ على العداء للامبريالية وتعميقه بل والشروع أيضا بالتركيز على الجوانب الاجتماعية اضافة الى الجوانب الوطنية . فحيث تتمكن البرجوازية المحلية من السيطرة على روافع الدولة فان تعزيز مواقع الرأسمالية الوطنية ونمو نزعات رأسمالية الدولة الاحتكارية ستؤدي الى الاضعاف التدريجي للعداء للامبريالية وتوريط هذه الدول والبلدان في منظومة من التناقضات الموجودة في أساس النظام الرأسمالي العالمي . أما العداء الحديث للامبريالية الذي تبديه القوى التقليدية فهو متسم بعدم التجانس أيضا . إنه خليط من الدوافع البرجوازية المحافظة والبرجوازية الصغيرة الراديكالية ، والداعية الى المساواة والقرسطية الرجعية . ان التطور اللاحق والمصير المنتظر لمثل هذا النوع من العداء للامبريالية يتوقفان : على تعميق علاقاته مع القوى الديمقراطية الثورية بل والاندماج بها ، وعلى مساومتها واتفاقها مع الدوائر البرجوازية الوطنية ، أو اختفائها من المسرح السياسي ، ان النتيجة تعتمد قبل كل شيء على ميزان القوى الملموس بين القوى السياسية في البلد المعني .

لقد أصبحت نزعات الاندماج خارج حركة عدم الانحياز هي الاخرى واضحة المعالم في السنوات الاخيرة . وهي ظاهرة بصورة خاصة من زيادة التعاون اتساعا وعمقا بين بلدان التوجه الاشتراكي في مختلف المجالات فيما بينها هي نفسها من جهة ومع بلدان المنظومة الاشتراكية من جهة ثانية . أما تسريع عملية التطور الرأسمالي في عدد من البلدان النامية فقد أدى الى بروز نزعات الى تشكيل اتحادات اقليمية مستندة الى التماثل في أنماط البنى (ولعل جماعة «الاسيان» هي أبرز الامثلة على ذلك في القارة الاسيوية) . وبصورة ملفتة للنظر ونموذجية يتحول التوجه البرجوازي الى توجه أكثر تحديدا ووضوحا بين الدوائر الاصلاحية في الدول الاسيوية والافريقية التي تبنت في السابق مفاهيم عن طريق «خاصة» و«ثالثة» للتطور . ويجري التعبير عن هذه الميول على المستوى العالمي من خلال تعزيز التحالف بين القوى الاصلاحية والاممية الاشتراكية (الاممية الثانية) التي أخذت شكلا محددا بعد تأسيس المنظمات الاقليمية (الافريقية والاسيوية) للاممية الاشتراكية عام ١٩٨١ .

Digitized by Birzeit University Library

أما الدول التي تم الحفاظ فيها على عناصر أساسية من التقليدية فتقوم بدورها ببذل الجهود أيضا بغية الاندماج بمثيلاتها على المسرح العالمي . ويصح هذا تماما وبشكل خاص بالنسبة للبلدان الاسلامية . لم يعد من الممكن بالطبع النظر الى الفكرة التقليدية الصافية القديمة القائلة بوجوب توحيد الشعوب الاسلامية في دولة اسلامية واحدة نظرة جدية . فالمؤتمر الاسلامي الذي تأسس عام ١٩٦٩ والذي يضم أربعين دولة اضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية ماهو الا انعكاس باهت للماضي التقليدي . وفي بنيتها

تعاني هذه المنظمة من عدم الانسجام الكامل اذ تجمع دولا ذات توجه اشتراكي الى بعض النظم الاكثر رجعية ومحافظة . وهذه الاخيرة كانت هي المبادرة الى العمل لاقامة هذه المنظمة بهدف استخدامها لخدمة أغراضها .

* * *

يؤكد تحليل عمليات التهايز الاجتماعي السياسي في البلدان النامية تأكيداتاما صحة ماجاء في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي أمام المؤتمر السادس والعشرين لهذا الحزب فيما يتعلق بالوضع في هذا الجزء من العالم حين قال : «ان هذه البلدان مختلفة كثيرا . فبعد التحرر سار البعض على طريق الديمقراطية الاشتراكية في حين ترسخت العلاقات الرأسمالية في بعضها الاخر . بعضها يتبع سياسة مستقلة حقا في حين يسير البعض الاخر خلف قيادة السياسة الامبريالية[1]» ان القانون الذي اكتشفه لينين ، قانون التطور غير المتكافىء في الرأسمالية نافذ اليوم أيضا في البلدان المستقلة حديثا بل ويبرز هنا أكثر وضوحا مع نزوع العالم نحو تسريع عمليات التطور الاجتماعي . ومن الواضح أن التهايز فيما بين البلدان النامية سيكتسب أهمية أكبر في خط سير الاحداث العالمية وسيمارس تأثيرا متزايدا على التحالفات العامة للقوى في العالم .

عن مجلة النهج

(١) وثائق ومقررات ـ المؤتمر ٢٦ للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، موسكو ١٩٨١ ، ص١٦

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب، عدد 53، 5 ايلول، 1984

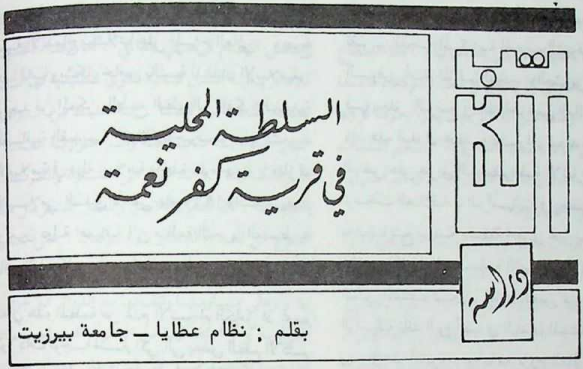

السلطة المحلية في قرية كفر نعمة

بقلم : نظام عطايا ـ جامعة بيرزيت

مقدمـــــــة :

تكتسب الكتابة عن السلطة المحلية اهمية خاصة على مستوى المناطق المحتلة وفي ظل الظروف الراهنة تحديدا، وهذه الاهمية تنبع من غياب السلطة السياسية الوطنية المباشرة بكل ادواتها من جهة، ومن الجهة الاخرى تمزق وانتهاء اشكال السلطة التقليدية العتيقة والتي اكل الدهر عليها وشرب . في ظل هذا الفراغ السلطوي وفي ظل المتغيرات الجديدة على مستوى الواقع والعلاقات الاجتماعية وما يعنيه ذلك على المستوى السياسي من تجذير للمفاهيم السياسية وتوسيع لنطاق نفوذها ، فانه يبرز بالحاح السؤال التالي : كيف يمكن ملء الفراغ القائم ؟ بحيث يتجاوب مع هذه المتغيرات وما هي ادواته ؟ والسؤال قد نجيب عليه وهو ان الدولة الفلسطينية المستقلة هي الاجابة الشافية ! ولكن ادوات تحقيق هذا المطلب ومهمة شحذ هذه الادوات يعترضها العديد من العراقيل منها السطحية في التفكير ومحدودية هذا التفكير والذي ما زال في بعض نقاطه يعيش اجواء ما قبل عام ١٩٦٧م.

وهذا الموضوع ليس جديدا على مستوى الفكر السياسي ، حيث ان العديد من المفكرين السياسيين قد تحدثوا عن المفاهيم التي تحكم حركته كمفهوم السلطة والنخبة والقوة والحراك الاجتماعي والتعليم الخ ... هذه المفاهيم تم الحديث عنها اما بشكل منفرد، كل مفهوم على حده او بشكل شمولي ترتبط فيه كل هذه المفاهيم مع بعضها البعض تؤثر وتتأثر وعلاقة هذه المفاهيم بالبنية الاجتماعية للمجتمع المعين ومدى تأثرها بالمتغيرات الطبقية في هذا المجتمع . وبطبيعة الحال فان هناك اراء متباينة من هذه المفاهيم لعلماء الاجتماع

Digitized by Birzeit University Library

والسياسة فمنهم من يخدم مصالح البرجوازية وراس المال بشكل عام،ومنهم من يخدم في معالجاته وتحليله لهذه المفاهيم مصالح الطبقة العاملة وجماهير الكادحين .وحول مفهوم الطبقة الحاكمة اوضح ماركس انه باستثناء المجتمعات البدائية نجد التاريخ الانساني بمراحله المختلفة يشهد طبقتين الاولى حاكمة تملك الوسائل الاساسية للانتاج وتمد سيطرتها على المجالات الثقافية والعسكرية والاجتماعية،والثانية محكومة لا تملك سوى قوة عملها ،وأن هناك صراعا دائما بين هاتين الطبقتين (السادة والعبيد ،كبار ملاك الارض والاقنان ، البرجوازية، والبروليتاريا)وبركز ماركس تحليله للطبقةالحاكمة في المجتمع الرأسمالي ، ويقول بأن اختفاء المجتمع الرأسمالي هو أمر حتمي تفرضه طبيعة القوانين التي تحكمه وهذه القوانين سوف تسهم في انهيار الرأسمالية وتدعيم الوعي الطبقي للبروليتاريا بما يؤدي في نهاية الامر الى ظهور مجتمع شيوعي خال تماما من الطبقات،ومن هنا يبدو واضحا ان الطبقة الحاكمة عند ماركس تكتسب سيطرتها من خلال تحكمها في وسائل الانتاج وأن ذلك يؤدي بها في نهاية الامر الى تشكيل النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية بطابع خاص يتلاءم مع اوضاعها .ومقابل هذا فانموسكا يرى بأن الصفوة يجب ان تتألف اساسا من الطبقة الوسطى اى من افراد الطبقة الوسطى وان المواهب والمزايا التي تتمتع بها هذه الطبقة تضمن لها سيطرة دائمة ويعتبر موسكا ان المهارة السياسية هي التي تحدد من الذي سيحكم والى أي اتجاه سيتغير ميزان القوى اما ماركس فيعتبر القائد السياسي ما هو الا تعبير عن الطبقة الاقتصادية المسيطرة ،كما ان علماء الصفوة البرجوازيين يعتبرون ان التوترات الاجتماعية نتاج للصراع الذى قد ينشأ بين الصفوة السياسية القائمة وأية صفوة منافسة اخرى تظهر لمنافستها في الاخذ بمقاليد القوة . بعكس ماركس فان التوترات الاجتماعية تعود الى الصراع بين الطبقة التي تملك وسائل الانتاج والتي تحكم بالتالي والطبقة او الطبقات المحكومة التي يفرض عليها وضعها الاقتصادى اتخاذ موقف معاد من الطبقة الحاكمة . ويعتبر علماء الصفوة البرجوازيون وعلى رأسهم موسكا وباريتر أن الصفوة تتألف من اولئك الذين يحصلون على أعلى الدرجات في مجالات نشاطهم . وعلى مستوى البلدان النامية فان هناك اجماع بين العديد من العلماء الاجتماعيين على وجود مجموعة من الصفوات" يبدو انها شائعة في معظم البلدان النامية ، من ذلك الطبقة الوسطى والمثقفين الثوريين والقادة الوطنيين، وهناك في الواقع "صفوات" اخرى توجد في بعض الدول النامية كالصفوة ذات الصلة بالجماعة الحاكمة وتضم كبار ملاك الارض او الارستقراطية التجارية والدور الذى تلعبه هذه الصفوةمحدود دائما بمصالحها الخاصة واستمرار الاوضاع القائمة ، ولقد احدثت هذه الصفوة بعض التعديلات الطفيفة كتشجيع فرص الحراك الاجتماعي لبعض الجماعات بيد ان ذلك لا يستطيع وحدة تحقيق الاحتياجات الجماهيرية المتمثلة في النمو الاقتصادى السريع وارتفاع مستويات المعيشة وتحقيق عدالة التوزيع في الدخول الاقتصادية الخ ...

ان الفهم العلمي للسلطة بشكل عام لا يمكن رؤيته خارج حدود البنية الاجتماعية والطبقية للمجتمع حيث ان السلطة ليست فوق الطبقات ولا خارج حدود الزمان والمكان كما

Digitized by Birzeit University Library

يدعي العلماء البرجوازيون في محاولة لتبرير استمرارية قمع العنصر الانساني . بل ان السلطة هي جزء من البناء الفوقي تتحرك في حدود الزمان والمكان بمعنى ان لها بعدها التاريخي، هذا البناء هو وليد مستوى ومضمون محدد للقوى والعلاقات الانتاجية الموجودة في المجتمع كما يتحرك ايضا على ايقاعات حركة العلاقات الانتاجية والاجتماعية وتحولاتها . وهذا الاطار يجد تعبيراته ولكن باشكال مختلفة في كل المجتمعات ، ففي بلدان العالم الثالث بالرغم من تعقيدات وتشابك العلاقات الانتاجية ضمن الاطر الطائفية او الاطر العائلية ، الا ان هذا لا يعني ان قوانين الماديةالتاريخية تستثني هذه البلدان ، بل ان تجليات هذه القوانين تختلف من بلد لاخر تبعا لتباين واختلاف الميزات الخاصة بكل بلد ، والمهم ان جوهر الفعل واحد . ففي فلسطين مثلا وبالرغم من تعقد الوضع الفلسطيني الا اننا نرى فعل الواقع المادى الاجتماعي على البنية الطبقية والسياسية وحتى التنظيمية للحركة الوطنية الفلسطينية والممارسة السياسية اليومية بأن هذه السلطة تعكس وان كان بصورة غير مباشرة الواقع الفلسطيني بفئاته وطبقاته المختلفة وايضا بحركته التاريخية عند الحديث عن تشكيل هذه السلطة السياسية وتطورها . وبناء عليه لاحظنا مؤخرا تراجع سياسي واضح لبعض القوى الفلسطينية التي ما زالت تعيش سياسيا في العديد من مواقفها مع القيادة التقليدية والاقطاعية الفلسطينية التي كانت على رأس الحركة القومية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ ، كما نلاحظ ايضا الافلاس النظرى والعملي لشعارات البرجوازية الفلسطينية بكافة قطاعاتها ، واحتلال البديل الحقيقي والثورى الممثل للعنصر الجديد "الطبقة العاملة" الذى بدأ يأخذ دوره المحورى في العديد من القضايا التي تهم النضال الوطني الفلسطيني ، ونحن هنا لسنا بصدد التنظير السياسي ــ كما قد يفهم ــ بل من باب التدليل بأن التنامي في حركة الواقع المادية كفيلة باسقاط واستبعادكل الهياكل المتحجرة التي اصبحت تقف حجر عثرة امام اى تطور لاحق . وهنا لا بد من الحديث عن العوامل الاخرى التي تؤثر في هرمية السلطة بشكل عام حتى لا نقع فريسة التقييد الاقتصادى اى اعتبار العامل الاقتصادى لوحده وفقط هو يؤثر على مجريات حركة الواقع المادية ، فهناك عوامل اخرى تسرع من هذه الحركة او تبطئها ، فالبنية الفوقية من سياسة وحقوق وفن ودين وايديولوجيا تؤثر بهذاالقدر او ذاك على البنية التحتية المادية واجمالا كل مظاهر واشكال الوعي الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية تؤثرهي ايضا ولكن يبقى الدور الحاسم للعلاقات الانتاجية المادية ونأمل ان نكون بهذا المدخل قد استطعنا التمهيد لهذا البحث واعطائه الاطار النظرى المناسب .

الموقع الجغرافي للقرية

تقع قرية كفر نعمة الى الغرب من مدينة رام الله وتبعد عنها عشرةكيلومترات وتقع القرية على سلسلة جبلية منخفضة ممتدةعلى مسافة ٢ر٥ كم ويبدو شكلها شريطيا والقرية القديمة تقع على تلة منخفضة بمحاذاة هذه السلسلة .والقرية الجديدة تمتد حول الشارع الرئيسي الموصل الى رام الله والوحدات السكنية ما زالت تحتفظ من حيث موقعها بالطابع الممتد

Digitized by Birzeit University Library

للعائلة بمعنى أن الاخوة المتزوجين يبنون البيوت الجديدة في نفس قطعة الارض ولكن كل واحد له بيته الخاص في اطار قطع الارض الواحدة ، ويلاحظ ذلك في التجمعات السكانية الصغيرة . تعتمد القرية على مياه الابار في الشرب ، حيث كانت في السابق حتى فترة الستينات من هذا القرن تعتمد على النبع الوحيد الموجود شمال القرية ، حيث كانت النساء تحمل المياه من هذا النبع الى بيوتهن وتجدر الاشارة الى ان النبع كان احد مراكز التجمع للنساء يتبادلن الحديث حول همومهن واوجاعهن (وقد تم تخريب هذا النبع لكونه يضر بأراضي احد الفلاحين) وتعتمد القرية في الاضاءة على المصابيح المضاءة بالكاز " الا انه ويفعل جهود بذلت مؤخرا فقد بدأ العمل على مد شبكة كهرباء من شركة كهرباء القدس ، حيث كانت هناك مساعي من قبل روابط القرى لربط القرية بشبكة الكهرباء القطرية الاسرائيلية الا ان هذه المساعي فشلت . ان الموقع القديم للقرية " القرية القديمة" يقع على تلة عالية نسبيا وهذه التلة تفصلها عن الجبال المحيطة شلالات ووديان عميقة من الجهات الثلاث والجهة الجنوبية مرتبطة بالسلسلة الجبلية الموجودة فيها القرية حاليا ، واختيار هذا الموقع كما يبدو من قبل السكان القدامى للقرية لم يكن بالصدفة بل يرتبط بتاريخ بناء القرية ، وبناء على روايات العديد من كبار السن في القرية فان الاجماع يقول بأن تاريخ القرية يعود الى فترة الرومان ، حيث أن سكان القرية الاصليين جاءوا من موقع قريب من مكان القرية الحالي وكان يسمى " عطرانة" وما زالت معالم عطرانة الاثرية ماثلة حتى الان . ويفعل خلافات دارت بين قبيلتين في القرية الرومانية أدت الى اشتباكات دموية وكان سببها الظاهري ان احد الشبان من احدى هاتين القبيلتين احب فتاة من القبيلة الاخرى والذى

لم يكن مستساغا ، الامر الذى دفع جزءا من القبيلة التي تنتمي اليها الفتاة الى الهجرة ، حيث سمي المكان الذى استقروا فيه " كفر نعمة" باسم الفتاة ، وبناء على هذه التسمية يمكننا ان نستنتج كاحتمال بأنه كان للفتاة دور مرموق عند هؤلاء الذين استقروا في المكان الجديد واذا صح ذلك فينبغي ان ينعكس على موقع المرأة في قرية كفر نعمة .. وهذه احدى المدلولات الممكنة وهي قابلة للنفي او الاثبات بالاستناد الى دراسة اكثر عمقا لتاريخ القرية . لقد تم اختيار المكان الحالي للقرية كما يبدو لمقتضيات دفاعية خصوصا على اثر المعارك التي نشبت مع القبيلة الاخرى ، حيث تم تركيز كل الجهود الدفاعية في الجهة الجنوبية ، حيث يلاحظ ان هذه الجهة حاليا تتميز بسمك جدران البيوت الموجودة فيها وأن البيوت متلاصقة بشكل سور ، واختيار الموقع والذى يتميز بالوعورة وعدم وجود اراض زراعية سهلة يمكن أن تشكل احدى المغريات ، يدفعنا للوصول للاستنتاج السابق حول اختيار المكان .

الوضع الاقتصادى للقرية

تتميز اراضي القرية بأنها اراض جبلية وعرة وتنعدم فيها تقريبا الاراضي الزراعية السهلية والخصبة باستثناء الاشرطة الضيقة من الارض المحاذية للوديان وما دون ذلك فهي اراض وعرة وبور في اغلبها ومزروعة بالزيتون والعنب والتين لكون هذه الاشجار قادرة على

Digitized by Birzeit University Library

النمو في الاراضي الوعرة . ولهذا فان المحصول الرئيسي في القرية هو الزيتون بالدرجة الاولى ، ونظرا لوعورة اراضي القرية وعدم صلاحيتها للزراعة فان روايات كبار السن في القرية القائلة بانه حتى عام ١٩٤٨ فان جزءا هاما من اقتصاد القرية يعتمد على تربية المواشي ، وهذه الروايات تدلل على ان القرية كان موقعها في تقسيم العمل هو تربية المواشي والرعي ، نتيجة لوعورة الارض وعدم وجود الينابيع للرى . وهذا الوضع يجعلنا نرى فيما بعد بأن وسيلة الانتاج المطوكة من قبل الناس ليست الارض فقط بل والمواشي كذلك ، ولكن الوضع لاحقا استبعد من دورالثروة الحيوانية في اقتصاد القرية لصالح الزراعة لعوامل الميل نحو "التحضر" من جهة ومن جهة اخرى ارتباط القرية كجزء من فلسطين بالسوق الراسمالي العالمي وما يعنيه ذلك من توسيع وتنشيط للعلاقات السلعية النقدية ، كما ان السيطرة الاستعمارية العسكرية لعبت دورا في نفسية مربي المواشي حيث نشأ عدم الاستقرار والامن ، كما ان تغلغل النزعة الاستهلاكية المرافقة لارتباط الاقتصاد الفلسطيني الريفي بالسوق الرأسمالي العالمي دفع مثلا الرعاة "مربي المواشي" الى بيع مواشيهم وبناء البيوت الحديثة ، ناهيك عن التأثيرات التي تركها الاستيطان الصهيوني في فلسطين على كل الريف الفلسطيني وما كان يرافق هذا الاستيطان من اجواء وممارسات ارهابية . وقبما بعد وخصوصا في ظل الاحتلال الاسرائيلي نلاحظ ان الزراعة اصبحت تلعب دورا هامشيا في اقتصاد القرية، والجدير بالملاحظة عند الحديث عن الوضع الاقتصادى للقرية بأن هناك مورد آخر اقتصادى اعتمدت القرية عليه في السابق وما زالت حتى الان في حدود معينة وهذا المورد مرتبط بدور النساء بالاساس داخل القرية . ويعتمد هذا المصدر على ما تنتجه الطبيعة بشكل جاهز حيث ان مهمة النساء هي قطف ثمار هذا الانتاج للطبيعة وتسويقه في مدينة رام الله، ومنتجات الطبيعة هذه مثل "المرميا" و"الزعتر" ... الخ ، وهذا العمل الخاص للنساء قد اعطى وضع المرأة وموقعها في القرية بعدا جديدا وهذا البعد تجلى في العلاقات الداخلية للعائلة وفي دورها في اتخاذ القرار على مستوى القضايا التي تهم العائلة ، ونضيف هنا مصدر آخر لاقتصاد القرية ودخلها والذى برز في الستينات من هذا القرن وهي اموال المغتربين الا ان هذه الاموال حتى الان ما زالت تلعب دورا هامشيا . ويمكننا ان نحدد نسب مئوية تقريبية لكل مورد اقتصادى ومدى مساهمته في الاقتصاد الاجمالي للقرية في الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الثانية وحتى اواخر الستينات ، الزراعة المعتمدة على الزيتون بالاساس يشكل حوالي ٨٥٪ . المنتوجات المستخلصة من الطبيعة بشكل جاهز حوالي ٧٪ . اموال المغتربين ٥٪ تقريبا ومصادر اخرى كالمواشي ٣٪ تقريبا ، وينبغي الاشارة هنا الى ان التجارة تدخل ضمن الـ ٣٪ ويتمركز العمل التجارى في فتح الدكاكين " بالاعتماد احيانا على اموال المغتربين . حيث كانت هذه الدكاكين مركزا للتجمع اضافة لكونها مركزا تجاريا .

ومن الملاحظ هنا او من الممكن ملاحظته ان هذه الدكاكين لعبت دورا في توسيع حجم العلاقات السلعية النقدية مع المدينة وادخال مظهر حضارى على المستوى الاستهلاكي للقرية من المدينة ، الامر الذى ساهم بدوره في المزيد من اجتذاب الناس نحو المدينة ،

Digitized by Birzeit University Library

فمثلا دخل الراديو القرية عبر احد الدكاكين حيث اصبح في القرية حتى عام ١٩٦٣ حوالي ١٥ راديو في الوقت الذى كان فيه عدد سكان القرية لا يزيد على ٦٠٠ نسمة . وهنا يمكن ملاحظة بعض الملامح من دور الرأسمالي التجارى في التأثير على بنية القرية .

البنية الاجتماعية للقرية

كان الاقتصاد الطبيعي هو السائد في القرية في القرن التاسع عشر، وكانت الوحدة الاقتصادية الاجتماعية الرئيسية العائلة الممتدة العريضة وهذه العائلة تسكن في حارة واحدة او "حوش" واحد ، ومجموعة من العائلات الممتدة تكون الفخذ" ومجموعة الافخاذ تكون الحمولة حيث ترتبط مع لقبها بروابط الدم . وتتكون كفر نعمة حاليا من حمولتين ، عطايا ، حمايل ، وكل حمولة تتكون من عدة افخاذ وكل فخذ يتكون من عدة عائلات ممتدة ، فحمولة "عطايا" تتكون من ٤ "افخاذ" " ابو خولة" ، "ابوعادى" ، "مصطفى حمد" "زراع" وكل فخذ من هؤلاء يتكون من مجموعة من العائلات الممتدة كما ذكرنا فمثلا " ابو خولة" يتكون من " دار سليمان" ، "دار عطا" ، " دار قدره" وترتبط هذه العائلات الممتدة بروابط الدم ، حيث ان اصل ابو خولة مثلا من أب واحد وام واحدة ، والعائلات الممتدة الثلاثة هي تمثيل للابناء الثلاثة لابو خولة . ويلاحظ في القرية بأن كل ارض الحمولة متقاربة من بعضها البعض وفي نفس الجهه ، فأراضي حمولة "عطايا" تقع شمال وغرب القرية اما اراضي حمولة "حمايل فتقع شرق وجنوب القرية ، ووحدة الارض وموقعها وعلاقات الدم اندمجت مع بعضها لتشكل الوحدة الاقتصادية الاجتماعية الواسعة والمتلاحمة وهي الحمولة . وهذا الوضع كان يجد تعبيرة في هيكلية السلطة داخل الحمولة ، حيث ان هرمية السلطة كانت تنتهي برأس الهرم وهو "المختار" وان هذه الهرمية للسلطة كانت متلاحمة ، حيث ان مستويات الهرم السلطوى كانت متقاربة مع بعضها بفعل التقارب في مستويات التملك اى في مستوى الموقع من نظام الانتاج الاجتماعي ، حيث ان الوجهاء كان دورهم مندمج لحد كبير بدور المختار " راس الهرم السلطوى في الحمولة". وهذا كان ينعكس في الدور المحدود الذى يتمتعون به ، فالصلاحيات كانت متمركزة بيد المختار . الا انه فيما بعد وعلى اثر اجتذاب فلسطين للسوق الرأسمالي العالمي على اثر السيطرة الاستعمارية البريطانية والتمايز الاجتماعي الذى بدأ يحصل في الريف الفلسطيني وبداية انهيار الاقتصاد الطبيعي ، هذا الوضع قد عكس نفسه على هرمية السلطة في الريف الفلسطيني، حيث ان قرية كفر نعمة قد خضعت لهذا التأثير ولو بأشكال وطرق وتأثر تختلف عن القرى الاخرى . حيث بدأ يلاحظ ان هرمية السلطة في القرية بدأت تتسع وتتسع الهوة بين مستوياتها المختلفة الامر الذى بدأ يشير الى تمزق في وحدة الحمولة لصالح الخاص على مستويات الافخاذ " وايضا العائلات الممتدة التي تتضمنها هذه الافخاذ .

لقد طرأ العديد من التحولات الاجتماعية على مستوى القرية من بدايات هذا القرن

Digitized by Birzeit University Library

وحتى منتصفه ،وهذه التحولات لعبت دورا في تغيير موازين القوى الاجتماعية في القرية وقد لعب الرأسمال التجاري والربوي دورا لا يستهان به في احداث هذه التحولات . ففي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، كان يتعامل مع القريةشخص يدعى "فؤاد النشاشيبي" وكان يسكن القدس، حيث كان هذا الشخص بمثابة مرابي وتاجر في آن واحد . فكان يلاحظ بأنه مع موسم الزيتون كان الانتاج لا يكفي لتسديد الديون المستحقة لفؤاد النشاشيبي ، وكانت استدانة الاموال مقتصرةعلى ذوى الملكيات الصغيرة والفقراء . وقد كان لفؤاد النشاشيبي وكيل ولدى هذا الوكيل وتحت سيطرته ـ ملاحظة ان هذا الوكيل هو من سكان القرية ـ مجموعة يقومون بمراقبةعمليةعصر الزيتون وتقدير كمية الانتاج ومن ثم اقتطاع الجزء المخصص للمرابي . وكان الذى يحصل في اغلب الاحيان ان حجم الديون المستحقة للمرابي" فؤاد النشاشيبي" تفيضعلى كمية الانتاج من الزيت،الامر الذى كان يقود في البداية الى السيطرة على شجر الزيتون مع قطعة الارض المظللة بالشجرة ولكنه فيما بعد كان الرهان يتم على كل الارض .. وهنا يلاحظ بأن " الرهن " كان يتم على شجر الزيتون بدون ان يشمل ذلك الارض وهذا بتقديرنا يعود الى ان الارض تشكل ضمير الوحدة العائلية وكان من الصعب تحت اقسى الظروف التفريط بها ، ولان الارض لم تكن بعد قد تحولت الى سلعة خاضعة للبيع والشراء ، وبعد وفاة كابوس المرابي الكبير الجاثم على صدر القرية "فؤاد النشاشيبي" ، تعزز دور المرابين من اهالي القرية وبدأ نشاطهم يزداد ويتسع وقد كانت شراسة هؤلاء المرابين وغطرستهم قد وصلت لدرجة ان احد هؤلاء المرابين والـذين حصلوا على النقود اما عن طريق التجارة او عن طريق كونهم احد رجالات ووكلاء فؤاد النشاشيبي سابقا او عن طريق تعاملهم مع السلطات البريطانية، لقد وصلت الامور بأحد هؤلاء الى انه رفض تقديم مساعدة لاخته الجائعة الا بشرط رهن هذه المساعدة بعدد من شجر الزيتون !. لقد لعب التجار الوسطاء دورا كذلك في امتصاص الفائض الانتاجي، حيث قاموا بشراء الاراضي وشجر الزيتون من اهل القرية . ومن الملاحظ هنا بأن هؤلاء التجار الذين لم يكونوا يملكون مساحات من الاراضي يستحق ذكرها بالمقارنة مع بقية اهل القرية لم يكن لهم وزن اعتبارى ولا وجاهي ولم يكن لعملهم اهمية ولا مدلولا على مستوى الهرم السلطوى داخل القرية وذلك لان تملك الارض والاستقرار فيها هو الذى كان يعطي المصداقية والشرعية لدور هذا الشخص او ذاك في السلطة، واذا تعمقنا اكثر في الموضوع ونقلناه الى الحيز النظرى فان هذا يعني بأن التجار كعناصر اجتماعية جديدة وفي مراحل جنينية بعكس العلاقات الاقطاعية التي كانت هي السائدة ، ان هؤلاء التجار لا يمكن ان يكونوا في حدود "الهرم السلطوى" الذى هو التعبير عن النظام الانتاجي السائد ، ويمكن اضافة علاقات المقايضة كجزء من علاقات التبادل حيث ان التجار القادمين من اذنا والمجدل كانوا يحملون معهم القمح ويستبدلونه داخل القرية بالزيت " والقطين" * لكن شكل المقايضة هذا كان يتحلل مع آواخر الثلاثينات وبداية الاربعينات من هذا القرن. ان

* القطين : التبن المجفف .

Digitized by Birzeit University Library

السيطرة الاستعمارية البريطانية وما واكبها من استيطان صهيوني في فلسطين قد لعبا دورا ليس قليلا في احداث التمايز الاجتماعي في القرية واحداث الفرز الاجتماعي افقيا وعموديا الامر الذي ترك بصماته على هرمية السلطة في القرية وترتيب الادوار داخل الاطر والتنظيمات الاجتماعية في القرية . فمن اجل تغطية جزء من نفقات السيطرة الاستعمارية قامت بريطانيا بسن الضرائب على الارض والمسقفات " البيوت " وقد كانت هذه الضريبة مرهقة للفلاحين لدرجة اجبر العديد من الفلاحين على بيع اشجار الزيتون او الاقتراض من المرابين داخل القرية الامر الذي كان يقود في النهاية بهؤلاء المرابين الى السيطرة على اراضي الفلاحين . لقد كان جمع الضريبة يتم سنويا من قبل جامع الضرائب " المحصل دار" وهذا كان يستضيف" القرية عدة ايام وما يعني ذلك من تكاليف تقع ليس على عاتق المختار اوالوجيه بل على عاتق العائلات والحمايل ، حيث كان هذا يقوم برفقةعدد من وجهاء القرية ومخاتيرها "بتخمين" الاراضي من اجل تقدير حجم الضريبة المستحقة كما كان يقوم " المحصل دار" بجمع ضريبة المسقفات" البيوت". ولقد اجتذبت الكيبوتسات اليهودية والمستوطنات جزءا من الفلاحين للعمل فمثلا كان عدد من اهالي القريةيذهبون الى المستوطنات وكان عملهم " تكسير اللوز" كما كان جزء آخر منهم يذهب للعمل في البيارات وفي قطع الذرة والقمح والحصيدة وخصوصا في منطقة اللد والرملة والمجدل ومن المناسب ذكره في هذا الصدد ان العمل خارج القرية لم يكن مقتصرا على الرجال فقط بل ان الرجل وزوجته وحتى بناته الكبار وشقيقاته يذهبون كلهم لقطف الذرة والحصيدة ، حيث كانوا احيانا يتوجهون لشرق الاردن من اجل الحصول مقابل عملهم على كمية من القمح والذرة تغطي احتياجاتهم لفترة معينة ، ويمكن بناء على ان المرأة دخلت في اطار العمل خارج القرية اضافة الى عملها في الارض داخل القرية ، من قطف زيتون وتين الخ ... يمكن القول بوضع جديد أو بالاحرى بميل جديد لوضع المرأة على مستوى الهرم السلطوي" داخل القرية ، حيث ان وضع المرأة قد تعزز في العلاقة مع زوجها داخل الاسرة وهذا ما اعطى في حينه للتجمعات النسائية والتي كانت مراكزها العين " نبع الماء" والطابون والحارات اثناء الليل مضمونا ومدلولات اكثر رقيا في الهرم السلطوي وبالتالي اعطى لهذه التجمعات اهمية اكبر من السابق بالنسبة للرجل فاحيانا كان الرجال يشاركون نساءهم في "قعدات" الطابون او الحارة ويشاركونهن في الاحاديث التي تطرقها النساء وهذا مؤشر على ان هذه التجمعات بدأت تكتسب اهمية ليس في الموضوعات المطروقة بل وكذلك في تقرير العديد من الامور التي تتعلق بالارض والعمل بها والاطفال .. وهذا بدوره قد ساهم في فتح الافاق امام الرقي في هرم السلطة داخل القرية ، حيث نلاحظ الان وجود تجمع نسائي وهو مشروع الخياطة والنسيج والذي يضم اكثر من ١٥٠ عاملة . لقد لعب دورا هاما كذلك اضافة الى العوامل السابقة الذكر "الميراث" في تمزيق وحدة الارض كاساس للوحدة الاقتصادية الاجتماعية المتمثلة فيالحمولة و"الفخذ " والعائلة الممتدة ، حيث ان التوريث والذي يعني اقتسام الابناء لارض والدهم بعد وفاته قد ساهم في تجزئة وحدة الارض من جهة وزيادتها نسبيا من الجهة الاخرى وذلك لان الفتاة تحصل على جزء من الميراث تضيفه الى ارض زوجها فاذا

Digitized by Birzeit University Library

كانت ارض والدها كبيرة فان هذا يعني أن أرض زوجها ستصبح اكبر من ارض اخيه وهذا له مدلولاته على مستوى الوضع الاجتماعي لهذا الشخص وعلى مستوى وضعه في هرم السلطة داخل القرية . كما ان الميراث وبقية العوامل الاخرى ساهموا في تداخل الحيازات من الارض حيث ان ارض احد الاشخاص من حمولة " دار عطايا " اصبحت ارضه موزعة في المنطقة الغربية والشمالية والشرقية والجنوبية ، لقد برز التمايز داخل الفخذ الواحد حيث هيأ هذا الفرصة امام اعادة ترتيب الادوار في الهرم السلطوي ، لقد كان في العهد البريطاني تعادل : داخل الحمولة وداخل الفخذ كذلك في كافة مظاهر الحياة الاجتماعية كالافراح والاتراح ، فمثلا كانت حمولة "عطايا" عند وفاة احد الافراد من حمولة "حمايل"هي التي تتكلف بكل ما يلزم من اكل وما شابه ذلك . لقد لعبت التجارة الداخلية على مستوى القرية اضافة في زيادة النقود وبالتالي تنشيط العلاقات السلعية النقدية مع المدينة. لقد لعبت سياسة الاستعمار الجديد في ظل الالحاق الاردني دورا في احداث بعض التغييرات التي ينبغي ملاحظتها على مستوى قرية كفر نعمة ، فالاستعمار الجديد اشاع مناخا استهلاكيا على مستوى الضفة الغربية حيث ادخل انماط استهلاكية جديدة عبر تصديره للبضائع كما فتح الفرص امام الناس للاقتراض من البنوك التي فتحت لذلك ،وذلك لخلق قوة شرائية تتفق مع التدفق البضاعي الاجنبي ، وقد كان لهذه السياسة دورا كبيرا في حل الصراع بين السلطة الاردنية ذات الطابع الاوتقراطي العشائري وبين البرجوازية الوطنية الناشئة والتي كان مركزها في المدينة ولها امتداداتها "البكر" في القرية ، وكان حل الصراع هذا يقوم على ارضية توفير متطلبات ومقتضيات نمو البرجوازية وتطورها ولهذا فقد دخلت البرجوازية الوطنية على مستوى الضفتين في السلطة السياسية فيما بعد . وقد اجتذبت سياسة الاستعمار الجديد الريف الفلسطيني بهذا القدر او ذاك الى حلبة السوق الاستهلاكية ، وكانت قرية كفر نعمة قد ارتبطت بخيوط معينة مع المدينة (رام الله) على اعتبار ان المدينة مركز اساسي لتجارب هذه السياسة ، فقد لوحظ بأن دخول انماط استهلاكية عبر التجار الى القرية قد تطلب استهلاكها سيولة نقدية ،حيث ان استهلاكها كان يعتبر مظهرا جديدا من مظاهر الفخفخة والترف للوجهاء والمخاتير والميسورين كالتجار المحليين الذين يملكون سيولة نقدية ، وقد ساهم هذا في تحول الارض تدريجيا الى سلعة قابلة للبيع والشراء ، هذا جانب وجانب آخر هو الاقتراض الذي كان يقوم به الفلاحون من بنك الاقراض الزراعي وذلك لاستصلاح الاراضي وقد ساهم هذا في انتعاش علاقات التبادل النقدية بين منتجات الريف واحتياجاتهم من المدينة الامر الذي بدوره ساهم في المزيد من تفكك الحمولة والعائلات الممتدة وبروز عائلات من نمط انتقالي بين ممتدة ونووية وكانت الحاجة الى النقد والسيولة النقدية احد الاسباب في دفع العديد من الشباب للهجرة الى البرازيل والكويت ومناطق اخرى وكان يتم توفير تذاكر السفر عن طريق بيع قطع الاراضي الى اصحاب الاموال وخصوصا التجار المحليين من داخل القرية والذي اصبح دورهم يتعزز في ظل تلك السياسة. وقد لوحظ انذاك بأن هذه المتغيرات في البنية الاجتماعية قد عكست نفسها على مستوى التعليم وخصوصا ان سياسة الاستعمار الجديد رافقتها عملية فتح المدارس ذات التوجه التربوي الرأسمالي . كما لوحظ

Digitized by Birzeit University Library

بالتحديد بدايات لاضمحلال دور المخاتير وقد عزز هذا انقطاع المرتبات في العهد الاردني عنهم ، وبدأ يتعزز دور وجهاء الافخاذ والتجار ، وقد لاحظنا في السابق بأن وجهاء الافخاذ اصبحوا من المرابين وخصوصا في نهاية فترة الانتداب البريطاني . وقد انعكست هذه المتغيرات ايضاً تفكك "الحوش" الذي كان احد المؤشرات لوحده الفخذ والعائلة الممتدة حيث اصبح هناك حركة عمرانية" بناء بيوت جديد (والخروج من اطار الحوش المغلق كما لوحظ كذلك بأن مظاهر الانغلاق في العلاقات الزوجية" علاقات الزواج" قد بدأت تتفكك وخصوصا عند الشبان المتعلمين حيث تمت عمليات زواج عديدة من عائلات اخرى كما تم بعضها من خارج القرية ، وهذا كان يعني في الواقع الوحدة بموجب رابطة الدم المستندة على وحدة الارض قد بدأت تتخر فيها عناصر جديدة .. وقد عمق من هذه المتغيرات واعطاها بعدها الاكثر وضوحا سياسة الاحتلال الاسرائيلي والتي جاءت على ارضية التخلف وحياة الكفاف التي كان يعيشها الريف الفلسطيني حيث ان قرية كفر نعمة جزء من هذا الواقع ، جاء الاحتلال ليستكمل بوتائر اسرع هذه المتغيرات ، حيث تم اجتذاب الجزء الاعظم من سكان القرية للعمل في داخل اسرائيل وبالتحديد في مشاريع البناء حيث وصل عدد العمال الذين يعملون داخل اسرائيل من القرية حوالي ١٥٠ ــ ١٦٠ عامل في الوقت الذي كان فيه عدد سكانها لا يتجاوز ١٥٠٠ نسمة . وكانت هذه العملية هي جزء من سياسة الاحتلال لضم الضفة الغربية اقتصاديا لاسرائيل وما يعنيه ذلك من تحويل الضفة الى سوق استهلاكية مباشرة للبضائع والمنتوجات الا سرائيلية في الوقت الذي تقف فيه الصناعة العربية داخل المناطق المحتلة عاجزة على المنافسة ،ومستويات المعيشة العالية التي فرضها هذا الوضع الجديد قد اجتذبت ايضا النساء للعمل ، حيث كان عمل النساء على مستوى القرية هو التجارة بالمحاصيل والمنتوجات الزراعية كالعنب والتين وبعض منتوجات الطبيعة الجاهزة ' المرميا " و الزعتر" الخ ... وقد ادى ذلك الى المزيد من تفكك العائلة الممتدة والحمايل والافخاذ وأصبح التوجه العام داخل القرية نحو العائلة النووية وذلك بفعل الاستقلال الاقتصادى الذى اصبح يتمتع به الافراد داخل العائلة وتحررهم من قيود التنظيم الاجتماعي داخل القرية وعدم الركون بالتالي للارض كمصدر للدخل قادر على تأمين حتى الحد الادنى من المعيشة وخصوصا في ظل ارتفاع مستوى المعيشة الهائل والذى فرضته سياسة الاحتلال . لقد تفككت نهائيا تقريبا ما عدا بعض الحالات الفردية والفقيرة جدا تفككت كل الاحواش" القديمة وبدأ يظهر البناء الجديد حول الشارع الرئيسي وكل بناية تعكس طابع العائلة التي تسكنها حيث يلاحظ بأن جزءا كبيرا جدا من البنايات لا تتشكل من اكثر من ٣ غرف والمنافع وهذا مؤشر على ان العائلات التي تسكنها هي عائلات نووية ولكن من الجدير ذكره بأن العائلات النووية هذه ما زالت تتحرك في اطار عام جدا للعائلة الممتدة تحكمها وحدة الارض وموقع هذه الارض ، حيث يلاحظ بأن ترتيب البيوت في القرية الجديدة يأخذ شكل تجمعات سكنية ، كل تجمع يحتوى على عدد من البيوت المنفصلة عن بعضها كمجموعة من الاخوة فمثلا دار خليفة لهم بيوت في نفس الموقع ودار الديك ، ودار عطا الخ وحتى الذين لا يملكون أرض في موقع صالح للبناء كانوا يشترون الارض من اقاربهم .. المهم ان هذه المتغيرات قد عبرت

Digitized by Birzeit University Library

عن نفسها من خلال اختلال توازن القوى الطبقية داخل القرية وبروز العنصر العمالي العامل داخل اسرائيل الذى ترك ارضه والتي تحولت لاحقا الى مصدر هامشي لدخله بفعل الخراب الذى حل بها ، كما رافق هذه المتغيرات بروز فئة من المواطنين العاملين كمعلمين في المدارس او في مؤسسات اخرى ، وتزايد عدد الطلبةالملتحقين بالمدارس ، ان كامل هذا الوضع قد انعكس على مستوى هرم السلطة داخل القرية ، حيث برز عنصر جديد أخذ يتعزز دوره على مستوى السلطة داخل القرية في ظل تراجع وتهدم الهيكلية السابقة للسلطة المرتبطة بالتنظيمات الاجتماعية داخل القرية والمرافقة لوحدة الارض والاقتصاد الطبيعي هذه الهيكلية الجديدة بدأت تأخذ ملامحها بشكل واضح بعد عام ١٩٦٧م أى مع الاحتلال الاسرائيلي وقد ثبتت هذه الهرمية للسلطة في احشاء الهرمية القديمة حيث يلاحظ بأن الهرمية القديمة للسلطة قد فقدت مبرر وجودها التاريخي والعملي على مستوى القرية وهذا ما تشهد له المؤشرات والدلائل المادية الحضارية في هذا المجال على مستوى القرية فالعناصر الشابة من الفئات الاجتماعية الوسطى والمتدنية اصبحت المحورالذى ترتكز عليها السلطة الفعلية داخل القرية .

السلطـة المحليـة في قريـة كفـر نعمـة

على ضوء ما تقدم وبناء على ان هرم السلطة داخل قرية كفر نعمة يتحرك ضمن التغيرات الحاصلة في البنية الاجتماعية والاقتصادية للقرية ويواكب هذه المتغيرات ويعبر عنها حيث ان هذه الهرمية تمثل جزء من "البناء الفوقي" من الظواهر السياسية داخل القرية.يمكن القول بأن التحولات الجارية فيالسلطة المحلية داخل القرية قد ارتبطت بعوامل اخرى غير العوامل الانتاجية كعوامل التعليم والرضى الشعبي العام . اضافة لعوامل سياسية اخرى انخرطت ضمنها القرية بهذا الشكل او ذاك لتشكل الاحزاب السياسية وافرازاتها من اطر جماهرية ودعاية وتحريض الخ اضافة الى تأثيرات المغتربين القادمين الى القرية والحاملين لانماط وعي اكثر حضارية من انماط الوعي داخل القرية ، اضافة الى دور الطلبة الذين يدرسون في الجامعات المحلية والخارجية كل هذه العوامل اسهمت بهذاالقدر أو ذاك في تحديد مجريات التطور للسلطة المحلية والتغييرات الهيكلية الحاصلة في هرمية هذه السلطـــة .

فكما ذكرنا في بداية هذا البحث كانت القرية مكونة من حمولتين رئيسيتين هما حمولة " عطايا" وحمولة "حمايل" حيث كان لكل حمولة مختار ، ومختار الحمايل كان اسمه يوسف ابراهيم ومختار دار عطايا احمد صالح ، وهذا في نهاية العشرينات من هذا القرن وبداية الثلاثينات وقد كان المختار يركز جزءاكبيرامن قضايا الحمولة بيده لدرجة ان كتابة كتاب عقد القران كانت بيده " ويوسف ابراهيم " كان يملك مساحات كبيرة من الارض وقطيع من الغنم وهو ينتمي الى فخذ " دار نصار" حيث اختير من هذا الفخذ لملكية ودور هذا الفخذ على المستوى الانتاجي والذى كان متميزا بالمقارنة مع "الافخاذ" الاخرى داخل حمولة

Digitized by Birzeit University Library

" حمايل" ، اما المختار الاخر فكان يملك ارضا واسعة وهو من فخذ " دار ابو خولة " حيث ان الفخذ الذى ينتمي اليه يتميز بدور بارز في تزويد الحمولة " بالعزوة " للعمل في الارض وللاغراض الاخرى وكان وجهاء العائلات داخل نفس الحمولة ليس لهم اى دور تقريرى في القضايا التي تهم العائلة وكان دورهم هامشي جدا وشكلي ويمكن القول بانهم كانوا مندمجين بشخص المختار وهذا يعني ان هرم السلطة كان ضيق حيث ان مستوياته المختلفة كانت اقتصادية لدرجة كبيرة . لكنه بعد ذلك وبفعل اضطرار العديد من الفلاحين من مختلف الحمايل والافخاذ الى تسليم اراضيهم للمرابين وبفعل الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ادى هذا الوضع عملية حراك اجتماعي نقلت مراكز القوى من فخذ الى آخر على المستوى الانتاجي الامر الذى عبر عن نفسه ترتيب ادوار السلطة في القرية . حتى نرى بأن المختارة قد انتقلت من دار ابو خولة ضمن حمولة "عطايا" الى دار "مصطفى حمد " وانتقلت لبد شخص اسمه " عبدالله الاصفر وهذا الشخص كان يعمل بالرباوقد استطاع الاستحواذ على جزء لا بأس به من شجر الزيتون كما ان الفخذ الذى ينتمي اليه قد تعزز موقعه في التملك . وانتقلت ايضا المختارة في حمولة "حمايل" من دار نصار الى دار خليفةحيث تسلم زمام الامور "حسن العناني" وهذا الانتقال كان ايضا بفعل تحسن الوضع الاقتصادى على مستوى حجم الملكية من شجر الزيتون والارض ولكن على المستوى الشخصي للمختار فكان اختياره لكونه اكثر افراد العائلة نباهة وذكاء ويتميز بحنكة وتجربة في ادارة قضايا العائلة . وبعد عام ١٩٤٨م أى في ظل السيطرة الاردنية على الضفة الغربية والمتغيرات الحاصلة والتي كما يبدو قد قللت في حدود معينة من دور المختار وقد اشار الى ذلك انقطاع المرتبات عن المختار داخل القرية والتي كانت قائمة في ظل الانتداب البريطاني،في ظل هذه الاجواء اختير مختار جديد لحمولة عطايا،وخصوصا بعد وفاة المختار الاسبق،وهذا المختار ينتمي الى فخذ "دار ابو عادى" حيث تميزت هذه العائلة بمستوى تعليمي اكثر رقيا بالمقارنة مع العائلات الاخرى داخل الحمولة وارتباطاتها مع عائلات وشخصيات صاحبةنفوذ هذا الارتباط هو ارتباط "نسب" اضافة الى ان موقعها الاقتصادى لم يهتز من حيث حجم الملكية ، وكانت تتميز "بعزوة" كبيرة نسبيا وعلى المستوى الشخصي للمختار فانه كان صاحب ملك اضافة لكونه يملك بيتا متميزاعن بقية البيوت ويقع بجانب ساحة القرية وبجانب الجامع لما يضفيه هذا الموقع من هيبة متميزة بشخصه وبعد وفاة مختار حمولة حمايل انتقلت المختارة الى هاشم من فخذ دار نصر وهذا "الفخذ" كان يميزه بشكل عام بأن موقعه في ملكية الارض كان ضعيفا كما ان شخص المختار كان فقيرا الا انه اختير لانه متعلم وهذه الميزة اكسبته القدرة على استلام المختارة، في ظل وضع كما قلنا اهتزت فيه لحد ما ظاهرة المختارة وأن راس الهرم السلطوى وهو المختار داخل القرية بدأ يفقد العديد من صلاحياته لصالح وجهاء الافخاذ بفعل عملية التمزق في وحدة الارض التي كانت جارية . حيث كان بجانبها ينمو التجار والمرابون والمتنفذون بتملك الارض وبالعلاقات والتنظيمات الاجتماعية السائدة داخل القرية والذى بدأ دورهم يتفعل في الهرم السلطوى داخل القرية وخصوصا ان هذه العناصر الاجتماعية

Digitized by Birzeit University Library

الجديدة القديمة كانت قادرة في حدود معينة على التجاوب مع مقتضيات ومعطيات سياسة الاستعمار الجديد وفي نفس الوقت الحفاظ على العلاقات الانتاجية والاجتماعية داخل القرية لكن عملية خلق التوازن هذه كانت في العديد من المرات تختل لصالح العنصر الثاني في المعادلة وهو العلاقات الانتاجية والاجتماعية داخل القرية . وبناء على هذا فقد لاحظنا بأن هذا العنصر الاجتماعي الجديد ، القديم هو الذي استلم زمام المختترة في حمولة "حمايل" فعائلة دار الديك كانت الى حد ما نموذجا لهذا العنصر الاجتماعي فقد انتقلت المختترة اليهم عبر شخص ابراهيم الاعرج ، ومن ثم الى دار نصار من نفس الحمولة . وقد كان يرافق هذه التحولات في السلطة تغيرات هي بمثابة المحرك للتحولات في هرم السلطة كان يرافقها مزيد من التمزق و"الاستقطاب" على المستوى الانتاجي والذي عكس نفسه في تمزق الفخذ وحتى تمزق تدريجي في بداياته للعائلات الممتدة وهذا كان يقلل من دور حتى الوجهاء للافخاذ لصالح تعزيز استقلالية سلطة العائلة الممتدة عبر "شيخ" * العائلة والتي هي بدورها ايضا كانت تهتز كل ذلك لصالح سلطة رب الاسرة . وقد عمق من عملية التحول هذه الاحتلال الاسرائيلي حيث ساهم في الاجهاز نهائيا تقريبا على دور المختار والوجهاء ايضا في حدود معينة وبرز دور الافراد في العائلة الممتدة وفي العائلة الانتقالية بفعل الاستقلال الاقتصادي بالاساس ، برز هؤلاء كاسياد لانفسهم ذكورا بالاساس ولاحقا الاناث . وهذا الوضع قد افرز اطر وهرمية جديدة للسلطة داخل القرية . حيث نلاحظ بأن تزايد عنصر الشباب العامل داخل اسرائيل على مستوى القرية بما يعني ذلك من شعور بالاستقلالية وشعور بضرورة الخروج من اطار عفن وقيود التنظيمات الاجتماعية في القرية ، هذا الوضع الناشيء قد ابرز حاجة لاطار يجمع هذا العنصر الاجتماعي الجديد والشاب ، حيث تم تشكيل نادي للشباب عام ١٩٧٢م وكان بؤرة هذا التجمع مجموعة من الشباب المتعلمين والذين انهوا دراساتهم العليا في المعاهد . وقد تم تشكيل النادي بموافقة وجهاء الحمايل والافخاذ والمختار وذلك في محاولة لحصر واحتواء هذه التوجهات الجديدة ضمن الحدود والاطر التقليدية لهرم السلطة الهش الذي يقفون على رأسه وكان لهذه المحاولة ما يبررها وخصوصا بأن هؤلاء الوجهاء والمختار كانوا يرون وبحق بأن بصمات تقليدية قديمة منسجمة معهم ما زالت تجثم على صدر مؤسسي هذا النادي ، وكان أحد المؤشرات أنه في دستور النادي بند يتعلق بتحريم النشاط السياسي وتحريم الارتباط بأطر اجتماعية ، نقابية وغيرها خارج القرية وان أي ارتباط للعضو بهذه الاطر يعني انه فقد عضويته بالنادي هذا عدا عن ان الوجهاء والمختار في القرية كانوا يقومون بالاشراف على تعيين المرشحين لعضوية الهيئة الادارية للنادي ويعملون على ان يراعي التعيين الترتيب العائلي والحمائلي ، الا انه فيما بعد وبفعل تعمق وتبلور الذهنية المستقلة اقتصاديا على المستوى الانتاجي وخراب الارض والتفكك المتسارع للعائلات الممتدة ووضوح تبلور العائلات النووية قد جعل المختار والوجهاء كالوزير بدون وزارة حيث ان

* شيخ : هنا لم يتم ايرادها بمدلولها الديني بل بمدلولها السلطوي .

Digitized by Birzeit University Library

الهرمية التـي يقفون على رأسها اكلتها العمليات الموضوعية الجارية ولم يبق الا علاقات الدم للحفاظ على شبح هذه الهرمية ، هذه العلاقات اى علاقات الدم تداخلت بفعل انتشار الزواج الخارجي ولم تبق مقتصرة حتى على داخل القرية ، واختزلت علاقات الدم فقط في حدود الاسره النووية بين الاب والام وابنهائهما، وبهذا فقد تحطم الاساس الذى بنيت عليه الهرمية السابقة وقد ساعد في بروز الهرمية الجديدة والتراجع الحاد في دور مستويات الهرمية القديمة للسلطة داخل القرية ، العديد من العوامل منها الفرز الاجتماعي والحياة السياسية النشيطة وعناصرها من احزاب وتنظيمات سياسية مختلفة واطر جماهيرية عمالية ونسائية وتطوعية الخ ... هذه الحياة السياسية التي نشطت على قاعدة مقاومة الاحتلال وما رافق هذا من تنامي للوعي السياسي والطبقي كذلك في المعركة ضد الاحتلال وتنامي الشعور لدى الشباب بالانتماء الوطني والطبقي على حساب الانتماء العائلي والحمائلي . كما ان زيادة مستوى التعليم عند الشباب والبنات وزيادة عددالملتحقين بالمدارس ، كل هذا قد ساهم في تعزيز وتطوير دور النادى داخل القرية بحيث اصبح حاليا هو مركز السلطة الوحيد وهذا الكلام لا مبالغة فيه حيث انه يقوم بكل النشاطات المتعلقة بسكان القرية من مشروع الكهرباء الى حل القضايا الاجتماعية التي تتعلق بالاسر ذاتها كالطلاق وغيره ومن الجدير ملاحظته هنا ان الانتخابات الاخيرة للنادى كانتخالية لحد بعيد من الطابع العائلي وتمت بموجب ترتيبات سياسية بحتة ، ويحاول الوجهاء بين الفترة والاخرى تلمس امكانية السيطرة على الوضع حيث انه في المظاهرات التي تمت ضد روابط القرى حاول هؤلاء الوجهاء اخذ دورهم في حل "الاشكال" مع روابط القرى ولكن لم يلقوا اية اذن صاغية وفتحوا الطريق مكرهين امام هذا الزخم ليأخذ مجراه الطبيعي .

وفي هذا السياق لا بد من التنويه الى ان دور المرأة الشابة بدأ يتعزز كذلك في القرية حيث ان الضرورات الاقتصادية فرضت اضافة الى التنامي الحضارى العام تشكيل جمعية للنسيج والخياطة تضم اكثر من ١٥٠ عاملة حيث ان هذا الاطار يلعب دورا هاما في تعزيز دور المرأة واستقلاليتها ،والملفت للانتباه ان هذه الجمعية قامت بالعديد من المبادرات على مستوى سياسي واجتماعي كانت بمثابة ومضات نابضة بالحياة لها مستقبلها وهي تنمو بثبـــات .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب، عدد 53، 5 ايلول 1984

بعض قضايا الحركة النسائية في المناطق المحتلة

بقلم حسن الحاج

تقوم الاطر الجماهيرية ذات الصفة الديمقراطية النقابية بحشد اعداد كبيرة من القطاع الذى تمثله، وذلك لكونها لا تسعى لتأطير الفئات المتقدمة فحسب ، بل وكذلك المتوسطة والمتأخرة ايضا. وجماهيريةهذهالاطر (بمعنى سعة قاعدتها وتمثيلها) صفة ملازمة لها، لانه لا معنى لاتحادجماهيرى قاعدته الجماهيرية ضيقة محصورة في نخبة محددة، والاهمية الاساسية لهذه الاطر هي في كفاحيتها السياسية وخاصة في مرحلة التحرر الوطني فهي لسعة جماهيريتها ، وقدرتها على الالتصاق بجماهيرها تمتلك قدرة مميزة على ربط جماهيرها من هذا القطاع بقيادتها السياسية. لذلك فان هذه الاتحادات تشكل قواعد اساسية للحركة الوطنية،

وسأتعرض في هذه الورقة للحركة النسائية في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الاحتلال الاسرائيلـــــي .

علينا اولا ان نحدد موقع المرأة في المجتمع ، هل هي طبقة ام قطـــاع ؟

بالعودة الى التعريف الماركسي للطبقة لوصفها مجموعة من الناس لهم مصالح مشتركة تتحدد بموقعها في العملية الانتاجية ، وعلاقتها بوسائل الانتاج، ضمن تشكيله اقتصادية - اجتماعية محددة حسب هذا التعريف فان المرأة ينطبق عليها التقسيم الطبقي تماما كالرجل . فنجد المرأة العاملة، والبرجوازية الصغيرة، والبرجوازية .... ، هذا بالرغم من يريدون حشر النساء في وعاء واحد ، واعطائهن صفة طبقة اعتمادا على معاناتهن في المجتمع الذكـــــرى .

ولكن بالرغم من الاختلاف في معاناة النساء تبعا للوضع الطبقي للمرأة، الا ان معاناتها كمرأة (على اساس الجنس) يجعل من الممكن القول ان النساء يشكلن قطاعـــا .

Digitized by Birzeit University Library

مضمون المسألة النسوية .

"المقصود بمضمون المسألة النسوية هو المكانة الاجتماعية التي يتعين على المرأة ان تشغلها في كياننا الاجتماعي ، والكيفية التي تستطيع بها ان تطور قواها وقابلياتها من جميع الوجوه كي تغدو عضوا كاملا فعالا متساوى الحقوق في المجتمع البشرى "(١)

مع ذلك يجب ملاحظة الفرق بين مضمون المسألة النسوية من المنظار الماركسي ومضمونها من المنظار البرجوازى ، حيث تختزل المسألة النسوية الى مجرد مسألة مساواة في الحقوق التي لا تقدم كثيرا على صعيد مكانتها الاجتماعية اذا "ما اخذنا بعين الاعتبار ان المرأة تمتلك وقتا اقل بكثير من الرجل للمساهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية وتطوير شخصيتها "(٢) .

وبهذا الصدد يقول لينين . " عندما يتحدث الاشتراكيون عن المساواة فانهم يقصدون بها دوما المساواة الاجتماعية ، المساواة في المكانة الاجتماعية ، وليس بأى حال المساواة في القابليات الجسدية والروحية لافراد معينين "(٣) .

والماركسية اللينينية تنظر الى المسألة النسوية بارتباط وثيق مع الصراع الطبقي وقضية البروليتاريا ، وتركز على ضرورة توظيف طاقات الحركة النسوية في خدمة قضية البروليتاريا ، لان جذور عدم المساواة يضرب عميقا في الملكية الخاصة مما يعني ان تحرر النساء التام لا يأتي الا بالقضاء على اساس كل عدم مساواة ، اى بالاشتراكية .

المرأة في المجتمع الفلسطيني .

المرأة الفلسطينية تعاني اضطهادا مضاعفا ، فهي تخضع لاضطهاد قومي بوصفها عربية فلسطينية وجنسي بوصفها امرأة ، ويضاف الى معاناة الفئات الشعبية الاضطهاد الطبقي فكيف ينعكس ذلك على وضعها ؟

ان ابرز سمة للمرأة الفلسطينية قبل النكبة هي سلبيتها ، سلبية في نظرتها لذاتها ، سلبية في دورها في الاسرة ، وسلبية في دورها في المجتمع ، وهذه السمة لا تعدو كونها نتاجا لتراكمات قرون طويلة ، نجد ضررها في نمط الانتاج السائد (الاقتصاد الطبيعي) ، حيث تجليها في نمط التربية الاجتماعية ، مما اقنعها بضرورة وضعها ، فرضيت بأن تكون رقما في ذيل الرجل ، فرضيت بالدرجة الثانية (الثانية لانه لا يوجد منافس ثالث) بعد الرجل .

الا انه في وضع كهذا لا يمكن ان يوجد اى اطار نسوى ذو توجه طبقي وجاد ، لان ولادة اطار نسوى بالصفة السابقة يتطلب تطورا معينا في البنية الاجتماعية ، أى تغيير في نمط الانتاج (الانتقال من الاقتصاد الطبيعي الى نمط الانتاج الرأسمالي وما يحمله من تطور صناعي يفتح الباب امام مشاركة المرأة في الانتاج الاجتماعي) مما يوفر حدا معينا من التطور في وضع المرأة على صعيد تعليمها وقيمة عملها ومكانتها الاجتماعية .

Digitized by Birzeit University Library

الا ان تدخل عامل آخر اثر بدوره هوالغزو الصهيوني لفلسطين فكانت نكبة عام ١٩٤٨ وما تمخضت عنه من نتائج رهيبة، من تشريدجزء كبير من الشعب الفلسطيني (حوالي مليون شخص) واحتلال الجزء الاكبر من الارض وتحطيم البناء الاجتماعي، وانعكاس ذلك على القيم الاجتماعية فيما بعد (لانها بطيئة في استجابتها للتغيرات) .فاهتزت العديد من القيم الاجتماعية البالية. وفي اعقاب النكبة نشأت وحده اجتماعية سياسية جديدة هي المخيم، وما يعنيه المخيم من واقع جديد بالنسبة للفلسطيني، وما حمله من متغيرات بتحول المخيم لوحده اجتماعية سياسية (بالرغم من حفاظ التجمعات الفلسطينية في البداية على طابعها العشائري، فكانت كل بلد تتجمع في مخيم واحد، وتقريبا كل ما حوله، وتتعامل مع الاخرين على هذا الاساس) ، الا ان الواقع الجديد لم يدع مجالا لهذه الامور بأن تستمر، فانقرضت كقانون عام، ونشأ على انقاضها المخيم كوحدة سياسية اجتماعية واحدة .

والفلسطيني احس على جلده ليس فقط حرارة الهزيمة، وانما الانفصال عن ادوات انتاجه وعن مصدر رزقه ايضا ،واخذ الفراغ يشكل السمة الاساسية للمخيم مع الفقر المدقع، في ظل التشتت وعدم وجود قيادة وطنية تتمكن من لم شتاته سياسيا وتوجيهه، مع وجود مدارس الوكالة التي تقدم التسهيلات الكثيرة للطلاب، وكذلك فتح الحكومة الاردنية للمدارس وتبنيها للتعليم المجاني، فتح امكانية واسعة امام سكان المخيمات لتعليم بناتهم، ودفع بعدد من النساء الى سوق العمل للمساهمة في مصاريف البيـــت .

الا انه بالاجمال لم تمس هذه المتغيرات سكان القرى في الضفة الغربية وقطاع غزة بصورة حادة ، وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع عام ١٩٦٧ وجدت هناك متغيرات اثرت باتجاه وجود مؤسسات واطر جماهيرية مختلفة وتفعيل الاطر الموجودة سابقا مثل النقابات العمالية في الضفة، والعامل الحاسم في ذلك هو تنامي الحركة الوطنية وتغلغلها بين الجماهير، والذي انعكس على مستوى النضالات الجماهيرية في الارض المحتلة، فقطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني داخل الضفة والقطاع انخرطت في النضالات اليومية وفي مكافحة الاحتلال وارتفعت مساهمة الفئات الشعبية (عمال ،فلاحين، سكان المخيمات ، الطلاب ...) في الكفاح الوطني وطبعتها بسمات تقدمية، ويمكن ملاحظة دور التنظيمات التقدمية في ذلك وخاصة التنظيم الشيوعي الفلسطيني في ذلك الوقـــت .

وتصاعد المشاركة الشعبية في النضالات المناهضة للاحتلال في الضفة والقطاع لا ينفصل عن تصاعد دور م.ت.ف. وتوطد مكانتها فلسطينيا وعربيا ودوليا، وبصورة عامة يمكن اعتبار ازدياد تأثير الحركة الوطنية وخاصة القوى الديمقراطية في الاراضي المحتلة العامل الحاسم في بروز اطر جماهيرية ديمقراطية نقابية ذات محتوى تقدمي، وطبعا امتد هذا التأثير ليشمل النساء فقد خرجت نشاطاتهن في اواخر السبعينات من دائرة العمل الخيري الى دائرة النشاط النقابي والسياسي، فولد اول اطار نسائي سنة ١٩٧٨، وفي عام ١٩٨٢ تشكلت لجان المرأة العاملة الفلسطينية وشكلت اتحادها المستقل، واخيرا لجان المرأة للعمل الاجتماعـي سنة ١٩٨٣ .

Digitized by Birzeit University Library

طبعا هذا لا يقلل من اهمية الجمعيات الخيرية ولا يلغي الدور الذى لعبته وما زالت تلعبه ، بالرغم من طابعها البرجوازى ، الا ان للعديد منها مساهمات في النضال السياسي الوطنـي ، سواء بشكل مباشر او غير مباشر ، مثل الاتحاد النسائي العربي وجمعية انعاش الاســـرة وغيرهـــا .....

العوامل التي اثرت بتفاعلها على ميزات الحركة النسوية في الضفة والقطاع .

اثرت عدة عوامل بتفاعلها على الحركة النسوية في الضفة والقطاع ، وهذه العوامل :ـ

١) العادات والتقاليد متزاوجة مع الفكر الغيبي الدينـــي .
٢) الفكر البرجوازى ومثال الحركات النسائية الغربية البرجوازية .
٣) الفكر الاشتراكي والمثال الاشتراكـــي .
٤) الاحتـــــــلال
٥) الحركة الوطنية الفلسطينية .

(وسأناقش بشكل محدد اثر آخر عاملين) .

ـ الاحتـــــــــلال .

يكون الاحتلال بالعادة في موقع المؤثر في البلد المحتل بحكم تطوره الاجتماعي وتحكمه في الجماهير المحتلة ، ولكي يحافظ الاحتلال على استمراريته فانه يلجأ الى تفسيخ وحدة هذا الشعب ، وكسر روح المقاومة عنده بطرق مختلفة ، وخاصة انه تتوفر له الادوات العديـــــدة .

ويشكل الاحتلال موضوعيا هذا تلتف لمقاومته الجماهير الواسعة ، متجاوزين بذلك العديد من القيم البالية ، مثل تحريم خروج المرأة ، او تقديم الشرف الاجتماعي على الشرف الثورى ونتيجة لالحاق الضفة والقطاع اقتصاديا باسرائيل ، وتأثير الازمة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها ، فان هذا الوضع دفع بالعديد من النساء للعمل كأجيرات للمساهمة في تكاليف المعيشة ، وانخراط نسبة جيدة نسبيا (وان كانت قليلة) في العمل السياسي ، حيث يتوسع افقهن وتزداد معارفهن ، وتشتد تجاربهن .

والجانب الثاني وهو الجانب السلبي ، فان الاحتلال يقوم به عن وعي .

أ) الاختلاط باليهود اثر على سلوكيات العديد من الفتيات ، من حيث التشبه الشكلي بهم ، وخاصة ان هذا النوع من النساء يربط بين هذه المظاهر والتقدم ، هذا مع اشاعة نمط الاستهلاك بشكل واســـع

ب) تشديده على المو سسات الجماهيرية الوطنية ومنها النسائية ، وهو يستخدم في سبيل ذلك عدة وسائـــل

Digitized by Birzeit University Library

١) العادات والتقاليد بالشكل الذى يخدم مصالحـــه .
٢) ٢) تدخل عملائه بالاعتداءات المباشرة ، او بترويج الاكاذيب والتحريـض .
٣) التدخل المباشر بمنع النشاطات او الاعتقال او اغلاق المؤسسات .
والاحتلال يوائم بين كافة اساليبه المتراوحة بين الانفلات والتلويح بالدين لتعدد ادواته وعملائـــه .

ـ الحركـة الوطنيـــة الفلسطينيـــة .

بعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع واجهت الحركة الوطنية الفلسطينية مهمة تثبيت المؤسسات الجماهيرية الموجودة ، وقد تعاطى الشيوعيون الفلسطينيون الذين حملوا اسم منظمة الحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية في البداية وفيما بعد التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة مع هذا الشعار بشكل مميز ، وقد تم تثبيت بعض هذه المو سسات وخاصة بعض النقابات العمالية وبالدرجة الاولى تلك التي كان للشيوعيين ثقل فيها . وقد كان لتثبيت هذه المؤسسات دور هام جدا . اولا في بروز الاطر الجماهيرية النقابية والشبابية الاخرى ، وثانيا في استنهاض الكفاح الجماهيرى الذى شكل العامل الحاسم في زيادة فاعلية هذه الاطر ، وفي بروز الاخرى وخاصة اللجان النسويـــة .

اما دور م ت ف . فان بروزها كقوة سياسية في الشرق الاوسط لعب دورا في تطوير الكفاح الجماهيرى في الداخل بما تمثله من شخصية سياسية مستقلة للشعب الفلسطيني بوصفها ممثلة الشرعي والوحيد . ومجسدة طموحاته وامانيه . الا ان اسلوب التعامل البروقراطي السائد في م ت ف . واجهزتها لا يساعد على بروز اطر جماهيرية ديمقراطية نقابية ذات محتوى كفاحي وتقدمي ، وقد رأت البرجوازية الوطنية في الجمعيات النسوية الخيرية فاتحة المطاف في الدور الوطني للنساء . الا ان ابتعاد الضفة عن التأثير المباشر للاجهزة البروقراطية لـ م ت ف . مع تنامي فعل وتأثير القوى الديمقراطية الفلسطينية في الداخل فتح المجال امام اخراج نشاطات النساء من الاطار الخيرى الى الاطار النقابي والسياســي .

والمطلوب ليس دعوة النساء للانخراط في النضال الوطني فحسب ، او الصراخ عن مساواتها بعد التحرير لاننا نقف امام مهمة دفع اعداد متزايدة من جماهير النساء للمساهمة النشطة والمباشرة في النضال . " فيستحيل جذب الجماهير الى السياسة دون جذب النساء اليهـا " (٤) اما التغني ببعض الاسماء النسوية اللامعة فانه لا يخدم قضية دمج النساء في النضال الا بمقدار ما يوظف لذلك ضمن خطة محددة يتم التوجه الى جماهير النساء على اساسهـــا .

والامور الواجب اخذها بعين الاعتبار عند التوجه للنساء :ـ
١) الاقرار بخصوصية المسألة النسوية بارتباطها بالمسألة القومية .
٢) الاقرار ان هناك طاقة غير مستغلة ـ النســـاء .

Digitized by Birzeit University Library

٣) زيادة نسبة الاناث على الذكور بصورة كبيرة نتيجة الهجرة الى الخارج والاعتقال حيث تتركز هاتان الظاهرتان في صفوف الذكـــور .

٤) بلورة قيادة نسائيه مجربة للعمل في صفوف النساء ، وخاصة العاملات ،والبحث عن طرق للاتصال بالفلاحـــات .

٥) مكافحة تبعية المرأة تقتضي العمل في اتجاهيـــن :-

أ) التوجه للمرأة لتحريرها من نظرتها لنفسهـــا .

ب) التوجهللرجل لتحريره من نظرته للمرأة ليرى حريتها امرا اكبر من حرية ممارستها الجنـــــس.

٦) العمل على ارساء تقاليد ثورية في هذا المجال .

وبكل تأكيد ، فان النضال المشترك ضد الاحتلال يساهم بشكل كبير في تخليص كلا الجنسين من المواقف الخاطئة في هذا المجال .

وفي ظل ضعف القاعدة الاقتصادية وتشوهها ، وفي ظل عدم توفر فرص عمل للمرأة ، فانه يجب الحذر في التعامل مع مقولة تحرر المرأة ، لان التعامل المجرد معها لا يؤدي الا الى الانفلات الجنسي ،وهو سلاح قوى في يد العدو وبالتالي يجب التعامل مع حرية المرأة الفلسطينية في الداخل من منظار تخلف البنية الاقتصادية في الضفة والقطاع وتبعيتها للاقتصاد الاسرائيلـــــي .

تفاعل العوامل الخمسة السابقة على ارض الضفة والقطاع طبع الحركة النسائية بعدة سمات يمكن اجمالهـــــا :-

١) تقدمية في محتواها وتوجهها العـــــام .

الحكم الصادر اعلاه يستند الى متغيرين :

أ) كل حركة او نظام يفرز حركة نسوية موازية له في الدافع والاتجاه .

ب) استيعابها لدورها الوطني ضمن العلاقة بين المسألة الجنسية والقومية والطبقية .

وفي هذا الصدد تكتب سحر خليفة " ان الحركة النسائية في الضفة ذات توجه اشتراكي لكونها ابنة ثورة تنادى بالعدالة القومية والعرقية والطبقية وبالضرورة الجنسيـــة "(٥) .

اذا ما اخذنا تاريخ كتابة المقال سنة ١٩٨٠ حيث كان موجود فقط لجان العمل النسائي ولجان المرأة العاملة الفلسطينية ، فانني اتفق مع الكاتبة في ان هذه الاطر ذات توجه اشتراكي ، ولكن لا يمكن الاتفاق معها على تحليل اسباب هذه الظاهرة ، فهل فعلا لانها ابنة "ثورة" تنادى بالمساواة القوميةوالعرقية، والطبقية ؟! والجنسية ؟!! فمن المعروف ان الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في م.ت.ف. هي حركة تحرر وطني ،ولا يمكن اطلاق هذه الصفات على اى حركة تحرر وطني الا بمقدار فرض برنامج الطبقة العاملة الديمقراطي الاشتراكي من خلال قيادتها لنضال حركة التحرر الوطني هذه، ولكن الطبقة العاملة الفلسطينية غير متمكنة حتى اليوم من قيادة النضال الوطني ، وبالتالي بتجسيد برنامجها الوطني الديمقراطي الاشتراكي الذى يعكس نفسه بالتأكيد على الحركة النسائية. وعند هذا

Digitized by Birzeit University Library

الحد يمكن القول ان هذه الاطر ذات التوجه الاشتراكي هي افراز لقوى فلسطينية اشتراكية وليس افرازا للثورة مع التحفظ من استعمال مصطلح الثورة ـ كما تدعي سحر خليفة .

واليوم ، ومع وجود اربع اطر نسائية في الضفة تظهر بكل وضوح خرافة عبارة سحر خليفة هذه ، فمن غير العلمي ان نضع جميع الاطر النسوية في الضفة في سلة واحدة ، الا اذا تعاملنا مع موسسات البرجوازية واطرها بأنها ذات توجه اشتراكي وتحمل "علامة " ماركسية.

واستنادا الى المتغير الاول والذي احتكمت اليه في بداية الفقرة ، فانه يمكن القول ان كل اطار يعكس ايديولوجية القوة السياسية التي افرزته ، وبالتالي فان البرجوازية لا يمكن ان تفرز الا حركة نسائية تخدم مصالحها وتحمل ايديولوجيتها وفهمها وتصوراتها لمختلف المسائل المطروحة ، وبالتالي الترويج لهذه الايديولوجية ولهذا الفهم والتوجه ومن المهم ان نلاحظ امريـــــن :ـ

أ) محاولة البرجوازية خلق جمعيات خيرية بوصفها الشكل الاعلى لنضال المرأة الجماهيري.

ب) وقت ظهور الاطار الممثل للبرجوازية الوطنية الفلسطينية ، وكيفية هذا الظهور وماهية نشاطاتـــــه .

وهناك تفاوت في النظم وفي اختيار التجربة بين الاطر الاخرى ذات التوجه الاشتراكي"

أ ـ تعريـــف هـــذه الاطـــر لنفسهـــا .

اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية : "منظمة نسائية ديمقراطية تهدف الى تحرير المرأة الفلسطينية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ." (٦) .

اتحاد لجان المرأة الفلسطينية : " اطار نسوي جماهيري نقابي يسعى لتأطير اوسع قاعدة نسائية في الوطن المحتل وتنظيمها في لجان فرعية معينة للارتقاء بشخصيتها وطنيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيـــا " (٧) .

لجان العمل النسائي :" اطار نسوي جماهيري اجتماعي ، تربوي ، ثقافي ، يضم في صفوفه جميع النساء من ابنا شعبنا المقيمين في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة " (٨).

ولي تعليق على العبارة الاخيرة ، فلا يوجد هناك اطار نسوي يمكن ان يدّعي تمثيل كل جماهير النساء الا عند اتساع قاعدته الجماهيرية للحد الذي يوفر له مثل هذه الامكانية ، والا فانها تعكس روحا نرجسية حتّه وغير مبـــررة .

وهذه التعاريف تتكلم عن نفسهـــا .

ب ـ البنيـــة الهيكليـــة .

البعض يتعامل مع الاطار الجماهيري وكأنه حزب فيشده اكثر من اللازم ، وهذا واضح من اللوائح الداخلية ، وبعضها تتماثل لائحته الداخلية مع طبيعته الجماهيريـــة .

Digitized by Birzeit University Library

جـ ـ النشاطـــــات

لا اقصد بالنشاطات كمها ، بل نوعيتها ، وبالتحديد التركيز على البعد الوطني والطبقي ويمكن القول ان لجان المرأة العاملة تتفوق في هذا المجال وربما هذا عائد الى انبثاقها من النقابات العمالية ولعلاقتها الوثيقة مع هذه النقابات ، وللدور البارز الذى يلعبه الشيوعيون في النضالات الجماهيرية في الداخـــل .

ولجان المرأة العاملة الفلسطينية تحاول التوجه المبرمج للعاملات ، من خلال تشكيل لجان متخصصة تحمل اسم اللجنـة النقابيـــــة " (٩).

وتقيم هذه الاطر علاقات جيدة مع الاطر النسوية العربية التقدمية وكذلك مع بعض الاطر العالمية ، فمثلا اتحاد لجان المرأة العاملة قام بخطة تضامنية واسعة مع رابطة المرأة العراقية من خلال صفحة المرأة العاملة في الطليعة" والبيانات والندوات والمهرجانات التضامنية التي عقدت خصيصا لهذا الغـــــرض .

٢ ـ الضعـف النسبـي فـي القـــرى .

من الواضح انه حيث يوجد امتداد للتيار السياسي المعني يوجد له اطره الجماهيرية ومن الطبيعي ان يكون امتداد الحركة الوطنية في المدن اقوى منه في القرى ، وخاصة تلك القوى ضعيفة التأثير بنمط الحياة في المدينة ، والتي لا تمتلك تراثا نضاليا سابقا . واقصد بالضعف النسبي ، ضعفها بالنسبة لوجودها في المدن ، وبالرغم من ان هناك عوائق موضوعية عديدة تقف امام امتداد هذه الاطر للقرى بقوة ، الا انه يجب البحث عن اساليب وطرق تمكن من تذليل هذه العقبات وتجاوزهـــــا .

وفي الوقت الذى توجد فيه اطر نسائية في جميع مدن الضفـــة والقطـــاع فانـــــه فقط نسبة قليلة من القرى التي توجد فيها اطـر نسويـــــة .

٣ ـ التشـــــرذم .

أ) ان هذا التشرذم قائم على اساس التقسيمات السياسية .

ب) التشرذم هو مظهر بارز لازمة العمل الوطني في الضفة والقطـــاع .

جـ) هناك خطر امني وخاصة مع المرض المنتشر والذى يتبرع فيه الكثيرون ومن صفوف الحركة الوطنية لتبيان الانتماءات السياسية للاخرين .

د) يمكن اعادة تشرذم الحركة النسوية جزئيا الى العقلية التقليدية التي تنظر الى الاطر النسائية كمنظمة حزبية ، خلافا لما تظنه سهى البرغوثي ـ وهي عضو في لجان المرأة

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية ومحررة شراع المرأة ـ من خلال تساؤلها الرافض للتشرذم " هل المرأة عندنا معادية للوحدة الوطنيـــــة ؟" (١٠).

هـ) المرحلة التي يجتازها هي مرحلة تحرر وطني بالنسبة للشعب الفلسطيني، وحركة التحرر الوطني تجمع العامل والفلاح والبرجوازي الوطني ...، مع حفاظ كل طبقة على استقلالها التنظيمي والسياسي والنظري، وعليه فالاخلاص الوطني يفترض توحيد الاطر النسائية، لاننا لسنا بصدد ثورة اشتراكية ، بل وطنية ديمقراطية . لكن مي عميرة ـ وهي عضو اتحاد لجان المرأة العامل ـ ترد على سؤال حول وحدة الاطر النسائية برفض ذلك وتعزو ذلك الى اختلاف تركيبة الجمعيات الطبقية، فالمنظمات النسائية البرجوازية لا يهمها مطلقا قضايا المرأة العاملة وتطرح بالمقابل امكانية التنسيق لوضع برنامج حول شعـــارات محـــــددة . (١١).

و) اقامة اتحاد للمرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة مهمة وطنية بفرضها الواقع الموضوعي ، ومهمات الصراع مع الاحتـــلال .

٤ ـ تعـدد مجـالات عملهـــــا

أ ـ النشـــاط السياســـــي

تتميز الاتحادات الجماهيرية في الضفة والقطاع بكفاحيتها السياسية ، هذه السمة الهامة لاى اتحاد شعبي، " والكفاح السياسي يستهدف تعبئة الجماهير، وتنظيمها، وتوجيهها في النضال الوطنـي بمختلف الاساليب " (١٢) .

وتعبئة جماهير النساء تقتضي استغلال هذه الطاقة الهائلة التي تبلغ نصف المجتمع بوصفها رصيدا للحركة الوطنية، وهذا يقتضي تسليحهن بحب الشعب، والحقد على عدوه، وتعبأتهن بروح اهداف الحركة الوطنية وانسجاما مع استراتيجية الكفاح الوطني. ولتصبح هذه الاتحادات قواعد وطنية صلبـــــة .

ويفرد جيفارا فصلا في كتابه "حرب الثوار" للمرأة ودورها في الحرب الثورية، فيعطيها اضافة الى دورها كمقاتلة، مجالات هامة كفاءتها فيها اعلى من كفاءة الرجل ، مثل الاتصال الطبخ، الاعمال الصحية والرعاية بالمرضى والجرحـــى .... (١٣).

وبكل تأكيد فان الحياة ستطرح امام هذه الاطر مهام اخرى غير الاعمال التضامنية مع السجناء والمعتقلين والتحريـض السيـاســـي .....

ب ـ النشـــاط النقابـــــي

ان الكفاحية السياسية لا تلغي ولا تقلل من اهمية النشاطات النقابية التي تهم القطاع النسوي، لكن بالارتباط مع هذه الكفاحية السياسية، والتوازن بينهما ضروري لخدمة الهدف

Digitized by Birzeit University Library

الذى وجد من اجله هذا الاطار . لكن ليس على حساب الكفاحية السياسية .

وتقوم الاطر النسوية في الضفة والقطاع بنشاطات واسعة في هذا المجال مثل فتح رياض الاطفال ، دورات محو الامية دورات النسيج والخياطة ، دورات دراسة تتعلق بالاطفال ، ندوات تتعلق بالامومة والطفولة ، دورات تقوية في المواد الدراسية للطالبات ، بازارات خيرية ، معارض التراث والاعمال اليدوية . وانشأت لجان المرأة العاملة مشغل رياض الاطفال وتقوم بعمل مخيمات للاطفال .

وكذلك تقوم عضوات هذه الاطر بزيارات لذوى الاسرى والشهداء وتقدم الهدايا لهم ، وتوطد علاقات هذه الاطر بجماهير النساء من خلال الزيارات لمنازلهن .

٢ ـ النشاطات الموجهة للنساء العاملات . ويمكن تحسس اهتمام جميع الاطر بذلك بدوافع مختلفة ، وبتفاوت كبير ، وتقوم لجان المرأة العاملة بدور بارز في هذا المجال حيث تمكنت من تحقيق شعار الثامن من اذار عيدا مدفوع الاجر في اكثر من ١٠٠ مؤسسة .

جـ ـ النشاطات الخيرية

هذه بالاساس مهمة الجمعيات الخيرية ، ولكن الاطر النسوية النقابية تقوم بدور في هذا المجال ، حتى يمكن القول ان بعض الاطر قد تحولت الى جمعيات خيرية كبيرة بعدة فروع . وبالتأكيد سيتصاعد دور هذه الاطر في هذا المجال مع تقاعد الكفاح الوطني لكن ليس كوجه وحيد للنشاط .

د ـ النشاطات الثقافية

وهي عقد ندوات ثقافية وسياسية ، واصدار النشرات ، وعرض الافلام على الفيديو ، واقامة المهرجانات في المناسبات المختلفة ، والقيام بدراسات حول وضع المرأة في الضفة والقطاع

هـ ـ النشاطات الصحية وذلك بالمشاركة مع لجان الاغاثة الطبية ، ويشمل ذلك معالجة العديد من الحالات المرضية في القرى والمخيمات ، وكذلك عقد الندوات الطبية حول مختلف الامور الصحية .

و ـ مشاركتها في العمل التطوعي .

تشارك هذه الاطر في الاعمال التطوعية لكن بشكل ضعيف ، والجدول التالي يوضح مشاركة عنصر النساء في العمل التطوعي سنة ١٩٨١ بالنسبة الى مجموعة المتطوعين (١٤) :

القدس	رام الله	الخليل	بيت لحم	نابلس	اريحا	غزة
٢٠ ٪	١٥ ٪	—	٢٠ ٪	—	٥ ٪	—

Digitized by Birzeit University Library

واغلب المشاركات هن من طالبات المعاهد والجامعات .

ويمكن ان نعزو ذلك جزئيا الى ان " الشباب لا يسمحون لاخواتهم وزوجاتهم بالمشاركة في العمل التطوعي " (١٥).

وبنا هذه الاطر لاتحادها يلعب دورا هاما في تطوير اعمالها ونشاطاتها ورفعها الى مستويات ارقى وكذلك لزيادة فعاليتها .

٥ ـ تركيبة الاطر الطبقية

بالرغم من انبثاق لجان المرأة العاملة عن النقابات العمالية الا انها تشترك مع باقي الاطر في ان غالبية العضوات من المثقفات والطالبات والموظفات ، مع وجود عدد من ربات البيوت ونسبة قليلة من العاملات .

والمرأة العاملة هي التي تبيع قوة عملها (١٦) . ونسبتها تبلغ ١٢ ٪ من النساء فوق سن ١٤ سنة ، وتبلغ ١٨ ٪ من القوى العاملة في الضفة . وعدد النساء العاملات ارتفع بين سنتي ٦٧ ـ ٨٢ من ٨ الاف الى ٣٠ الف (١٧) .

والاسباب الكامنة وراء ذلك هي العقلية المتخلفة التي ما زالت تؤثر في المجتمع الفلسطيني في الضفة والقطاع ، وعدم القدرة على الموائمة بين العمل والمنزل (١٨) .

والاطر النسوية التقدمية تعلن توجهها الطبقي ، وتحاول ـ طبعا بتفاوت في النضج وفي الفاعلية ـ التغلغل في صفوف العاملات .

٦ ـ العجز المالي .

تعاني معظم اللجان من العجز المالي ، وخاصة ان نشاطاتها تحتاج الى مبالغ كبيرة ، ويتم تعويض هذه المبالغ عن طريق الاشتراكات ، والتبرعات، البازارات الخيرية ، واليانصيب ... الا ان هذه الامور لا تحل مشكلة العجز المالي .

اما اموال دعم الصمود فتصرف لاعتبارات سياسية لا تخدم الهدف المعلن من صرفها وهذا يخلق تخمة لدى البعض تصل الى حد " الاختناق " ، وخاصة ان البعض يستغل هذه الوفرة من النقود ليساوم بها مع الكثيرات من النساء والنشيطات اضافة الى ان موزعي هذه المساعدات في عمان يشترطون شروطا تمس التوجه الوطني والطبقي لهذه الاطر .

ويمكن المساهمة في حل هذه المشكلة جزئيا طبعا عن طريق اقامة مشاريع انتاجية .

المراجع

١) خولة سالم ، "المسألة النسوية . طموحات وابعاد" ، الكاتب ، عدد ٤٨ ، ص ٦١ .

٢) نفس المصدر . ص ٦١ .

Digitized by Birzeit University Library

٣) نفس المصدر . ص ٦١ .
٤) لينين " بصدد تحرر المرأة" . دار التقدم – موسكو ، ١٩٨٢ ص ٨٣ .
٥) سحر خليفة " خلفاء لا خلفاء" . الكاتب عدد ١٧ ص ٦٦ .
٦) اللائحة الداخلية لاتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية سنة ١٩٨١ ص ٣
٧) اتحاد لجان المرأة الفلسطينية والثامن من اذار . نشرة لمرة واحدة سنة ١٩٨٤ .ص٣.
٨) برنامج لجان العمل النسائي واللائحة الداخلية ... سنة ١٩٨٢ . ص ٣.
٩) اتحاد لجان المرأة الفلسطينية ، مصدر ورد ذكره . ص ١٢ .
١٠) سهى البرغوثي : "زاوية شراع المرأة" . الشراع عدد ٦١ سنة ١٩٨٣ ص ٤٦ – ٤٨ .
١١) "اتحاد لجان المرأة العاملة – الانجازات والامال" الكاتب ، عدد ٢٦ ، ص ١٥ .
١٢) جباب "نصر كبير ومهمة عظيمة" ترجمة ناجي علوش ، دار الطليعة ، بيروت . ص ٦٢ .
١٣) جيفارا . الاعمال الكاملة" منشورات دار الفارابي – بيروت . ص ٦٣١ – ٦٣٣ .
١٤) وليد الرموني . " مسيرة العمل التطوعي" عدد ٢٣،٢٤ ك سنة ١٩٨١ . ص ٢٠
١٥) "زاوية العمل التطوعي" الشراع عدد ٥٩ ص ٢٨ – ٣٠
١٦) "ندوة حول المرأة والعمل النقابي" الكاتب ، عدد ٢٠١ سنة ١٩٨١ . ص ٣ – ١٠ .
١٧) على عثمان " نمو الحرية النسائية" الفجر الادبي عدد ٢٤ ص ٣٢ .
١٨) " ندوة حول المرأة ....." مصدر ورد ذكره .

Digitized by Birzeit University Library

الثورة الوطنية الديمقراطية و التجربة اليمنية

الحزب الاشتراكي اليمني ومهمات الثورة الوطنية الديمقراطية

سالم صالح محمد *

بالاستناد إلى التراث النظري الثمين لماركس وانجلز ولينين ، قامت الحركة الشيوعية العالمية بتطوير التعاليم الماركسية اللينينية حول الثورة التحررية الوطنية آخذة بعين الاعتبار التطورات والتغيرات الجديدة في المجتمع المعاصر مثل تعمق الأزمة العامة للرأسمالية وفقدانها لزمام المبادرة التاريخية بالاضافة إلى توطد النظام الاشتراكي العالمي وتحوله إلى العامل الحاسم في تقرير اتجاهات التطور التاريخي وأيضا طابع عصرنا الراهن عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.لقد أثرت هذه المتغيرات تأثيرا جوهريا على طابع ومضمون ثورة التحرر الوطني المعاصرة فقد دخلت مرحلة جديدة في تطورها . . إن الخاصية المميزة لهذه المرحلة تتمثل في امتزاج مهام التحرر الوطني بمهمات التحرر الاجتماعي في ظل الازدياد المستمر لثقل مهمات التحرر الاجتماعي على وجه الخصوص .

ومن الواضح حتى باعتراف الايديولوجيين المعتدلين في الغرب أنه من الصعوبة بمكان على البلدان المتحررة الفتية أن تواجه بنجاح مهام التحرر الوطني فضلا عن مهام التحرر الاجتماعي في ظل التطور الرأسمالي لأن اتباع هذا الطريق من أجل حل مهمات النهضة الوطنية يصطدم بالمصاعب الجسام ولا يحقق أي تبدلات سريعة وعلى العكس من ذلك فهو بسبب الآلام الفظيعة ويكرس

---

* عضو اللجنة المركزية سكرتير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني

Digitized by Birzeit University Library

طواهر سلبية وأعباء جديدة في حياة الشعوب التي تنتهج هذا الطريق وليس هناك أدل على ذلك من مصر (السادات) .

وهكذا يقدم لنا التاريخ المعاصر من واقع تجارب العديد من الشعوب التي سلكت بعد نيلها الاستقلال الوطني ، الطريق الرأسمالي للتطور الأدلة الساطعة على أن طريق التوجه الاشتراكي هو طريق التحرر الوطني والاجتماعي . جاء في برنامج التنظيم السياسي الجبهة القومية عن مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ما يلي : « إذا كان النضال الثوري للشعوب المتحررة من نير الاستعمار في البلدان النامية لا بد وأن يعني في الأخير تحقيق الاشتراكية . إن كل ذلك يفرض طريق الانتقال من الأنظمة الرأسمالية وما قبل الرأسمالية التي تمر بها هذه البلدان إلى بناء الاشتراكية . إنها مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التي تفرض قواها وأدواتها المتميزة ، كما تفرض حتمية أفقها الاشتراكي » وقد جاء في برنامج الحزب الاشتراكي اليمني (أن مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية عملية طويلة ومعقدة يجري خلالها خلق الظروف والشروط اللازمة من أجل الانتقال إلى الثورة الاشتراكية بشكل واع ومبرمج ومنهاجي تحت قيادة الحزب) .

في ضوء ما سبق يتبين أن ثورة التحرر الوطني المعاصرة هي ثورة وطنية ديمقراطية - هي ثورة من طراز جديد . وهي من حيث طبيعتها ثورة معادية للامبريالية والاقطاع وحتى للرأسمالية في مراحلها الأخيرة .

ومن خلال تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية فإن الثورة الوطنية الديمقراطية تتسم في المجال الاقتصادي والاجتماعي بتصفية هيمنة الاحتكارات الامبريالية على الاقتصاد الوطني وإقامة الرقابة الفعالة على نشاط الرأسمال الوطني بالقضاء على الملكية الاقطاعية وحل المسألة الزراعية لمصلحة كادحي الريف وبمشاركتهم الفعلية ، بالتقليص المؤثر للقطاع الخاص الوطني (البرجوازية الوطنية) وفرض الرقابة على نشاطه ، بناء القطاع الحكومي للاقتصاد وتحويله تدريجيا إلى القطاع المسيطر وتأمين احتكار الدولة للتجارة الخارجية ، بتنمية الصناعة الوطنية وإشاعة التعاونيات بين كادحي المدينة والريف ، وبالقيام بالتحولات الاجتماعية وإشاعة الديمقراطية في مختلف جوانب حياة المجتمع لصالح جماهير الكادحين ، وفي المجال السياسي فإنها تسم في القضاء على المؤسسات السياسية الكولونيالية الاقطاعية وبناء المؤسسات السياسية الديمقراطية - بدرجة أولى الحزب الطليعي للكادحين والدولة الديمقراطية الثورية والمنظمات الجماهيرية للكادحين والاشتراك الواسع النطاق للجماهير في حل القضايا الاقتصادية والاجتماعية وانتهاج السياسة الخارجية المبدئية القائمة على أساس التضامن الأممي والتعايش السلمي .

وفي المجال الايديولوجي فإنها تسم بالنضال من أجل استئصال كافة أشكال الثقافات القديمة الاقطاعية والاستعمارية والبرجوازية وإشاعة الثقافة الاشتراكية العلمية والثقافة الوطنية التقدمية .

إن تحقيق المهام الأساسية للثورة الوطنية الديمقراطية يعتمد على تحالف واسع من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين وكما جاء في برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية ، أن هذه القوى الطبقية بتحالفها الثوري الذي تقوده الطبقة العاملة وطليعتها تكون مؤهلة لتحقيق تلك التحولات والاستمرار في النضال دون كلل ضد كل الأعداء من امبرياليين وكمبرادوريين واقطاعيين .

Digitized by Birzeit University Library

تبين تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية أن الثورة الوطنية الديمقراطية تتميز بالطابع الديناميكي الحيوي وبالتأرجح في توجهها الاجتماعي وتنجم هذه المميزات عن الطبيعة الانتقالية للثورة الوطنية الديمقراطية وعن قابليتها للتطور إلى اليسار أو إلى اليمين عند أدنى تبدل مهما بدا صغيرا في ميزان القوى الطبقية أو في طابع القيادة .

ويستلهم الحزب الاشتراكي اليمني في تشخيصه للثورة الوطنية الديمقراطية وآفاق تطورها التعاليم اللينينية حول الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية والعلاقة المتبادلة فيما بينها . وحول ارتقاء الثورة الديمقراطية إلى الثورة الاشتراكية يشير برنامج الحزب الاشتراكي اليمني إلى أنه (الحزب) يأخذ بعين الاعتبار (الترابط الوثيق والتداخل المستمر بين المهام الديمقراطية والمهام الاشتراكية في العصر الراهن ولكنه في ذات الوقت يرفض الخلط بينهما) ويبين أن نهاية المرحلة الحالية للثورة في بلادنا ، وبداية المرحلة اللاحقة عملية لا يمكن أن تتحدد وفقا للرغبات أو أن يتم تحديدها بتاريخ معين ، بل إن تلك العملية الانتقالية تتوقف على طبيعة التحولات الجذرية الداخلية في حياة المجتمع ، وطبيعة الظروف المحيطة بها ودرجة نضوجها .

وتتسم عملية تحول الثورة الوطنية الديمقراطية إلى المرحلة اللاحقة بطابع نوعي ديالكتيكي وليس بفترة زمنية محددة .

ويؤكد البرنامج على أن الحزب الاشتراكي اليمني في مجرى نضاله من أجل تأمين انتقال الثورة الوطنية الديمقراطية وما يناسبها من نظام سلطة إلى شكل أرقى ... يأخذ ... في الحسبان القوانين العامة لبناء المجتمع الجديد والمميزات الخاصة بتطور الثورة الوطنية الديمقراطية في بلادنا على حد سواء .

ويحدد البرنامج الشروط الضرورية للانتقال النوعي للثورة الوطنية الديمقراطية بالآتي :-

أولا :- بناء الحزب الطليعي من طراز جديد .. باعتبار أن قيادة الحزب هي التي تؤمن الانجاز الناجح لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية وتؤمن ارتقائها اللاحق .

ثانيا - تعميق وتجذير التحولات الديمقراطية لمصلحة تعزيز الدور القيادي لقطاع الدولة والقطاع التعاوني وما يمكن أن ينجم عن ذلك من تغيير في تناسب القوى الطبقية لصالح الطبقة العاملة وحلفائها وبالتالي في تحول السلطة القائمة إلى شكل من أشكال الديمقراطية الشعبية .

ثالثا - الحرص على وحدة مصالح الطبقة العاملة اليمنية ومصالح بقية جماهير الكادحين والاهتمام بدات القدر الذي تغطى به المهام المستقبلية « المهام المباشرة الملحة التي تهم الجماهير وترتبط بحياتها اليومية - غير أن هذا الاهتمام يفسح المجال لرفع دور الجماهير الكادحة في استكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ويمكنها من الفهم الواضح والادراك العميق لأهداف ومهمات مرحلة البناء الاشتراكي وإسهامه المنشطة في ترجمتها عمليا على صعيد الواقع الحسي » .

Digitized by Birzeit University Library

بعض خصائص تجربة التنمية الاقتصادية في اليمن الديمقراطية

عبد القادر باجمال *

تمهيد :

إن المناقشة المستفيضة النابعة عن التحليل العلمي الرصين لتجربة الثورة الوطنية الديمقراطية في اليمن الديمقراطية ، لا يمكن أن تبقى في حدود طرح القوانين العامة كما تبينها الأدبيات والمقولات النظرية الماركسية ـ اللينينية إذا أريد أن تكون رؤيتها الواضحة والمعمقة حول ما جرى ويجري على الساحة اليمنية بكل ما تحمله من خصائص ومميزات وملامح محلية لها جذورها في الواقع المعاش وتمتد في عمق الماضي الموروث والذي أقل ما يقال عنه أنه واقع متخلف بكل أبعاد هذا التعبير .

إن القيمة الحقيقية لهذا الملتقى الفكري هي فيما يستخلصه من نتائج ودروس أفرزتها التجربة التي لا يدعي أحد بتفردها الكامل ولكن دون شك بخصائصها المميزة التي قد تلتقي بهذا القدر أو ذاك مع ملامح مشابهة لتجربة سابقة ولكنها لا تتطابق معها بالضرورة . فثمة تشابه في السمات والظواهر العامة .. غير أنه توجد السمة المميزة الخاصة ذات الصلة الوثيقة بالتطور التاريخي للقوى الاجتماعية ولما يحيط بهذا التطور من صيغة منفردة كانعكاس للظروف المحيطة والعوامل المحلية المؤثرة .

وهنا يبرز السؤال كيف تمثلت التجربة في اليمن الديمقراطية القوانين العامة للثورة الوطنية الديمقراطية ؟؟ .. وماذا أعطت هذه التجربة من نتائج تعمق مفهومنا لقدرة هذه القوانين على صحة استيعابها للظروف المحلية ، وتؤكد صوابها وقدرتها العالية على تقديم المعالجات للظروف والخصائص القائمة ؟؟ .

ويتأكد من واقع التجربة أن القوانين العامة لمسار العملية الثورية في اليمن الديمقراطية قد نجحت في التطبيق على الواقع المتخلف لهذا البلد بفعل العامل الذاتي الذي لعب دوراً هاماً ومؤثراً رغم الظروف المعقدة للواقع الموضوعي المتخلف .. وأن وجود الحزب الطليعي الماركسي اللينيني (الحزب الاشتراكي اليمني) قد أنجز مهام رئيسية كبيرة وذات قيمة تاريخية عالية تؤكد دون شك على الأهمية القصوى لدور الحزب الماركسي اللينيني في اجراء التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. وتكشف عن قدرة خلاقة في قيادة العملية الثورية وصيانتها عبر المسيرة المعقدة والصعبة ، ووضع استراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتبني تكتيكات مرنة

* عضو اللجنة المركزية المرشح للحزب الاشتراكي اليمني ووزير الصناعة

Digitized by Birzeit University Library

وديناميكية في سبيل معالجة ومواجهة الصعوبات التي يفرزها الواقع .

وهنا يمكننا كباحثين في ثنايا هذه التجربة أن نلتقط جملة من الدروس ايجابياً وسلبياً نعمق بها مفاهيمنا ونتحول من الأحاديث المجردة حول القوانين العامة إلى ملامسة الوقائع ودراسة جزئياتها دون أن نغرق في التفاصيل ، وذلك بالقدر الذي يساعد على تحديد الملامح الاصيلة في التجربة وما تضيفه إلى التجارب السابقة وما يمكن أن تعطيه من زاد فكري وعملي إلى التجارب المعاصرة أو المستقبلة . . كما أنه بنفس القدر تحتاج تجربة اليمن الديمقراطية إلى روافد غنية بالدروس من تجارب أخرى في إطار تبادل الخبرة وتطويرها بين الثوريين .

وإذا كانت عملية التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية المخططة في اليمن الديمقراطية تشكل أحد المحاور الرئيسية والحلقات المركزية في هذه التجربة فانه لمن الحتمي أن تدرس هذه الخبرة المتواضعة التي لا تدعي كمالها . . ولكنها تحمل من الدروس الشيء الكثير . . كون التنمية في اليمن الديمقراطية لم تكن استطراداً وامتداداً جديداً لجهد تنموي سابق ، وإنما هي بعثاً جديداً وكلياً ونهوضاً من نقطة الصفر في كافة مناحي الحياة .

وسأقتصر هنا وبايجاز على تحديد بعض الملامح والخصائص التي رافقت عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، حتى تكون مدخلاً للمناقشة والمساهمة الفكرية .

(١) يستخلص من واقع تحليل البنية الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة أن العلاقات الانتاجية السائدة تتسم بعلاقات ماقبل الرأسمالية الاقطاعية ـ شبه الاقطاعية وربما بعض السمات المشاعية ، مع انعدام كلي لوجود البرجوازية الوطنية التي لم ولن تسمح بروزها الكولونيالية بحكم الطابع الرأسمالي الاحتكاري التابع والوظيفة التي تؤديها (عدن) على هامش الاحتكارات الرأسمالية العالمية ، وإذا وجدت علاقات رأسمالية بهذا القدر أو ذاك فانها في التحليل الأخير جيبية وذات صبغة تابعة (كمبرادورية) . إن كل هذا قد ألقى بظله على واقع القوى المنتجة وتخلفها الشديد . وهذا يفسر الصيغة التي طرحتها أدبيات الثورة في اليمن الديمقراطية بشأن قوى التحالف في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية والمتمثلة في العمال والفلاحين والصيادين والبرجوازية الصغيرة ، واستبعدت البرجوازية الوطنية أو المتوسطة .

(٢) إن التراكم الاقتصادي لم ينبع عن نشاط انتاجي وطني ، وهو وإن نتج عن نشاط تجاري فانه يذهب في الأخير لصالح الاحتكارات الرأسمالية . . فالزراعة والصناعة والبناء لا يمثلان في الانتاج المحلي سوى نسبة ضئيلة ولا تزيد مساهمتها عن ٣٠ ٪ مجتمعة . . من اجمالي انتاج محلي لا تزيد قيمته عن ٦٨ مليون دينار في ١٩٦٧ (عام الاستقلال الوطني) تمثل فيه التجارة والخدمات ونشاط الحكومة القسم الأعظم . . أما ميزانية الدولة الوليدة في عام ١٩٦٨ فلم تزد عن ١٢ مليون دينار للانفاق على جهاز الدولة والأمن والدفاع واداء الخدمات المختلفة .

ولقد كان من نتائج الجهد التنموي الواسع والمكثف بانتهاج سياسة اقتصادية تحررية تأخذ القوانين الموضوعية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ان تحقق في عام ١٩٨٣ اجمالي انتاج اجتماعي مقداره ٣٩٠ مليون دينار لفرعي الانتاج المادي ، والخدمات المنتجة . . يحوز القطاع الانتاجي (الصناعة ، الزراعة ، الأسماك ، البناء) على ٥٩ ٪ وهذا يبين التغيير الملموس في بنيان وتركيب الهيكل الانتاجي الاقتصادي للبلاد .

Digitized by Birzeit University Library

(٣) اعتماد التنمية منذ خطواتها الأولى على الموارد الخارجية وعدم تحقيق الخطة الثلاثية الأولى ١٩٧٣/٧١ لاهدافها يرجع إلى عدم الحصول على هذه الموارد . إن القفزات الكبيرة التي حققتها الخطة الخمسية الأولى ١٩٧٨/٧٤ يعود أيضاً إلى تدفق موارد خارجية للتنمية أكبر مما خطط لها وبالذات من الدعم الذي أخذ ينمو من البلدان الاشتراكية وبصورة خاصة من الاتحاد السوفيتي ، لقد قفزت أرقام الخطة الأولى للسنوات الخمس ١٩٧٨/٧٤ من ٧٥ مليون ديناراً إلى ١٩٦ مليون دينار . ان العنصر الخارجي في التمويل مؤثر في التنمية تأثيراً بالغاً ونلحظ ان الخطة الخمسية الحالية للسنوات ١٩٨٥/٨١ تعتمد على ٧٠ ٪ من الموارد الخارجية ، وإن حشد الموارد المحلية لا يزيد عن ٣٠ ٪ . . وإذا ما تمعنا في طبيعة هذه الموارد الخارجية نجد أن نحو ٧٠ ٪ منها مصدره البلدان الاشتراكية وبشكل كبير وواسع من قبل الاتحاد السوفيتي .

وهذا يعني أن أساس البناء الاقتصادي الذي يجري في المجالات الحيوية الهامة يتحقق بفضل المساعدة الأممية في البلدان الاشتراكية حيث تتجلى المقولة الليبية في أن بناء الاشتراكية

ممكن في ظل الظروف المتخلفة على هذا النحو بدعم الاشتراكية المتصرة .

(٤) ان طابع التخطيط ومنهاجيته في اليمن الديمقراطية وأدواته الرئيسية والمساعدة يجري وفقاً لخبرة التخطيط المتبعة في البلدان الاشتراكية . . ويجري احتساب المجاميع الاقتصادية (الانتاج الاجمالي - والدخل . . الخ) على أساس المنهجية الماركسية في حساب الانتاج المادي والخدمات المنتجة . . ويستبعد من الحساب أي نتائج تنموية على الصعيد الاجتماعي الخدماتي والحكومي (أي أن حسابات الانتاج والدخل في اليمن الديمقراطية لو احتسبت على النمط البرجوازي ستزيد بمعدل ٢٥ ٪ على الأقل) . . وهذا يعني أن محدد التنمية يرتكز على توسيع الانتاج وزيادة الفعالية الاقتصادية للاستثمارات .

وتهدف الخطة هذا العرض تحقيق معدل نمو سنوي نحو ١٠,٣ ٪ ونلاحظ أنه في عام ١٩٨٤ خطط ان تحقق الصناعة معدل نمو ١٢,٨ ٪ والزراعة ١٢,٦ ٪ والأسماك ١٠,٦ ٪ وهذا يبرز الاهتمام المركزي بقضية الانتاج واعطائه الأولوية . .

إن خبرة التخطيط في اليمن الديمقراطية ليست كبيرة ولكنها غنية ببعض الدروس ولا نستطيع القول أننا منذ الوهلة الأولى بدأنا بخطة متكاملة متجانسة ولكن التدرج المنسق مع الظروف الموضوعية والذاتية مكننا من الوصول إلى تحقيق شروط الشمولية في صورتها الأولى غير المعقدة . .

وما زالت مجالات ومساحات كثيرة تنتظر التغطية وشمول الخطة لها . . كما أن خبرة التخطيط للتنمية المتقدمة قد أعطت نتائج ملموسة فيما يتعلق بامتلاك أهم أدوات التخطيط وليس كلها أو بكامل جزئياتها . . كما أن ادراك أهمية التخطيط أخذ طريقه إلى وعي الجماهير بشكل ملحوظ ، وارست تقاليد عملية ملموسة في نشاط الأجهزة المركزية والمحلية .

(٥) إن هناك طرف ملموس له تأثيره المباشر على عملية التنمية وهو وجود خمس (١/٥) سكان البلاد يعملون خارجها ويوفرون جزءاً كبيراً من موارد النقد الأجنبي ، وهذا الوضع بقدر ما يحل بعض المشكلات في مضمار التنمية وتوفير حاجات البلاد إلا أنه يخلق وضعاً على درجة عالية في التعقيد ويتمثل ذلك في جوانب مختلفة . . أكثرها وضوحاً كون جزء من السكان في داخل الجمهورية يعتمدون على هذا المورد ورابطتهم بالعملية الانتاجية في البلاد ضعيفة إلى حد كبير بل

Digitized by Birzeit University Library

ربما ينشطون باتجاه معاكس . . ويتجلى المظهر الآخر في كون الموارد الخارجية المتدفقة من قطاع المهاجرين تخلق طلباً متزايداً يفوق قدرة العرض من السلع والخدمات ، وينشأ تبعاً لذلك سلوك استهلاكي غريب عن مجتمع يهدف إلى خلق المجتمع الانتاجي . وتكون المواجهة حادة ومعقدة .

(٦) ولا يغيب عن البال كون اليمن الديمقراطية تقع على مقربة وثيقة من محيط نفطي ثري . . فهذه الدول النفطية الريعية ذات التكاثر المالي ، وليس التراكم الرأسمالي كما يجدر أن يصفه بعض الاقتصاديين ، تؤثر دون شك في الوضع الداخلي أقلها التأثير السلبي على أنماط الاستهلاك ، ومحاولة ترييف الوعي لدى السكان بالأشكال المبهرة للدخول وأنواع الترف والاسراف الكبير مما يؤثر لا على عملية المحرة ، وإنما أيضاً التأثير المعاكس لخلق الوعي الجديد والقيم والسلوك الثوري لدى أفراد المجتمع وتصح المهمة التربوية والتثقيفية والايديولوجية للحزب أكثر تعقيداً وصعوبة .

ومع ذلك كله فإن النجاحات في مضمار العمل الايديولوجي والتربوي كبيرة . فربع سكان الجمهورية تقريباً ينتظمون في الدراسة بكل مراحلها التعليمية ، ويزداد تأثير الثقافة الوطنية والتقدمية يوماً بعد يوم . . إن ذلك كله يجري بجهد مضاعف ومكثف .

(٧) ومن بين الأهداف الاستراتيجية للثورة اليمنية تحقيق الوحدة اليمنية على أسس سليمة وديمقراطية . . وإن هذا يطرح مهمة ذات قيمة عالية وكبيرة في خوض المباراة السلمية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين شطري اليمن ، ويتم على ضوئها الفرز الحقيقي الاجتماعي للقوى أي بين القوى ذات المصلحة الحقيقية في التغيير والتجديد الثوري للمجتمع والقوى الرافضة والمعيقة لأي تطور تقدمي تنموي مستقل . . ولكون الوعي الاجتماعي وآثار التخلف الثقافي يؤثران في هذه العملية فان خوض غمار المسابقة لاظهار أفضليات التوجه الاشتراكي للنظام في الجنوب يضع مهام جسيمة وكبيرة أمام الحزب الاشتراكي اليمني . ان التأثير في أوساط الشغيلة في مضمار هذا الصراع سيظل عنصراً هاماً لجذب أكبر قدر من الواعين بمصالحهم الطبقية ، وينبغي بهذا الصدد احراز تقدم ملموس .

ومن أجل ذلك يكون للوزن النوعي للملكية الاجتماعية في الانتاج دلالته الكبيرة . . ففي خطة عام ١٩٨٤ سيصل نصيب قطاع الدولة في اليمن الديمقراطية ٢ ، ٤٥ ٪ والتعاوني ٢ ، ٩ ٪ والمختلط ٢ ، ٩ ٪ والخاص المحلي ٣٣ ٪ ولا يوجد في البلاد رأس مال أجنبي فقد انتهى دوره ومساهمته في الانتاج بتحول مصفاة عدن إلى ملكية عامة وطنية .

(٨) إن هذه الانجازات والتحولات التي تمت ، تحققت فقط في ظل وضع لم تتمكن فيه بعد من استخراج واستغلال ثرواتنا الطبيعية . . إنها ناجمة عن تشغيل الطاقات القائمة وتوجيه المجتمع نحو الانتاج ، وتعديل الاختلالات الهيكلية الأساسية ، وليس بصورة كلية ، وكذا عبر إقامة المشاريع الجديدة لتحريك دولاب الانتاج بصورة أسرع .

وحقيقة الأمر أنه ما زالت لدى الاقتصاد الوطني امكانية أن ينمو بمعدلات أكبر ونعترف أن جهداً كبيراً ينبغي أن يبذل لاستغلال أكثر للطاقات وتوسيع الانتاج .

إن مقومات وآفاق التطور المستقبلي تكمن بدرجة أساسية في الاستغلال الواسع للثروات والموارد الطبيعية ، ومن خلاله يمكن توسيع القاعدة المادية التكنيكية ، وايجاد الأساس الأمتن

Digitized by Birzeit University Library

والاقوى للتطور الاقتصادي والاجتماعي .

وفي هذا المجال فإن هناك مهمات كبرى تناط بالتعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي وبقية البلدان الاشتراكية في انجاز نشاطنا المشترك في مجال النفط والمعادن وعلى النتائج المرجوة يمكن القول أن الدفعة الكبيرة في الاقتصاد الوطني لليمن الديمقراطية ما زالت وعداً نسعى إلى تحقيقه بكل همة ومثابرة .

(٩) ويكتسب وجود اليمن الديمقراطية عضواً مراقباً في إطار مجلس التعاون الاقتصادي المتبادل بين البلدان الاشتراكية (سيف) بعداً استراتيجياً في مضمار العلاقات الأممية بين اليمن الديمقراطية والبلدان الاشتراكية . . . ويشكل التواجد في خمس لجان هامة من لجان المجلس عضواً هاماً وفاعلاً في تنسيق الخطط والمساعدة في تعميق الروابط الرفاقية ـ ويمثل الاقتصاد المحور الهام والأساسي لتطوير وتنمية التكامل الاقتصادي وتوزيع العمل الاشتراكي . . ومجالاً مناسباً لتقريب التفاوت في مستوى النمو .

ويجري اليوم في اليمن الديمقراطية نتيجة لهذا التعاون في إطار (السيف) تنفيذ مشروع الجيولوجيا الذي يشترك فيه كل من الاتحاد السوفيتي والمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا ، ويعتبر أحد المشاريع التي يتبناها مجلس التعاون الاقتصادي ، وهي تجربة نسعى إلى تطويرها وتعميمها على مجالات أخرى وبصورة خاصة في قطاع البناء والتشييد ، والصيد البحري ، والزراعة .

إن مستقبل تطور العملية التنموية في اليمن الديمقراطية من خلال هذه التجربة يجري صنعه في الواقع والممارسة بالاعتماد على التعاون الواسع والمكثف مع البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . . وإن ايمان الحزب الاشتراكي اليمني الراسخ بهذه المسألة هو ايمان كلي ومطلق .

العملية الثورية في اليمن الديمقراطية طبيعتها .. اتجاهات تطورها

فاروق علي احمد *

لا تطمع المداخلة المطروحة إلى تقديم معالجة نظرية للموضوع المحدد لها ، بقدر ما تسعى إلى تقديم عرض مكثف لموضوع البحث ، يقوم على ملامسة الجانب التطبيقي للعملية الثورية في اليمن الديمقراطية .

ستعتمد المداخلة في عرضها على أسلوب يزمن في تقديرنا امكانية أكبر للحوار والمناقشة من خلال التركيز على أبرز المسائل التي يحددها سياق التحليل للثورة الوطنية الديمقراطية في بلادنا .

* نائب سكرتير اللجنة المركزية الحزب الاشتراكي اليمني

Digitized by Birzeit University Library

المقدمات التاريخية لثورة ١٤ اكتوبر ، كثورة تحررية وطنية :

- على إمتداد فترة الاحتلال الاستعماري لم تنطفىء المقاومة الباسلة لشعبنا اليمني واستمرت مظاهر الرفض تتفجر في كل مدن وأرياف البلاد ، وكانت الانتفاضات العفوية لأبناء القبائل والتي اتخذت أشكال شتى تقمع بالحديد والنار ، وتنتهي بالفشل لأسباب عديدة منها غياب التنظيم ، وعزلتها وطابعها المتفرق الذي كان يحول لأسباب موضوعية دون وحدة النضال التحرري لشعبنا .

- وفي مطلع الخمسينات ، في ظل ظروف دولية اتسمت باتساع وتعميق النضال التحرري لشعوب ٤٨ ، وبالارتباط بمظاهر انبثاق الوعي القومي التحرري لشعوبنا العربية، شهدت معركتنا الوطنية في شطري الوطن نهوضا كفاحيا كان من نتيجته اتساع حركة المعارضة الوطنية، ونشوء التنظيمات السياسية التي رفع بعضها في الجنوب شعارات سياسية تطالب باستقلال شكلي لعدن في اطار الكومنولث (كالجمعية العدنية) ، او استقلال يكرس التجزئة البغيضة لشطري الوطن (كالرابطة) .

وكان طبيعيا ان تعجز هذه التنظيمات السياسية ببرامجها وشعاراتها السياسية عن تمثيل الاهداف التحررية الجذرية للشعب بالنظر لطبيعتها الطبقية ،حيث عبرت في الاساس عن مصالح قوى اقطاعية وشبه اقطاعية وبرجوازية كمبرادورية نامية ارتبطت مصالحها بالوجود الاستعماري. على ان ذلك لاينفي في تلك الظروف تاريخيا الدور الوطني نسبيا لبعض هذه القوى، الا انها بشكل عام كانت بطبيعتها الاجتماعية والفكرية قوى كابحة ومعطلة لتطور النضال التحرري لشعبنا اليمني وطنيا .

وفي اواسط الخمسينات وتحت تأثير تطورات محددة في البنية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك بالارتباط بحاجة بريطانيا الى تطوير الخدمات المساعدة لابقاء وتطوير عدن كقاعدة رئيسية لقيادة قوات الشرق الاوسط البريطانية، شهدت الخارطة الاجتماعية تغييرات هامة ، وفي الاساس ميلاد الطبقة العاملة اليمنية ،التي كان ظهورها كقوة منظمة في النقابات ايذانا بمرحلة جديدة من مراحل تطور الحركة الوطنية اليمنية .

لقد اضفى الوجود الاجتماعي السياسي للطبقة العاملة اليمنية على الرغم من وزنها الكمي المحدود ، طابعا كفاحيا على النضالات التحررية ، وارتفعت لاول مرة شعارات الجلاء والاستقلال ،والوحدة اليمنية وبعد أن كانت مطالب الحركة الوطنية لا تتجاوز تقديم العرائض الذليلة، اتسعت وتنوعت اشكال النضال الشعبي واصبحت الاضرابات والمظاهرات وأساليب العصيان المدني واستمرار الانتفاضات والهبات تعبيرا عن تنامي الوعي التحرري لشعبنا ، وادراكه المتزايد لوحدة اهداف نضاله الوطني في شطري الوطن وفي هذا السياق برزت التنظيمات والتجمعات الوطنية العقائدية الاولى .

Digitized by Birzeit University Library

العوامل الموضوعية والذاتية لقيام ثورة ١٤ اكتوبر المجيدة . . الجبهة القومية طليعة سياسية للثورة الشعبية :

- شهدت بداية الستينات تصاعد النضال التحرري لشعبنا تحت تأثير احتدام التناقضات السياسية والاجتماعية بين الجماهير وقواها الوطنية والديمقراطية من جهة وقوى الاستعمار وركائزه المحلية وكان القهر الاستعماري الرجعي يتصاعد على نحو بالغ العمق والاتساع بهدف ضرب وتصفية النهوض التحرري لشعبنا ، وفي هذا الاتجاه تصاعدت وسائل القمع السياسي والاقتصادي والايديولوجي وتعرض شعبنا وقواه الوطنية للعسف والظلم ، الأمر الذي لم يكن سوى عامل من عوامل اذكاء المقاومة الوطنية التي اتخذت أبعاداً جديدة وبشكل خاص في ظل تعزز نفوذ القوى الوطنية الجذرية وتعاظم الوعي التحرري الوطني يمنياً وعربياً ودولياً .

- كان احتدام التناقضات بين قوى الاستعمار وقوى الشعب الوطنية أساساً موضوعياً بالاضافة إلى التجربة الكفاحية لشعبنا ، لادراك أهمية الارتقاء بأساليب وأشكال النضال الوطني إلى مستوى نوعي جديد يؤمن للشعب ايجاد حل ثوري لقضيته الوطنية ، وتحقق ذلك الوعي بالارتباط الوثيق بتوطد وتنامي مكانة ودور القوى الوطنية الديمقراطية وكان قيام الجبهة القومية كطليعة تقود النضال السياسي والعسكري لشعبنا هو الشرط الذاتي الذي أمن إلى جانب العوامل الموضوعية الأخرى اندلاع الثورة الوطنية التحررية ، في الرابع عشر من اكتوبر - ١٩٦٣ .

- وعلى الصعيد اليمني كان طبيعياً أن يكون انتصار ثورة السادس والعشرين من سبتمبر وقيام الجمهورية في شمال الوطن ، ابرز المقدمات الموضوعية لقيام الثورة الشعبية المسلحة في جنوب اليمن ، كنتيجة منطقية للوحدة العضوية لنضال الشعب اليمني ضد الاستعمار والرجعية المحلية وتعبيراً عن التطلعات والأماني الوطنية المشتركة لكادحي شعبنا في إقامة نظام وطني ديمقراطي موحد .

- وعلى الصعيدين العربي والدولي فقد شهدت بلداننا العربية نهوضاً تحررياً عارماً ضد النظام الاستعماري العالمي وضد الصهيونية والرجعية وفي سبيل السيادة الوطنية والتقدم الاجتماعي ، كما ترافق ذلك مع توطد وتعزز مواقع النظام الاشتراكي العالمي الذي غدا عاملاً حاسماً في تحديد اتجاه التطور العالمي ومع اتساع وتعميق انتصار قوى التحرر والديمقراطية بشكل عام .

- تمكنت الجبهة القومية من خلال نهجها السياسي من تأمين تعبئة أوسع الطبقات والفئات الاجتماعية للمشاركة في الثورة المسلحة واستطاعت من خلال استخدام أساليب النضال السياسي والفكري والعسكري النقابي من تعميق النضال التحرري ، الذي اكتسب طابعاً شعبياً متزايداً . وكانت الطبقة العاملة أكثر القوى الاجتماعية تأثيراً وفعالية وتحققت في هذا السياق الوحدة الكفاحية للقوى الثورية التي تشكلت وتصلبت في اتون النضال الوطني والاجتماعي وشكلت أساساً فعلياً للتحالف اللاحق ، في النضال ضد اليمين واليسار الانتهازي ، ومن أجل قيام الحزب الطليعي من طراز جديد .

- وهكذا على الضد من ادعاءات وتخرصات الاستعمار وقوى الرجعية المحلية والقوى التقليدية والاصلاحية التي رأت في الثورة المسلحة لشعبنا عملاً ارهابياً وفوضويا ، كانت الثورة فعلاً شعبياً

Digitized by Birzeit University Library

واعيـة ، تجسيداً لقوانين التطور الموضوعي وتعبيراً عن مستوى تطور النضال الوطني والاجتماعي الذي شهده مجتمعنا وامتداداً متطوراً للنضالات الشعبية التي خاضتها جماهيرنا على إمتداد سنوات الاحتلال ، واستمراراً لثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، وكجزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني العربية ، ومع حركة الثورة العالمية بقواها الثلاث النظام الاشتراكي العالمي ، والحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطني (١).

الاستقلال الوطني بين نهج التبعية للاستعمار الجديد ونهج السيادة والتقدم الاجتماعي :

- فتح الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ ، يوم ظفر شعبنا بالاستقلال الوطني مرحلة تاريخية جديدة في حياة بلادنا ، للسير في دروب التقدم الاجتماعي إلاّ أنه لأسباب داخلية وخارجية تمكن اليمين من السيطرة على السلطة في التنظيم والدولة ، حيث عمل على تحميد الثورة في حدود الاستقلال الشكلي ، وبناء دولة برجوازية مرتبطة بعجلة الاستعمار الجديد وتستند إلى أجهزة الدولة العسكرية والمدنية ، التي خلفها النظام الاستعماري القديم . وقد أحدث الصراع ضد هذا التيار مداه الكامل داخل التنظيم السياسي الجبهة القومية (٢).

- وهكذا تبلور خطان بصدد طريق التطور للثورة ، وبشكل خاص في المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، خط يمثله اتسم بالنزعة الفردية كبديل عن الدور القيادي للتنظيم وبالتحالف مع القيادات الرجعية في الجيش القديم والأجهزة المدنية ضد مقررات المؤتمر الرابع التي استهدفت تعميق المضمون الديمقراطي الثوري للتنظيم السياسي الجبهة القومية ، وتعزيز دوره القيادي في توجيه نضال الجماهير الكادحة صوب بناء سلطة وطنية ديمقراطية ذات مؤسسات ديمقراطية تجسد مصالح أوسع جماهير الشعب من العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الصغيرة والجنود والفئات الكادحة الأخرى ، وإدارة الحياة العامة للمجتمع بالاستناد إلى أسس القيادة الجماعية والمركزية الديمقراطية في مختلف المجالات التنظيمية والتنفيذية والتشريعية (٣).

- وخط يساري عبر من خلال الوثائق والقرارات ، عن تطور المنحى العام للتيار التقدمي في التنظيم السياسي الجبهة القومية ، من خلال الوثائق والقرارات التي ناقشها وأقرها المؤتمر ، وجسده المصالح الطبقية القاعدة الاجتماعية الواسعة للتنظيم السياسي الجبهة القومية الذي فجر الثورة وقادها إلى النصر في الثلاثين من نوفمبر ، وكانت هذه القرارات تتمحور حول أهمية تحقيق الاصلاح الزراعي الجذري ، وبناء المنظمات الجماهيرية الديمقراطية ، وتطهير أجهزة الدولة من العناصر المعادية للثورة وإحلال قيادات جيش التحرير محل قيادات الجيش القديم ، وتأميم الشركات الرأسمالية الأجنبية ، وانتهاج سياسة خارجية تحررية (٤).

وبعبارة أخرى ، اتحاد التدابير الكفيلة بانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية

- إن جذور هذين الخطين قد تشكلت في مرحلة القرار الوطني ، وفي اطار الصراع حول استقلالية خط الثورة وضرورة تجذيره ، ومحاولة إخضاعه للوصاية أو اجهاضه كما هو الحال في خطوة الدمج التي رفضتها قواعد الجبهة القومية مدعومة من القوى الثورية الأخرى .

- كان الموقف الواعي لطبيعة الصراع حول اختيار طريق التطور اللاحق لتحقيق الاستقلال السياسي بأبعاده الاجتماعية الايديولوجية عاملاً أسهم في تعزيز وحدة القوى الثورية داخل الجبهة

Digitized by Birzeit University Library

القومية وخارجها والتي استطاعت تعبئة قوى الشعب ضد السلطة اليمينية ، التي انتهجت نهجاً معادياً لمصالح وآمال الجماهير في التحرر والتقدم الاجتماعي واستطاعت الاطاحة بحكم اليمين الرجعي في الثاني والعشرين من يونيو ١٩٦٩ .

- لقد أدت حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ إلى وصول التيار التقدمي في الجبهة القومية إلى السلطة السياسية ، الأمر الذي فتح الطريق واسعاً أمام عملية التحويل الديمقراطي للمجتمع على أساس انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية .

- وكان المؤتمر العام الخامس للجبهة القومية ، بما مثله من التزام بايديولوجية الطبقة العاملة الاشتراكية العلمية ، ووضعه أسس التنظيم الليننية في أساس النظام الداخلي للتنظيم ، قد رسم الملامح النهائية للتنظيم كتنظيم ديمقراطي ثوري يسترشد بفكر الاشتراكية العلمية ، وحدد على هذه الأرضية الفكرية مواصلته لبرنامج التحولات الجذرية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

عملية استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية :

- حدد برنامج التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بأنها تعالج مسائل التحول والانتقال من المجتمعات المستعمرة وشبه المستعمرة والمجتمعات ما قبل الرأسمالية إلى المجتمعات التي تبني الاشتراكية في ظل الظروف والأوضاع الطبقية في هذه المجتمعات وفي ظل انتصار الاشتراكية وانحسار الأنظمة الامبريالية . وحدد أن مهامها لا تنحصر في حل معضلة من معضلات التحرر الوطني الديمقراطي ولكنها تعالج كافة قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية ابتداء بحل مسألة السلطة عبر نضال ديمقراطي شعبي ، ومعالجة كافة مسائل البناء الفوقي ، في هذه المجتمعات معالجة وطنية تقدمية ، ومروراً بحل مسألة الأرض ، وتحقيق التحرر الاقتصادي وخلق القاعدة المادية والتكنيكية عبر خطط التنمية ، وانتهاء بالدخول بتصفية جذور العلاقات الاستغلالية وتثبيت علاقات من نوع جديد لبناء المجتمع الاشتراكي (٥).

- هذا الفهم لطبيعة المرحلة ومهماتها ، تحقق في إطار العملية التاريخية التي شهدتها وتشهدها بلادنا لانتقال صفوف واسعة من الديمقراطيين الثوريين إلى مواقع الفكر الاشتراكي ، تحت تأثير عوامل داخلية ، منها انتشار هذا الفكر منذ وقت مبكر ، ومكانة ودور الطبقة العاملة اليمنية في النضال التحرري وطنياً واجتماعياً والأصول الطبقية الكادحة للديمقراطيين الثوريين ، الذين تلمسوا بخبرتهم النضالية وحسهم الثوري الطريق إلى أفكار الطبقة العاملة ، وكذلك تحت تأثير عوامل خارجية منها على الصعيد العربي اتساع نفوذ أحزاب الطبقة العاملة فكرياً وسياسياً وبشكل خاص في أعقاب هزيمة حزيران والسقوط التاريخي للأنظمة البرجوازية وعجزها عن حل مهام التحرير الوطني الديمقراطي بشكل جذري ، أما على الصعيد الدولي ، فإن اتساع وتعميق مكانة ودور النظام الاشتراكي شكل وبشكل قوة جذب هائلة لأوساط اجتماعية واسعة في عصرنا ، عصر انتصار الاشتراكية وانهيار النظام الرأسمالي العالمي .

- في هذا الاطار تحققت التحولات الجذرية على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاق اشتراكية . هذه التحولات التي تحققت في إطار الصراع الطبقي الحاد التي تنوعت أشكاله وأساليبه ، عملت من خلاله القوى المعادية للثورة داخلياً وخارجياً على إسقاط النظام التقدمي بهدف تجميد العملية الثورية واخضاع البلاد

Digitized by Birzeit University Library

للامبريالية وركائزها المحلية وتأثرت هذه التحولات بهذا القدر أو ذاك بطبيعة الصراع الداخلي الذي شهدته قوى الثورة في سياق عملية الفرز السياسي والفكري والاجتماعي التي شهدها ويشهدها الديمقراطيون الثوريون على صعيد المجتمع ، وفي التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية .

- على صعيد الممارسة كانت الرؤية السليمة للعلاقة بين معالجة قضايا الديمقراطية السياسية وقضايا الديمقراطية الاجتماعية ، أساساً هاماً لموقف جذري على طريق استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية حيث تصبح عملية التجديد الديمقراطي للمجتمع في أساس النشاط الواعي للطبقات والفئات الاجتماعية الكادحة تحت قيادة الطليعة السياسية المسترشدة بفكر الطبقة العاملة ، وفي هذا تكمن احدى المميزات الأساسية لثورتنا ولأسباب نجاحها عن الكثير من ثورات التحرر الوطني التي انتكست هنا وهناك .

- على الصعيد السياسي تجسدت هذه الرؤية في الموقف من جهاز الدولة القديم ، حيث تمت عملية تحطيمه من خلال تصفية العناصر المعادية للثورة ، وإلغاء القوانين والأنظمة الطبقية الموروثة من عهود الاستعمار والسلاطين ، وحل مؤسسات القمع والقهر الطبقي ، والعمل على بناء مؤسسات الدولة الثورية المعبرة عن مصالح العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين (٦) . حيث شكل إصدار الدستور عام ١٩٧٠ خطوة رئيسية على هذا الطريق . وتحددت مبادىء الادارة الديمقراطية ، وانشئت أجهزة الدولة المنتخبة ، التي ضمت في قوامها ممثلي الطبقات الشعبية ، كما تشكلت أجهزة الدفاع والأمن على أسس ثورية ، وغدت السلطة تعبر في طبيعتها عن دكتاتورية الديمقراطية الثورية (٧) باعتبارها أداة هامة للتحويل الثوري للمجتمع

- لقد ترافقت عملية بناء أجهزة الدولة الوطنية الديمقراطية مع عملية افساح المجال أمام قوى الشعب الثورية لتنظيم صفوفها في المنظمات والمؤسسات الجماهيرية ، وللمشاركة بفعالية في الحياة السياسية للبلاد ، وكانت الحلقة المركزية في ذلك بدء الحوار رسمياً بين فصائل العمل الوطني الديمقراطي لتحقيق وحدتها الثورية ، وجرى الحوار في ظل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شكلت بدورها أساساً موضوعياً لتقارب القوى الثورية فكرياً وسياسياً الأمر الذي تجسد عملياً في توقيع اتفاقية الوحدة في إطار التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية ، كتنظيم انتقالي لبناء حزب الطبقة العاملة الحزب الاشتراكي اليمني .

- على الصعيد الاقتصادي كانت المهمة اتخاذ تدابير حازمة لتحرير الاقتصاد الوطني من سيطرة الاحتكارات الأجنبية والبرجوازية الكمبرادورية والقضاء على العلاقات شبه الرأسمالية شبه الاقطاعية التي اتصفت بها بنية المجتمع بشكل أساسي . وفي هذا الاتجاه كان التأميم والاصلاح الزراعي خطوتين رئيسيتين على طريق تحويل البنية الاقتصادية على نحو يؤمن استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية حيث انشئت على أساس ذلك أشكال الملكية الاجتماعية - ملكية الدولة ، الملكية التعاونية - وبدأت عملية التنمية الاقتصادية الاجتماعية على أسس علمية مخططة رغم الصعوبات والنواقص والثغرات التي أحاطت بهذه العملية .

إن مضمون الاجراءات الاقتصادية لم يكن تحرير الاقتصاد الوطني من السيطرة الأجنبية ، لتحقيق تنمية رأسمالية ، بقدر ما كانت خطوة على طريق التنمية الشاملة بأفق اشتراكي ، وهو الأمر الذي تجلى ويتجلى في سياسة الحزب الاقتصادية ، الرامية إلى بناء القاعدة المادية والتكنيكية

Digitized by Birzeit University Library

لبناء الاشتراكية .

- على الصعيد الاجتماعي أدت التحولات السياسية والاقتصادية إلى زيادة وزن الطبقة العاملة كماً ونوعاً ، وبرزت قوى اجتماعية جديدة كالفلاحين التعاونيين واتسعت القاعدة الاجتماعية للمثقفين الثوريين ، الأمر الذي شكل عاملاً هاماً في تدعيم القاعدة الاجتماعية للسلطة السياسية وفي الوقت نفسه ينبغي الاشارة إلى أن البنية الاجتماعية شهدت تطوراً عفوياً بشكل موضوعي حيث برزت فئات اجتماعية طفيلية ، لا تتمتع بنفوذ فعلي على الصعيدين السياسي والاقتصادي كما أن تعزز الدور القيادي سيحول دون تحول هذه الفئات إلى عامل سلبي ، يؤثر على تطور الوضع السياسي للبلاد ، وبشكل عام تنبغي الاشارة إلى أن من أبرز نتائج التطور الاجتماعي : التقليص النسبي للتأثير السلبي للتركيب الاجتماعي القديم العشائري القبلي ، الذي يمارس فعله بشكل ملموس في ظل صعوبات التنمية الاقتصادية الاجتماعية ، وعلى صعيد التطور السياسي وبشكل خاص من خلال قوى الثورة المضادة في بلادنا التي تدرك امكانات استثمار التخلف الموضوعي في حربها ضد نهج التحولات الثورية .

- على الصعيد الايديولوجي ، كان بديهياً أن تترافق هذه التحولات مع عمل مثابر وجاد لنشر وتعميق نفوذ أفكار الاشتراكية العلمية التي غدت الايديولوجية الأكثر انتشاراً وتأثيراً في حياة البلاد ، وجرى ذلك ويجري في إطار صراع عنيف وحاد مع بقايا الفكر البرجوازي ومخلفات الاقطاع والرواسب القبلية والانفصالية التي وجهت لها ضربة قوية (٨) في هذا المجال وفي هذا السياق جرى العمل على محاربة الأمية وتأمين فرص التعليم ، وتغيير المناهج الدراسية على نحو يتلاءم وطبيعة التوجه الثوري النظام ، وبها يؤمن إعداد أجيال المستقبل إعداداً عملياً وايديولوجياً سلمياً ، كما شهدت الحياة الثقافية ازدهاراً ملموساً حيث اتسعت وسائل الثقافة وأصبحت في متناول فئات وقطاعات عريضة من السكان ، وأصبحت الخدمات الاعلامية أكثر انتشاراً وتطوراً من حيث مستوى تجهيزها الفني وإعدادها الايديولوجي نسبياً .

- كل هذه التحولات استهدفت تقويض وتصفية البنية شبه الرأسمالية شبه الاقطاعية التي خلفها ماضي السيطرة الاستعمارية السلاطينية وتحرير الطبقات والفئات الاجتماعية من سيطرة آفات التخلف الاجتماعي من جهل ومرض ، واستنهاضها ودفعها للمشاركة الواعية لبناء الحياة الجديدة على أسس علمية وثورية تؤمن تغيير المجتمع تغييراً ثورياً على أساس الاشتراكية العلمية .

ولم يكن لهذه التحولات أن تؤتي ثمارها ، لو لم تقترن بسياسة مبدئية على الصعيدين العربي والدولي ، حيث التزمت بلادنا سياسة تحررية تقوم على دعم وتأييد قوى التحرر الوطني العربية ، التي تشكل ثورتنا جزءاً لا يتجزأ منها في النضال المعادي للامبريالية والصهيونية والرجعية من أجل السيادة الوطنية والتقدم الاجتماعي والوحدة . كما تمثل ذلك في سياسة التضامن الأممي مع قوى التحرر والديمقراطية والسلم والاشتراكية على الصعيد العالمي ، وبشكل خاص سياسة التحالف المبدئي مع الاتحاد السوفيتي حصن السلم والتقدم في العالم .

لقد شكل قيام الحزب الاشتراكي اليمني الضمانة الرئيسية لحماية نهج التجديد الديمقراطي للمجتمع ، ولاستمرار ترسخ وتطور هذا النهج بأفق اشتراكي ، فمن خلال الطليعة السياسية للطبقة العاملة تحددت الخيارات الوطنية والقومية والأممية لشعبنا بشكل نهائي على طريق النضال من أجل الاشتراكية كهدف نهائي يؤمن لكادحي بلادنا التقدم والازدهار .

Digitized by Birzeit University Library

آفاق تطور الثورة :

- حدد برنامج حزبنا ، أن نهج الحزب يستهدف استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبلوغ الأهداف المستقبلية أي خلق المقدمات المادية التكنيكية والاقتصادية والاجتماعية والروحية اللازمة للانتقال إلى المرحلة المقبلة - مرحلة بناء الاشتراكية (٩).

وفي هذا الاتجاه ينظر الحزب إلى عملية تطور الثورة الوطنية الديمقراطية إلى نهايتها المنشودة ، باعتبارها عملية تاريخية تخضع لقوانين موضوعية عامة ولخصائص التطور الاجتماعي التي ينبغي استيعابها عند تحليل الأفق الاشتراكي لانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية في بلادنا .

- إن شروط استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية على طريق البناء الاشتراكي ، مهمة تجد في ظروف عصرنا ، انتصار الاشتراكية عاملاً خارجياً حاسماً لتحقيقها من خلال الوحدة الكفاحية بين المنظومة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني العالمية،على أنها على الصعيد الداخلي تستلزم :

أولاً : ممارسة الدور القيادي لحزب الطبقة العاملة على صعيد المجتمع باعتباره القوة القادرة بالاستناد إلى نظرية الطبقة العاملة على تكريس وتعميق تحالف الطبقة العاملة وبقية الفئات الاجتماعية ، بالانطلاق من وحدة المصالح الوطنية الطبقية لهذه القوى الاجتماعية والعمل على تعبئة وتنظيم الطبقات والفئات الاجتماعية الكادحة للمشاركة الواعية لحل مهمات التطور الاجتماعي على نحو ملموس(١٠)

ثانياً : العمل من خلال التنمية الاقتصادية - الاجتماعية المخططة على أساس نهج الحزب الايديولوجي والسياسي وعلى تعميق المضمون الديمقراطي الشعبي للسلطة - تأمين تحولها من سلطة ديمقراطية ثورية إلى سلطة ديمقراطية شعبية(١١)كأداة لتحقيق التحولات الاشتراكية في ظل قيادة الطبقة العاملة (١٢)

ملاحظات واستنتاجات حول خصائص الثورة الوطنية الديمقراطية في اليمن الديمقراطية :

- إن هذه الملاحظات والاستنتاجات هي محاولة للاجابة على سؤال كثيرا ما يطرح وهو لماذا تمكنت اليمن الديمقراطية بالرغم من ظروف التخلف ، والعوامل الخارجية الاقليمية تمكنت من السير بهذا الثبات والعمق في طريق التوجه الاشتراكي .

- ان استقراء ملامح التطور السياسي خلال سنوات الكفاح الوطني ضد الاستعمار ، وبعد الظفر بالاستقلال السياسي يؤكد عدداً من الخصائص الهامة التي تحدد طبيعة واتجاهات تطور العملية الثورية في بلادنا وهي :

أولاً : الطابع الشعبي للثورة ، حيث تمكنت الطليعة السياسية من تأمين أوسع تأييد والتفاف جماهيري حول أهدافها في مختلف المراحل النضالية وكانت الطبقة العاملة ، منذ البدء القوة الرئيسية من بين القوى المحركة للعملية الثورية إلى جانب القوى الاجتماعية الكادحة والمثقفين المنحدرين من أصول برجوازية صغيرة .

ثانياً : عجز القوى البرجوازية وشبه الاقطاعية عن الاستمرار في قيادة الحركة الوطنية ، وإفلاس

Digitized by Birzeit University Library

الاتجاهات الاصلاحية التي دعمها الاستعمار وأراد لها أن تكون بديلاً للقوى الوطنية الجذرية في مجرى النضال التحرري . ولقد أدى سقوط هذا القوى إلى فشلها في ايجاد أشكال معينة من أشكال التنظيم للتعبير عنها سياسياً ولاجتذاب أجزاء معينة من قوى الشعب ورائها .

ثالثاً : وضوح البعد الاجتماعي لمعاركنا الوطنية ، على الرغم من محدودية تأثيره وأشكال تجليه حيث أخذ بالتبلور بهذا القدر أو ذاك في سنوات الكفاح الوطني ، وبشكل خاص تحت تأثير أفكار التحرر الاجتماعي التي عرفتها حركة التحرر الوطني العربية في مطلع الستينات . ولقد عزز من هذه الرؤية التكوين الاجتماعي للمناضلين الذين انخرطوا في صفوف التنظيمات الثورية بما فيها تنظيم الثورة الجبهة القومية . وهم في الأساس من القوى الاجتماعية الكادحة

رابعاً : تميزت تنظيمات الحركة الثورية اليمنية ، وفي مقدمتها تنظيم الثورة الرئيسي الجبهة القومية ، بادراكها لأهمية تنظيم الجماهير ، وتدلل تجربة الكفاح المسلح والفترات اللاحقة بعد الاستقلال أن مركز الثقل في نشاط الطليعة ظل وباستمرار العمل على أن تحقق قيادة العملية الثورية بناء أدائها الكفاحية التي ترتكز إلى القوى الاجتماعية الكادحة ، ومن خلال الادراك السليم للمقومات الواقعية التي تمتلكها الحركة الثورية اليمنية ، ولشروط تطورها موضوعيا وذاتياً .

خامساً : إن عملية انتشار أفكار الاشتراكية العلمية على الصعيد اليمني ، قد جرت بالارتباط الوثيق بمكانة ودور الطبقة العاملة كقوة رئيسية من قوى العملية الثورية ، وبمراعاتها الدقيقة لخصائص الواقع الموضوعي بشكل عام ، حيث تمكن الحزب باستمرار من كبح مظاهر الانحرافات والتطرف . كما تدعمت مواقع هذا الفكر بنجاحات البناء الداخلي ، وتنامي نفوذه عربياً ودولياً .

- إن الاستنتاجات الأولية التي تقدمها تجربة الثورة في بلادنا ، إنما هي تأكيد على دروس الخبرة التاريخية للحركة الثورية العالمية ، وبشكل خاص في تلك المجتمعات التي تمكنت في ظروف تاريخية مماثلة من انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية لبناء الاشتراكية . . وعلى هذا الصعيد ينبغي الاشارة إلى الأهمية التاريخية لتجربتنا على صعيد حركة التحرر الوطني العربية ، حيث تتأكد المسائل التالية :-

- تكتسب تجربتنا أهميتها في تأكيد فاعلية القوانين العامة للتحويل الثوري على أسس الاشتراكية العلمية في ظروف مجتمعاتنا ، وهي بذلك تدحض الآراء والأفكار المعادية لمطرب الامر يالية والرجوازية القومية المعادية لقضية تحرر وتقدم ووحدة شعوبنا العربية .

- إن امكانيات مواصلة التحرير الوطني والاجتماعي في الظروف العربية والدولية ، إنما تتحقق في ظل قيادة الطبقة العاملة وممثليها الطليعيين حيث نستطيع القول أن دور القيادات البرجوازية قد سقط تاريخياً ، وهذا لا يعني أن بعض فئاتها قد استنفذت امكاناتها الثورية كما أن هذا الاستنتاج يتصل بالاتجاه العام لتطور حركة التحرر الوطني العربية راهناً ، وبعبارة أخرى أنه ليس تعميماً مجرداً يغفل الحالة الملموسة التي قد تكون استثناء في ظروف هذا البلد أو ذاك .

المراجـــــع :

١) بيان اللجنة المركزية حول الذكرى العشرين لثورة ١٤ اكتوبر .

Digitized by Birzeit University Library

٢) علي ناصر محمد "تطور العملية الثورية والدور القيادى للحزب في اليمن الديمقراطية صحيفة الثوري ، ٣٠ يوليو ١٩٨٣ .

٣) نفس المصدر .

٤) على ناصرمحمد ، "تطور العملية الثورية والدور القيادى للحزب في اليمن الديمقراطية الثورى ، ٣٠ يلوليو ١٩٨٣ .

٥) كتاب المؤتمر التوحيدى ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ص ١٩٨٥ .

٦) دستور جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية المادة الثالثة .

٧) وثائق المؤتمر التوحيدى- دار ابن خلدون ، ١٩٧٦ ، ص ١٩٢

٨) برنامج الحزب الاشتراكي اليمني ١٩٧٨ ، ص ٦٣

٩) برنامج الحزب الاشتراكي اليمني عدن ١٩٧٨ ، ص ٩١ .

١٠) برنامج الحزب الاشتراكي اليمني ١٩٧٨ ، ص ٩٤ .

١١) لا ينفي هذا الوضع حقيقة السلطة القائمة راهنا كسلطة للديمقراطيين الثوريين، تكتسب بعض عناصر سلطة الديمقراطية الشعبية .

١٢) برنامج الحزب الاشتراكي اليمني ، ص ٩٢ .

عن مجلة النهج

Digitized by Birzeit University Library

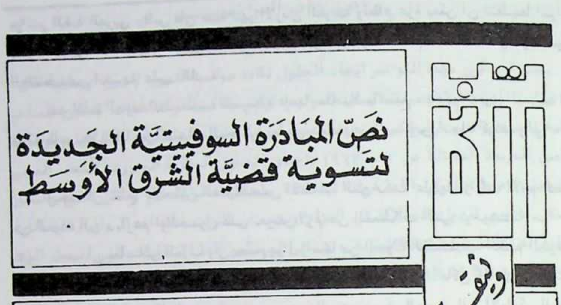

ان الاتحاد السوفياتي الذى يساوره القلق من بقاء الوضع متفجرا في الشرق الاوسط على قناعة راسخة بان المصالح الحيوية لشعوب هذه المنطقة ومصالح الامن الدولي عموما تملي بالحاح ضرورة التعجيل ببلوغ تسوية شاملة عادلة ووطيدة للنزاع الشرق اوسطي .

كما انه على قناعة راسخة بالقدر نفسه بانه لا يمكن اعداد وتطبيق مثل هذه التسوية الشاملة والعادلة فعلا والوطيد حقا الا عن طريق الجهود الجماعية بمشاركة كافة الاطراف المعنيـــــة .

وان الاتحاد السوفياتي انطلاقا من ذلك ورغبة منه في المساعدة على احلال السلام في الشرق الاوسط يطرح الاقتراحات التالية بصدد مبادئ التسوية الشرق اوسطية وطرق بلوغها .

مبـادئ التسويـة الشـرق اوسطيـة

١) يجب ان يراعى بصرامة مبدأ عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير عن طريق العدوان ، وطبقا لذلك يجب ان تعاد للعرب كافة الاراضي التي تحتلها اسرائيل منذ ١٩٦٧ ومرتفعات الجولان وضفة نهر الاردن الغربية وقطاع غزة والاراضي اللبنانية ويجب إزالة المستوطنات التي شيدتها اسرائيل في الاراضي العربية بعد عام ١٩٦٧ ، وان الحدود بين اسرائيل وجيرانها العرب يجب ان تعلن حدودا غير قابلة للمساس .

٢) يجب ان يضمن عمليا للشعب الفلسطيني الذى تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة الشرعي الوحيد الحق الراسخ في تقرير مصير واقامة دولته المستقلة على الاراضي الفلسطينية التي ستحرر من الاحتلال الاسرائيلي ـ ضفة نهر الاردن الغربية وقطاع غزة ، وكما ينص قرار

Digitized by Birzeit University Library

مؤتمر القمة العربي بفاس فان ضفة نهر الاردن الغربية وقطاع غزة يمكن ان تتقلهما اسرائيل لفترة قصيرة لا تتجاوز بضعة اشهر تحت اشراف هيئة الامم المتحدة وبشرط موافقة الفلسطينيين انفسهم على ذلك .

بعد اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فانها ستحدد بالطبع ، بحكم حقوق السيادة لكل دولة طابع علاقاتها مع البلدان المجاورة بما في ذلك احتمال تكوين اتحاد كونفدرالي .

ويجب ان تتاح للاجئين الفلسطينيين الامكانية التي نصت عليها قرارات الامم المتحدة في العودة الى ديارهم اوالحصول على تعويض لازم عن الممتلكات التي ترجوهـــا .

٣) يجب ان يعاد الى العرب وان يصبح جزءا راسخا من الدولة الفلسطينية القسم الشرقي من القدس الذى احتلته اسرائيل في عام ١٩٦٧ وحيث يقع احد الاماكن الاسلامية الرئيسية المقدسة ، وفي القدس كلها يجب ان تضمن حرية المتدينين في الوصول الى الاماكن المقدسة للاديـــان الثلاثـــة .

٤) يجب ان يضمن فعليا حق جميع دول المنطقة في الوجود والتطور الامن والمستقل وبالطبع بشرط مراعاة المعاملة التامة بالمثل اذ انه لا يجوز ضمان أمن حقيقي للبعض بانتهاك أمن البعـض الاخـــــر .

٥) يجب ايقاف حالة الحرب واحلال السلام بين الدول العربية واسرائيل ويعني ذلك انه يجب على كافة اطراف النزاع بما في ذلك اسرائيل والدولة الفلسطينية ان تتعهد بان تحترم بشكل متبادل سيادة واستقلال ووحدة وسلامة اراضي بعضها البعض وان تحل الخلافات الناشئة بالوسائل السلمية وعن طريق المفاوضات .

٦) يجب اعداد واقرار الضمانات الدولية للتسوية ــ مثلا يمكن ان يأخذ على عاتقه دور الضمان الاعضاء الدائمون في مجلس الامن الدولي او مجلس الامن ككل ، والاتحاد السوفياتي على استعداد للمشاركة في هذه الضمانـــات .

سبـل بلـوغ التسويـــة

تبين التجربة بكل اقناع عقم وخطورة المحاولات الرامية الى حل قضية الشرق الاوسط عن طريق فرض مختلف انواع الصفقات الانفرادية مع اسرائيل على العرب .

وان الطريق الوحيد الصائب والفعال لضمان حل قضية الشرق الاوسط حلا جذريا هو طريق الجهود الجماعية بمشاركة كافة الاطراف المعنية وبعبارة اخرى اجراء مفاوضات ضمن اطر مؤتمر دولي بشأن الشرق الاوسط يعقد خصيصا لهذه الاهـــداف .

ويرى الاتحاد السوفياتي انه لا بد عند عقد مثل هذا المؤتمر من الاسترشاد بالاحكام التاليـــة .

Digitized by Birzeit University Library

اهـــداف المؤتمـــــر

يجب ان تكون مهمة المؤتمر ايجاد الحلول لكافة جوانب التسوية الشرق اوسطيـة ككل .

ويجب ان يغدو حصيلة لاعمال المؤتمر توقيع معاهدة او معاهدات تتضمن العناصر التالية للتسوية والتي ترتبط فيما بينها ارتباطا عضويا . انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة من عام ١٩٦٧ واحقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ومنها حقه في اقامة دولته المستقلة واحلال حالة السلام وضمان الامن والتطور المستقل لجميع الدول المشاركة في النزاع ويجب في الوقت ذاته اعداد واقرار الضمانات الدولية لمراعات شروط هذه التسوية . وينبغي ان تكون كافة الاتفاقيات التي يتوصل اليها المؤتمر وحدة متكاملة يقرها جميع المشاركيـن فيـــه .

قـوام المشاركيـن ،يجـب ان يتمتـع بحق المشاركـــة فـي المؤتمـــر

كل الدول العربية التي لها حدود مشتركة مع اسرائيل اى سوريا والاردن ومصر ولبنان وكذلك اسرائيل نفسها .

ولا بد ان تكون منظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني مشاركا متكافئا في المؤتمر. وان ذلك قضية مبدئية طالما انه يستحيل بلوغ تسوية للشرق الاوسط بدون حل القضية الفلسطينية وهذه القضية لا يمكن حلها دون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينيـــــة .

ويجب ان يكون ضمن المشاركين في المؤتمر الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ايضا باعتبارهما دولتين تلعبان بحكم الظروف الناشئة دورا هاما في القضايا الشرق اوسطية واللتين كانتا الرئيسين المناوبين للمؤتمر السابق الخاص بالشرق الاوســط .

ويمكن ان يكون ضمن المشاركين في المؤتمر بشرط الاتفاق العام على ذلك بعض الدول الاخرى في الشرق الاوسط والمناطق المتاخمة له والقادرة على المساهمة بقسط ايجابي في حل القضية الشـرق اوسطيـــــة .

تنظيـــم اعمـــال المؤتمـــــر

يجب عقد المؤتمر الجديد حول الشرق الاوسط شأن سابقة تحت رعاية الامم المتحدة.

ويمكن ان تكون شكلا اساسيا لاعمال المؤتمر مجموعات العمل "اللجان" التي تؤلف من قوام ممثلي كافة المشاركين فيه لبحث القضايا الرئيسية للتسويـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

انسحاب القوات الاسرائيلية وخط الحدود والقضية الفلسطينية وقضية القدس وابقاء حالة الحرب واحلال السلام وقضية امن الدول المشاركة في النزاع والضمانات الدولية لمراعاة الاتفاقيات وغيرهـــا .

ويمكن ايضا اذا ما اقتضت الضرورة تشكيل مجموعات مكونة من طرفين لدراسة تفاصيل الاتفاقيات التي تتعلق بهذين الطرفين وحدهمـــا .

ولغرض استعراض نتائج نشاط مجموعات العمل "اللجان" يمكن في الحالات الاخرى اذا ما استدعت الضرورة عقد جلسات عامة تصادق على قرارات المؤتمر باتفاق عام من قبل المشاركين فيـــــه .

وفي المرحلة الاولى من عمل المؤتمر يمكن ان يمثل الدول المشاركة فيه وزراء خارجيتها وفيما بعد ممثلون يجرى تعيينهم خصيصا . ويمكن للوزراء في حالة الضرورة ان يساهموا بصورة دورية في عمل المؤتمر لاحقـــا .

ان الاتحاد السوفياتي اذ يسترشد بهدف احلال السلام العادل والوطيد في الشرق الاوسط وازالة الوضع المتفجر في هذه المنطقة يدعو جميع اطراف النزاع الى العمل انطلاقا من الاعتبار السليم للحقوق والمصالح الشرعية لبعضها البعض ويناشد الدول الاخرى ان لا تعيق بل تساعد على البحث عن مثل هذه التسويـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

بكائيات الاطفال

الحلقة السادسة

"أطفالنا أكبادنا تمشي على الارض" أطفال اليوم هم مجتمع المستقبل برجاله ونسائه لذا ففقدانهم هو خسارة المستقبل ونادرا ما تبكي النساء بالعويل والنواح الاطفال الصغار باستثناء امهاتهم وقريباتهم ويعود ذلك الى أن أحدا لا يعرفهم ،لانهم لم يدخلوا معمعان الحياة ولم يحتكوا بالمجتمع ،والطفل الذى يُبكى هو الطفل الذكر الذى ما يكون غالبا وحيد ابويه وسنجد من خلال الشواهد ان بكاء الطفل يكون على لسان امه فهي تبكيه لانه جزء منها :ـ

والولد قصيصه من ضلوعي
قص العظم ويصعب علي
وبكينا يا صاحيات
واحنا سكارى وما صحينا

وهي تتمنى لو أنها لم تحبل ولم تلد ولو أنها كانت كذلك لما ذاقت حسرة طفلها المتوفي .ـ

عليوم لوّنا ما احبلنا
ولا قالت الحريم عنّا
جابت صبي ولا ابنيّه

واذا ما كان الطفل رضيعا فان ثدي أمه

Digitized by Birzeit University Library

يتورمان من كثرة الحليب المتجمع فيهما لان رضيعهما مات, وكلما زاد الورم شعرت بالالم وفطنت لابنها فيتمزق قلبها ألما :-

يا درتي لا توجعيني
يا قلبي لا تشطى على

وتتصور الام الشعبية أن سبب وفاة طفلها هي اصابته بالحسد لذا فهي تبكيه ببعض التعاويذ :

خشوا علينا نوروا البيت
حوطتهم بالله وسميت
عين الحسود تروح بره

وبكائيات الطفل تتعرض بحسرة وألم لبعض تصرفات وألعاب الاطفال .-

والاولاد تحت اللوز لخضر "الاخضر"
واطاكشوا بالبيض الاحمر
مروا عن الميمه حرادى
يا أولاد يا حلوين للوان
طواقي حمر واثواب كتان
مروا عن الميمه حرادى

xxxxxxxxxx

وتطلب الباكيات على لسان الطفل الميت من باعة الملابس المتجولين الذين يبيعون ملابس اطفال ان لا يمروا من مكان سكنى امه لانها عندما ترى هذه الملابس ستذكر ابنها وتحزن عليه :-

يا بياع الطواقي
في حارة امي لا تنادى
واتجيبني ع بال امي
يا بياع الهبابي
في حارة امي لا تنادى
واتفطن امي علي
يا بياع الطرابيش
في حارة امي لا تناديش
واتجيبني ع بال امي

xxxxxxx

وام الطفل الميت وقريباته اللواتي يبكينه لانه لم يتح الدهر له أن يعيش حتى يأكل من خيرات الدنيا فهي تسأل الاشجار المثمرة مستشهدة بها على ذلك :-

لاسايلك يا شجرة الواد
ما قيلوا تحتك صغار
ولا أكلوا عنك ثمر
لاسايلك يا شجر التين
ما قيلوا تحتك جاهلين
ولا أكلوا منّك ثمر

والام الشعبية تطلب من اقران طفلها الميت ان لا يمروا من امامها لانهم يذكرونها بابنها:

يا اولاد زولوا عن قبال عيني
بتفطوا الغالي العزيز عليه
يا جبال لا تمروا قبال الخاطر
بتفطوها ع ابنها

يتبع

Digitized by Birzeit University Library

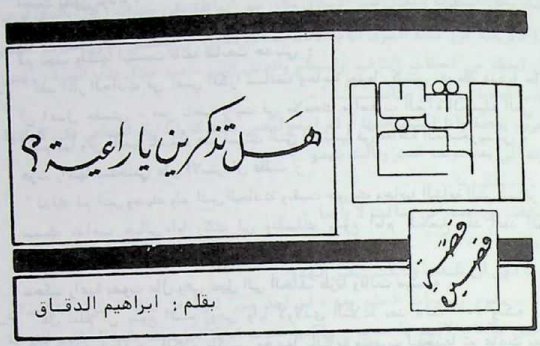

سألتها ،

– " هل تذكرين يا راعية ؟"

تساءلت عيناها بفرح ودلال وهي تدير وجهها في اتجاهي قبل ان تقول :

– " لا اذكر هذه التفاصيل ، ولكن ما ترويه صحيح بشكل عام . لااذكر انني ركلت احدا بقدمي وانا اتحدث مع زميلي .ولا ادكر انني رأيت وجهك في ذلك الحين .لقد كانت هناك رؤوس مطأطئة الى الارض ووجوه موجهة الى الجدار وايد مرفوعة فوق الرؤوس هذا كل ما اذكـــر ."

وعادت تسأل مستفهمة وهي مقطبة الحاجبين :

– "ولكن .. خبرني .. كيف تذكرتني بعد هذه السنوات الطويلة رغم انني كنت اصغر سنا وفي ملابس الجندية بينما .. "

وهنا انفرجت اساريرها وتابعت بشيء من الزهو :

" .. بينما البس الان ملابس تناسبني كامرأة ؟"

رشفت بقية فنجان الشاى بسرعة وقلت لها مبتسما :

" لان المناسبة لا تنسى . لقد كانت المناسبة الاولى التي التقي فيها يهوديا مرتديا ملابس الميدان .ولان الشامة الصغيرة التي تزين مبسمك انطبعت في ذاكرتي ، ولان زميلك ناداك باسمك وهو يغازلك امامنا . ولانك ما زلت جميلة رغم مرور فترة طويلة" .

اثار جوابي غرورها .نظرت بمزيد من الزهو وسألتني وهي تبتسم وكانها تمتحن صدق معلوماتـــي :

" وهل لا زلت تذكر اسمه ؟"

Digitized by Birzeit University Library

اجبت بدون تردد ؟

" طبعا .. سمعتك تناديه باسمه .. يشوع ، اليس كذلك ؟"

لم تجب ولكنها ابتسمت قانعة فتابعت حديثي :

- " لقد اثار الحادث في نفسي افكارا متناقضة وخاصة بعدما ركلتني بقدمك عندما حاولت ان اعدل جلستي . فمن ناحية رأيت في ملامحك مواصفات المرأة الجميلة التي كنت احلم بها ومن ناحية ثانية كرهت قسوتك التي ابديتها في معاملة المحتجزيـــن ."

هزت رأسها تستحثني على الاسترسال فقلت :

" لذلك لم انس وجهك ولم انس الحادثة وبقيت صورتك وخاصة الشامة التي تستقر على مبسمك تداعب خيالي .اما ركلك لي وتقبيلك يشوع امام الجميع فقد افقد الصورة براءتها ورومانسيتهـــا ".

ضحكت راعية بصوت عال وهي تميل الى الخلف طربا وقالت مبتسمة .

- " هل تعلم ان يشوع اصبح زوجي وابا لاولادي الثلاثة بعد ذلك ؟.. ولكنه ..."

وهنا توقفت فجأة عن الكلام واكتسى وجهها بالكآبة وتغيرت لهجتها ثم عادت بعد ان تنهدت بعمق تتابع حديثها :

" .. ولكنه قتل في المعركة .. اني اصدق ما تقول وان كنت لا اذكر التفاصيل . لقد مرت امور كثيرة في الايام الاولى من الحرب واختلطت مشاعر كثيرة ،مشاعرالحزن على اصدقاء سقطوا في ساحة القتال بمشاعر الفرحةبالنصر وتحرير القدس. نعم لقد مرت امور كثيرة لا يمكنني تذكرهـا الان ".

وتابعت كلامها بعد فترة من الاستغراق الذهنـــي :

" ربما ركلتك في ذلك اليوم لانني كنت ارغب في ركل العالم كله بقدمي بعد ان اثبتنا للعالم ـ انه لا يملك ان يشكك في قدرتنا بعد الان . كانت مشاعري خليطامن الاسى والحبور . الا انوجود يشوع معي في ذلك الوقت غلب مشاعر الفرح على مشاعر الغضب والاســـى ."

توقفت برهة وقد اكتسى وجهها بجدية وقالت شبه حالمـــة :

" الا انالحلم الذى عشته في تلك الايام انكسر بموت يشوع وهو يتابع حربه الصليبية من اجل تحقيق حلم اكبر . كنا نعيش سعداء في شقتنا الصغيرة في بني براك. كان يشوع بالنسبة لي نبيا مقاتلا واثقا من رسالته . أسرّ لي مرة انه رأى في وزير الدفاع مسيحه المنتظر وفي الراب الاكبر لجيش الدفاع كاهنا اكبر ورأى لنفسه دورا في بناء بيت اسرائيل الثالث .وعندما سألته وماذا بعد ذلك ؟ احتقن وجهه بعد ان فوجيء بالسؤال ولم يجب . كان يبدى ضيقا حقيقيا كلما اعدت عليه السؤال ، وكان برفض الاجابة ."

كانت تتكلم وهي مشدودة العينين الى الجدار بينما دخان سيكارتها يلف وجهها بهالة رومانسية . استدارت نحوى وهي شاردة الذهن وقالت :

" لقد احببته حقيقة وآمنت بافكاره .اذكر انه لم يحتج الى جهد لاقناعي .كان مثل الانبياء يملك القدرة على الاقناع وكنت املك الاستعداد للاقتناع لانني عشت اصلا في

Digitized by Birzeit University Library

بيت بجل البطولة وتحتل صور الابطال مكان صور العائلة على جدرانه . كان والدي يروي لنا ذكرياته عن عمله السري ايام الانتداب البريطاني في فلسطين حتى اصبحنا نعيش كل لحظة من لحظات الترقب والنجاح والفشل التي عاشها خلال تلك الفترة ، وحتى غدت قصصه جزءا من حياتنـــــا ".

شعرت برهبة وانا استمع اليها . لم اسمح لنفسي بالحركة وانا اركز اهتمامي على كلماتها استدارت الي بعد توقف قصير وقالت بهدوء :

" ... ولكنه مات . "

استفقت من استغراقي وسألت لا واعيا :

" والـــدك .. ؟ "

ردت دون ان تلتفت وتابعت بنفس الهدوء :

" مات يشوع .. ومات الحلم معه . لم اجد مبررا لموته في ذلك الحين . حاولت ان استعين بكلماته لافهم ما حدث . ولكنها فقدت ايحاءاتها تحت ضغط المطالب اليومية والاسئلة الكثيرة التي كان يطرحها الاولاد والتي لم اجد جوابا لها . لم يسعفني عزاء الاصدقاء ولا حلت الاموال ، التي اغدقتها الدولة ، آزمتي . بالعكس من ذلك زاد قلقي بازدياد المبالغة في احترامي واهتز ايماني بصدق اقوالهم بعد ان مات نبيي ،وتبخر الحلم تحت ضغط حملات الدعاية التي كانت تحمل نفس كلمات يشوع ولكنها لم تكن تحمل حرارتها . كدت ان افقد عقلي وانا اشعر بعجزي عن فهم ما حدث . شعرت بغربة شديدة بعدان فقدت بموته قناتي الوحيدة الى العالـــم .."

توقفت راعية عن الكلام وسحبت منديلها الابيض من كم فستانها ومسحت به حبات العرق عن وجهها . بدت وهي تستعيد الماضي اكثر شفافية واكثر جمالا . كان يشع من عينيها نور غامض كانه آت من مجرة بعيدة .

انتفضت مبتسمة بعد فترة من الاستغراق ، ونظرت الى بأمل وقالت :

" لقد انتهى الماضـــي . "

وعندما ابديت استغرابي لتحولها المفاجيء ردت بثقة .

" لن يعود الماضي . كان نسيجا صنعناه جميعا : امي ابي ، يشوع ، والده ، ومجموعة الاصدقاء الذين كنا نلتقيهم . كان ظل والده يخيم علينا وكان الحاحه على يشوع بأن يدخل سلك الكهنوت بفرض نفسه على تفاصيل حياتنا . اختفى يشوع حاملا معه العالم الذي امن به والى الابـــــد ".

فسألت مستغربا ومترددا :

" لا اريد ان اكون قاسيا ولكن يبدو انك سعيدة لموته ؟"

لم تبد عليها الحيرة ولا بدت ملامح الغضب عليها .ردت بثقة قائلة ان حياتها مع يشوع كانت حقيقية ومنسجمة مع كل ما حولها وان حزنها على موته كان صادقا . لم يخطـــر ببالها انه انسان معرض للمـــوت .

Digitized by Birzeit University Library

" كنت اتصور انه محمي من الاله وان مشاركته في القتال لا تثير القلق . ولكن ، ولخيبة املي ، لم يعد في المرة الاخيرة .. وكانت المأساة . لم أكن صاحبة مبادرة في السابق هل تفهم كنت اكثر من مرة كنت اتشكل حسب ارادته ، ولذلك بقيت بعد موته ولفترة من الزمن ـ على الشكل الذي تركني عليه قبل ذهابه الى المعركة . لم املك القدرة على التغيير . عندما استشرت والده بالامر نظر الي بعداء وكأنني كنت السبب في قتل ابنه ونهاية نبوءته .كنت سعيدة مع يشوع في ذلك الوقت وانا سعيدة الان مع عاموس لقد ولدت له ولدا جميلا قبل اربعة اشهر . لا يوجد تناقض اليس كذلك ؟ لا اعتقد ان هناك تناقض . هل فهمت ما عنيت ؟"

لم اجب مباشرة لانني لم افهم كيف تم الانتقال من الحالة الاولى الى الحالة الثانية وقبل ان استفسر منها عن ذلك دخل اولادها الثلاثة الى الغرفة واسرت ابنتها الكبرى ببعض الكلمات لامها . استدارت راعية وقالت :

" عن اذنك ساغيب بضع دقائق " .

كان جو الغرفة يوحي بالراحة . جدرانها خالية من الصور الفوتغرافية . هناك طبق من القش معلق على الجدار المقابل وبالقرب منه مرآة داخل برواز مثبت ضمن نسيج يحليه تطريز باللونين الاحمر الغامق والاسود وتتدلى منه شراريب صوفية عنابية اللون . وعلى الجدار، قرب الزاوية، كانت هناك صينية من النحاس تزينها نقوش تختلط فيها الاحرف العربية بالاحرف العبرية . وكان يتدلى من السقف غطاء حلة نحاسية قديمة افرغت اجزاء منه باشكال زخرفية لتسمح للضوء بالانتشار في جميع الاتجاهات عاكسا شكل التفريغ على كل ما حوله . وبالقرب من الكرسي الذي كنت اجلس عليه استقرت سلة من البوص مملوءة بقطع من قماش ملـــــون

كنت اطفئ سيجارتي عندما عادت راعية تحمل طفلها الصغير على صدرها . جلست بالقرب مني وهي تداعب ابنها وتنظر اليه بحنو ثم استدارت نحوي وقالت :

" انه ابن عاموس "

استعدنا جو الحديث السابق عندما قلت لها انها لم تجب على سؤالي ، اعتذرت وقالت انها تذكر ذلك اليوم جيدا . كانت في ضيق كبير . سمعت ان هناك مظاهرة للتنديد بالحرب ـ نفس الحرب التي اخذت منها يشوع . قررت ان تأخذ اول مبادرة بعد موته . قررت المشاركة لانها ارادت ان تزعق ، ان تصرخ ان تعلم العالم اجمع بفجيعتها . حاولت الصراخ في البيت فاسكتها ابوه . بكت لوحدها فلم يشف البكاء غليلها . فتشت عن اناس يشاركونها احاسيسها ويفهمون معنى موت يشوع فلم تجد . لذلك قررت الذهاب ، وقررت المشاركة في المظاهرة لان الشارع ـ كما ثبت لها كان المكان الوحيد الذي يمكن للمفجوعين التعبير عن فجيعتهم والصراخ فيـــــه .

نظرت الي وقالـــت :ـ

" هل تفهم ماذا اعني ؟.. لقد اردت ان احتج ان ابكي امام الجميع ، اصبت بخيبة

Digitized by Birzeit University Library

امل في البداية لان الحاضرين لم يأتوا لسماعي ، تبين لي انهم اتوا ليحتجوا ويبكوا مثلي .كان هناك بكاء جماعي .شعرت انني جزء من هؤلاء الباكين وان هناك اكثر من يشوع .كان لكل باك يشوعه الخاص . شعرت ان الفجيعة مشتركة . كان الجميع يفتش عن سامعين لشكواهم . كانوا يفتشون عن المسؤول عن موت احبائهم .كانوا يهتفون ضد شيء لم افهم كنهه حينئذ . هتفت معهم ضده لانني كنت افتش عن شيء اشتمه واحمله مسؤولية موت زوجي .كان عاموس يقف بالقرب مني يهتف ويعبر عن فجيعته لفقده اخاه الاكبر .. صرخنا سوية .افرغنا غضبنا في المظاهرة عن امور كثيرة . كان كلامه مقنعا ومقلقا في ذات الوقت . افقدني الراحة النفسية التي وفرها يشوع باحلامه ومسلماته وايمانه المطلق بكلامه . الا انني مدينة لعاموس الان . مدينة له كثيرا لانه اعاد لي الثقة بنفسي ووفر تعريفا لحياتي طالما افتقدته .اعطاني جوابا لسؤالي الذي رددته مرارا امام يشوع ولم اسمع جوابه عليـــه .

xxxxx

مرت الايام والسنون .. ربما مرت ثلاث سنوات على ذلك اللقاء . لم يكن هناك داع لان التقي راعية خلالها . كان لقائي الاول بها مجرد صدفة ـ صدفة تشبه الصدفة التي جمعتني بها يوم السابع من حزيران سنة ١٩٦٧ عندما حرستني على درج فندق الامبسادور في القدس مع اخريـــــن .

منذ اسبوع سمعتها تتكلم في اجتماع كبير بمناسبة مرور سنة على حرب لبنان . كانت تعرض تجربتها في العمل السياسي . بدت مختلفة جدا عن الصورة التي رسمتها لنفسها عندما كانت زوجة ليشوع . كانت في منتهى الثقة ، قادرة على المبادرة وواضحة الرؤية . قالت في كلمتها امام الحضور انها ذهبت مع مجموعة من حركة السلام للاعراب عن استنكارهم للحصار الذي ضربه الجيش الاسرائيلي حول مخيم اللاجئين في الدهيشة ـ قرب بيت لحم . وصفت رفض اللاجئين لاستقبالهم بانه شيء مؤلم ثم اردفت بثقـــة :

" ولكنني اكتشفت الحقيقـــة :

كانت لفظة اسرائيلي تعني جندي بالنسبة للاجئين . كانت تعني تجسيدا لسبب الحرمان التاريخي الذي يعيشونه . تذكرت زوجي الراحل ومصرعه على قناة السويس .شعرت بعمق المأساة .تساءلت هل كان من الممكن ان تقف امام مخيم الدهيشة في موقعين متضادين فيما لو بقي حيا الواحد منا يواجه الاخر ؟ تذكرت ابنه الصغير الذي تركه عند موته نطفة في احشائي .تذكرت يشوع الصغير الذي ولد يتيما ـ تذكرته وانا ارى اترابه يرشقون الجنود من جيل والده بالحجارة . كان التحدي يملأ نظراتهم رغم مظاهر الخوف التي كانت تميز تصرفاتهم .كانوا يرشقون الجنود بالحجارة ثم يختفون بسرعة داخل بيوت الطين والصفيح كالعناكب . كانت الصورة مثيرة ، وكان السؤال اكثر اثارة . جيل مقابل جيل ؟ لا ... لا ... كان الكبار يشاركون صغارهم التحدي .كانت عيون الصغار تشبه عيني يشوع الصغير ،ولكن اقل براءة واكثر اصرارا . كانوا ينظرون بخوف وشك . هزتني المقارنة . تساءلت في نفسي هل كان من الممكن ان لا يرى يشوع الكبير

Digitized by Birzeit University Library

في ملامح ابنه الصغير شيئا من ملامح هؤلاء الاطفال الخائفين لو كان واقفا معي في تلك اللحظـــــة ؟"

توقفت راعية هنيهة لتسترد انفاسها . كان السكون عميقا في القاعة . بدت وكأنها اخترقت بكلماتها قناعات الحاضريـــن :

" كنت في غاية السعادة وانا امسح الدم عن جبيني الذى سال خلال العراك بيني وبين الجندى الذى ساقني الى السيارة العسكرية .لم يكن الجندى يكبر ابنتي نمار كثيرا . لا بد انه كان في الثامنة عشرة من عمره ،كان يحاول نفادى الحجارة التي كانت تنهال على السيارة عندما اصطدم وجهه بعامود الكهرباء المجاور. كاد ان يقع ارضا من شدة الصدمة ولكنه استعاد توازنه بسرعة . كان التناقض واضحا بين انضباطيته وبراءته العسكرية وبين ملامح الخوف والغربة التي سكنت عينيه . كانت عيناه جامدتين وكأنهما صنعتا من بلور.اطلقت الفلاحات الواقفات على الحاجز الاسمنتي الرغاريد بقوة فانهمرت الحجارة على السيارة العسكرية مثل المطر . انفعل الجندى بعصبية فاطلق طلقة في الهواء اصابت حمامة بيضاء كانت تطير فوق المكان فوقعت صريعة على السيارة العسكرية تلطخ غطاءها بالدم الاحمر. شعرت ببحر من الدم يفصلني عن الماضي . شعرت باتساع مأساتي .وعندما حاولت استعادة صورة يشوع الكبير من خلال الغبار المتصاعد لم اتمكن . رأيت بدلا منها عيون يشوع الصغير وهي تنظر الي بتساؤل وشك"

انهت كلمتها بصوت دافئ يلفه حزن غامض . هنأنها على كلمتها في نهاية المحاضرة ثم سألتها عن السبب الذى جعل يشوع الصغير ، في رأيها ، ينظر اليها بتساؤل وشك ؟ ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجهها وقالت لي بعد فترة من التأمل :

" هل تذكر يوم زرتني في البيت ؟"

وبعدما اجبتها بالايجاب . تنفست بجهد واضح وقالت وهي تحاول تفادى النظر الي :

" لم يصدق ابنائي انك فلسطينـــــي ."

وعندما سألتها مستفسرا عن السبب اجابت بأسى حقيقي :

" لان صورتك اختلفت عن الصورة التي رسخت في اذهانهم عن الفلسطيني . لقد كنت حليقا ونظيفا ومهذبا .. هل فهمت ! "

Digitized by Birzeit University Library

الاهداء : الى التي قالت لزوجها الاسير ... معا والى الابد .. الى منى .. اهدى قصتي هذه ... م . ع) .

ـ ١ ـ

ـ اين سعيد ؟!

قبل لحظات كان يمسك بطرف ثوبي ـ كنت اقف واياه امام حانوت لبيع الملابس ، اساوم البائع واجادله ، كنت اشعر بوجوده كلما شد ثوبي يستحثني على الاسراع كي نلحق بالباص .

ـ هيا اسرعي .. تأخرنا

ـ لم نتأخر .. اهدأ .

لم التفت اليه ، واصلت الحديث مع البائع .

ـ ما هو قياسه ؟!

قال البائع بعد ان استقر رأيي على شراء قطعة رمادية من الملابس الداخلية لزوجي ..

ـ ٤٤ ، واريدها رمادية .

شد سعيد ثوبي بقوة ..

ـ سيفوتنا الباص .

ـ اقول لك اهدأ ، سنشترى ملابس داخلية لوالدك ثم نذهب ..

وبعد قليل ، اقلت ثوبي ، احسست انه ابتعد عني ، لم التفت اليه . بحث البائع عن قطعة بهذا القياس ، لم يجد .. سألني :

ـ ايجب ان تكون رمادية ؟!

ـ نعم .

Digitized by Birzeit University Library

– اخشى ان لا أجد البيس الازرق اكثر جمالا ؟!.

– بلى .. ولكني اريدها رماديـــة .

– لمـــاذا ؟!

– لانها لسجيـــن .

– آ ...

... ندّت عنـه آهة .. وصمت تاركا يديه تبحثان بسرعة عن قطعة بهذا اللون وهذا القياس وجدها بعد لأي ،وضعها في كيس من النايلون ، وناولني اياه ..

– في اى سجن هو ؟!

– (.....)

– منذ متـــى ؟!

– عشر سنوات

تناولت من حقيبتي قطعة نقدية ، القيتها امامه على الطاولة ، اعادها الي ، قال :

– اشترى بها شيئا ما للصبـــي !.

شكرته ، نظرت حوالي ، لم اجده قربي ، خرجت من الحانوت ، نظرت هنا وهناك ، لم اره،أين سعيـــد ؟!.

××××

– ٢ –

– اين امـي ؟!

قبل قليل كنت واياها نقف امام الحانوت ، كنت امسك بطرف ثوبها اشده من وقت لاخر لاستحثها على الاسراع ، كي لا يفوتنا الباص .

– هيا اسرعي ، لقد تأخرنا .

– لم نتأخر ... اهـدأ !

زجرتني بعصبية ظاهرة ، حتى انها لم تلتفت الي ، كانت منهمكة في الحديث مع البائع تريد شراء ملابس داخلية لوالدى ، ملابس رمادية فقط وبقياس محدود ، ونوع خاص من القماش هذه القطعة غالية ، وهذه ، لاحظت بها مزقا خفيفا ، وهذه غير رمادية .. شددت ثوبها بقـــوة .

– سيفوتنا الباص .

– اقول لك اهـدأ . سنشترى ملابس داخلية لوالدك ثم نذهب .

تركت طرف ثوبها ، شعرت بالضيق والاختناق ، وددت لو ابكي ، ماذا لو تأخرنا وانطلق الباص الى السجن بدوننا ، سنحرم من رؤية والدى ــ اوه يا امي اسرعي ــ ادفعي للبائع الثمن لمذى يطلبه ، اشترى اى لون .. اى قياس ،.

ابتعدت عن امي وانا اتأفف ، ويملأني الحنق ، خرجت من الحانوت ، سرت قليلا ناحية اليسار ، .. توقفت عند دكان بيع الساعات ، رحت انقل عيني من ساعة يد لاخرى

Digitized by Birzeit University Library

رأيت ساعة مذهبةواخرى فضية وغيرها كالتي على معصم " ابي صلاح"، وهذه دائرية وارقامها لامعة ، لو ان امي تشترى واحدة لابي بدلا من اضاعة وقتها في شراء ملابس رمادية .

سألت ابي ذات مـــرة :

- لماذا لا تشترى ساعـة ؟!

هز رأسه وابتسم ـ اعتقدت انه لا يملك نقودا كافية لشراء الساعة ، فقلت له :

- سأشترى لك انا ـ نقودى التي اوفرها .

ابتسم مرة اخرى :

- لا يسمحون لي ؟!

فكرت ،لماذا لا يسمحون ،لا يسمحون ان اراه دون شبك ، لا يسمحون ان اجلس معه اكثر من نصف ساعة ولا يسمحون ان يفتحوا له باب السجن ، لا يسمحون بأى شيء .. حتى ساعة اليد لا يسمحون له بحملها سألته : لماذا يسمحون "لابي صلاح" وكل الناس في قريتنا ولا يسمحون له . لم يجبني واكتفى بالابتسامـــة ...

فكرت وانا انظر الى الساعات امامي .. اى ساعة تلائم يد ابي .. اقتربت برأسي من لوح الزجاج الذى يفصلني عن رف الساعات ، ورحت احدق فيها ، وجدتساعة في الزاوية الوانها جميلة اطارها فضي لامع ، وعقاربها ذهبية .. والارقام فوسفورية .. سوارها معدن فضي ، دخلت الحانوت ، وقفت امام الرف لاراها عن قرب ، انها جميلة وتلائم يد ابي ، سأقنع امي بشرائها بدلا من الملابس الداخلية التي لست ادرى لماذا يجب ان تكون رمادية سأضعهاعلى معصمي وهناك في غرفة الزيارة سأعطيها لابي من فتحـة الشبك ، ابي رجل ، والرجل يجب ان يحمل ساعة مثل ابي صلاح وكل الناس، قررتان اسأل البائع عن ثمنها . التفت اليه ، كان يتحدث مع الزبائن ، اقتربت منه ، سألته عن ثمن الساعة ، استعرضني من

Digitized by Birzeit University Library

خلف عويناته السميكة، من اخمص قدمي حتى قمة رأسي،ربت على كتفي بكفه الثقيلة ...

- ما اسمك ؟!
- سعيد
- لمن تريد الساعة ؟!
- لابي
- اين ابوك ؟!
- في السجن .
- اذهب يا شاطر .. ثمنها غالي .
- سأدفع . لدى امي نقود كثيرة .
- اذهب ..هيا ...

دفعتني يده الثقيلة بقوة .. كدت معها اسقط على الارض، شتمته ... وهربت،عدت الى الحانوت .. لم اجد امي .. سألت البائع .. فقال انها خرجت قبل قليل بعد ان اشترت ملابس داخلية رمادية .. اين يمكن ان تكون قد ذهبت الان ؟!.

xxxxx

- ٣ -

اين يمكن ان يكون قد ذهب ؟! خرجت من الحانوت ابحث عنه ، ربما ذهب يتسكع امام الحوانيت ، سرت وانا اتطلع صوب اليمين وصوب اليسار، لم اترك حانوتا الا ونظرت بداخله بدقة، لم اجده ، اين يمكن ان يكون قد ذهب ؟! اين سعيد ؟! قد يكون دخل الى هذا الزقاق ، انعطفت يمينا ، اسرعت في السير ، اذا لم اجده بسرعة سنتأخر عن زيارة فؤاد وستكون هذه هي المرة الاولى منذ عشر سنوات التي نتأخر فيها عن زيارته .. يا الهي .. سننتظر خمسة عشر يوما اخرى في قلق واضطراب بالغين ، سيعتقد انه حدث لنا امر ما منعنا عن زيارته او ان مصيبة حلت بنا ، كيف سيمضي هذه الايام وهو يجهل سبب تأخرنا ؟! ماذا اقول له في الزيارة القادمة ؟! أأقول اني فقدت سعيد في السوق وامضيت الوقت في البحث عنه ؟! ايعقل ان تفقد ام ولدها ؟! كيف حصل ذلك ؟! ايه يا سعيد . ايها الشقي البائس - لماذا لم تنتظرني ؟! صعدت الغصة الى حلقي وامتلأت عيناي بالدموع ، بحثت،لم اجده، انعطفت الى زقاق آخر، رأيت من بعيد حانوتا لبيع العاب الاطفال، لعله هناك يتسلى بمشاهدة الدراجات والدمى،اسرعت نحو الحانوت ، كان مليئا بالزبائن ، لم اجده بينهم ،سألت البائع ما اذا كان قد شاهد صبيا في هذه الناحية، كان السؤال غبيا بالتأكيد، اذ انه لو رآه لما تذكره فهو يشاهد مئات الناس في اليوم . خرجت وقلبي يكاد يتمزق ، يداي ترتجفان قدماي لا تقويان على حملي ، ماذا لو صدمته عربة، ماذا لو وقع وانكسرت يده او قدمه، ماذا لو اعتدى عليه احد الصبية المتسكعين في الشوارع،احتمالات كثيرة تواردت الى ذهني بسرعة البرق - شتمت نفسي .. تمنيت لو لم اخلق في هذه الارض

Digitized by Birzeit University Library

التعيسة .. أي ام انا ؟! كيف غاب عن ذهني الا امسك بيده وانا في الحانوت ، لماذا زجرته ؟! لماذا لم اشتر الملابس الداخلية امس ؟! كان صادقا في الحاحه ، خشي ان يفوتنا الباص ونتأخر عن زيارة فؤاد وها نحن نتأخر ، ولسبب لم يكن يخطر على بالي حتى في اسوأ احلامي ، اختلجت اوصالي انهمرت الدموع من عيني .. ما اتعسني ؟! ما اتعسني ؟!

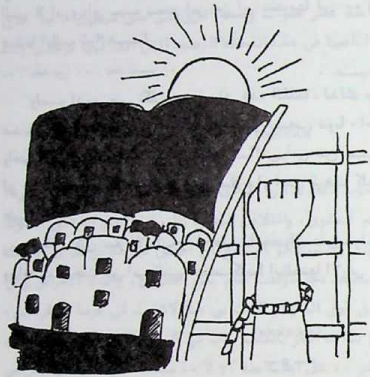

(٤)

ماأتعسني ! ما اشقاني !. اى حال هي به الان ؟! ربما تتألم وتعاني كعادتها عندما تشعر بأني بعيد عنها ،لو لم اخرج من شدة الغيظ لما فقدتها .. ولوفرت عليها مشقة البحث عني .. سرت ناحية اليمين .. ربما ذهبت من هنا تبحث عني .. دققت النظر في كل اتجاه .. واصطدمت بالمارة اكثر من مرة ، لم اعثر عليها واجهني زقاق ، انعطفت اليه راكضا ، تعثرت قدمي بصندوق من الخشب فكدت اقع على وجهي لو لم يمسكني احد المارة في اللحظة المناسبة ، خففت من سرعتي ورحت اقف امام كل حانوت ، ادقق النظر داخله ..عبثا .. احاول العثور عليها .. اين ذهبت ؟! رأيت من بعيد حانوتا لبيع العاب الاطفال .. سرت نحوه – وقفت امامه نظرت عبر الزجاج الى الدمى والدراجات .. رأيت دراجة كالتي لدى صلاح ، طلبت مرة من والدى ان يشترى لي دراجة مثلها ، قال .. اذا نجحت في المدرسة ستشترى امك واحدة ،ونجحت بتفوق ،نلت الدرجة الاولى في الصف :

– ها انا نجحت يا والدى .. قل لوالدتي ان تشترى لى دراجة !

– نظر والدى الى امي عبر فتحات الشبك الدقيقة وقال :

– اشترى له دراجة .. هدية منـــي .

غمزت له بعينيها وقالت :

– بعدين .. بعديـــن ..

ادرك والدى ان السبب يتعلق بالنقود وان الدراجة بالنسبة لامي تعتبر حاجة زائدة عن

Digitized by Birzeit University Library

اللزوم .

ـ عندما اخرج سيهون الامر وسأشتريها لك .

عندما يخرج سيشتري لي ما اريد، انا على ثقة من ذلك ، ولكن متى سيخرج ؟! كيف سيخرج؟! فكرت بذلك ، شعرت بالالم الذى ينتابني دائما كلما رأيت مع صلاح تلك الاشياء التي لا ادرى اى سبب يمنع امي من ان تشتريها لي .. اشياء كثيرة وصعبة تقول لي دوما عندما اطلب شراءهـــا :

ـ بعدين ... بعديـــن ..

ولست ادرى متى تكف عن ترداد هذه الكلمة ، لذلك صدقوني ان قلت لكم ان الالم هو صديقي الذى لا يفارقني ، انه ظلي الذى يتبعني دوما ، احيانا اشعر به تحت القلب مباشرة واحيانا في معدتي او رأسي ، وعندما تسألني امي عن سبب المي لا اقول لها الحقيقة لانني لو قلت لها انني اشعر بالغيرة من صلاح او انني كرهت كلمة "بعدين" .. لزجرتني وبكت طويلا .

تركت مكان بيع الالعاب وانا احلم بالحصول على دراجة اركبها واتباهى بها امام صلاح وعاودت البحث عن امي التي اختفت كأنما ابتلعتها الارض .

xxxxxx

ـ ٥ ـ

كأنما ابتلعته الارض ؟؟ عبثا استمررت في البحث عنه ، اخرج من زقاق وأدخل في آخر، اسأل هذا البائع ، واستوضح من ذاك اتطلع يمنة ويسرة،اسرع تارة وابطئ تارة اخرى، خارت قواى ، كلت قدماى ، كدت انهار واسقط على الارض ، اصطدمت بأحد المارة ، فسقطت من يده حقيبة ،اعتذرت له ،وواصلت السير وددت لو اصرخ بصوت عال ، ان امزق شعرى واتمرغ في الارض، اين ذهب هذا الطفل اللعين ، ها قد مرت ربع ساعة وانا ابحث عنه دون جدوى، فقدت كل امل في اللحاق بالباص وزيارة فؤاد ، كل همي الان ان اجده ، في اى زقاق يقبع ، في اى حانوت دخل ، في اى شارع يسير ، .. اواه من يصدق انني انا التي فقدت ولدى ، من يصدق ان سعاد التي تخشى على ابنها من نسمة الريح ، تفقده هكذا ، ببساطة . ودون اى سبب في سوق ملئ بالمارة والباعة ، وتمضي وقتا في البحث عنه في الازقة والشوارع والحوارى ، هل يصدق احدان سعاد التي تذرف الدموع ، وتولول ، وتمزق شعرها لمجرد ان يشكو سعيد من ان عضوا ما يؤلمه ، تتركه يضيع من بين يديها كما لو كان رمادا تذروه الرياح ليصبح اثرا بعد عين ؟! صدقوا اولا تصدقوا ، هذا ما حدث وبمقدور كل منكم ان يتصور اى حال انا فيه الان .. اصارحكم بأن كلمات مثل الحزن والالم والبكاء ، وانقباض القلب وانهيار القوى لم تعد كافية لوصف حالي،حالي الان هو حال امرأة تبحث عن ولدها ، الذى هو ثمرة حبها الاول والاخير ، الحب الذى صانته وحافظت عليه طوال العشر سنوات الماضية ... هو كل ما تركه فؤاد لي ، هو حياتي وأملـــي ..

شعرت انني اتضاءل امام نفسي ، انتابني شعور باليأس القاتل ، فكرت ان اجلس قليلا في

Digitized by Birzeit University Library

هذه الزاوية وانتظر عله يمر من امامي ، غير انني قتلت الفكرة قبل ان تولد فالوقت ثمين ، وكل دقيقة الان تساوي سنواتي السابقة كلها .. وقد تتوقف ايامي القادمة على هذه اللحظات بالذات . لانني لا استطيع ان اتصور كيف يمكن ان استمر في الحياة ، فيما لو حصل ما اخشاه وشعرت الان اكثر من اي وقت آخر ان القدر الذي ربما لم يكن يثق بحبي لفؤاد واخضعه لامتحان الفراق امتد عشر سنوات ولست ادري الى متى سيطول ، جاء الان وكشف الام كل السنوات الطويلة الماضية في هذه اللحظة الرهيبة التي اقف فيها لوحدي وسط تيار المارة الجارف ابحث عن سعيـــد .

xxxxxx

-٦-

شققت طريقي بين الناس بصعوبة بالغة ــ كان الزقاق الذي انعطفت اليه مزدحما بالمارة ، لفحت انفي رائحة السمك واللحم المشوي ، والفلافل المقلية بالزيت والخبز الساخن ، تلوت امعائي ، وتقلصت معدتي الخاوية ، وتمنيت لو استطيع ان احصل على قرص فلافل او كعكة صغيرة اسكت بها الجوع الذي استيقظ فجأة،وقفت امام بائع الفلافل ، راقبت الاقراص وهي تعوم في وعاء الزيت الذي يتعبق فوق النار لو كانت امي هنا لاشترت لي قرصا او قرصين ، بلعت ريقي ، عضضت على شفتي بدأت اشعر بالتعب يدب في كل اوصالي ، كيف احصل على قرص واحد من الفلافل .. لا اكثر .. هل اطلبه منه ؟! لا .. سيعتقد اني مشرد او ليس لي اب .. ولن يسمعني ان قلت له ان ابي موجود في السجن وهو كبير مثله وله شارب اسود ويستطيع ان يعمل لو خرج من السجن.هل اسرق ؟! لا .. ماذا ستقول امي لو علمت بذلك فيما بعد ؟! ستقول اني شقي وانها اساءت تربيتي .. وقفت بجانبي امرأة سمينة تمسك بيد طفل .. ربما لا يصغرني الا قليلا ، اشترت له ثلاثة اقراص من الفلافل ، ووضعتها بين شقي رغيف راح الطفل يلتهمه بشراهه ، نظرت اليه ، بللت شفتي بلساني ودون ان ادري سقطت من عيني دمعة ، ثم دمعتان ، فثلاثة ، وبكيت ورحت اجدفي البحث عن امي والجوع يقتلنـــــي .

xxxxxx

-٧-

ذهبت يوما لزيارة فؤاد ، دون ان اصطحب سعيد معي ، كان يومها مصاب بالزكام وخشيت ان تفاقم مشقة السفر الطويل من مرضه . قال فؤاد :

- لماذا لم يأت معـــك ؟!
- اصيب بالزكام ــ والرحلة طويلة كما تعلم .

عض على شفته ، وتململ في جلسته على المقعد ..

- اين تركتيـــــه ؟!
- عند جدتـــــه .
- الن يحدث له مكروه ؟!

Digitized by Birzeit University Library

كان شديد الخوف عليه، يوصيني دائما ان اعيره اقصى درجات الاهتمام،هو عنده ليس ابنا وحسب ، هو شيء آخر لا يدركه الا نحن الاثنين .

ـ لن يحدث له اى سوء ـ اوصيت امي الاهتمام به .

تناول سيجارة والقاها بين شفتيه ، لاحظت ان اصابعه ترتجف ، عيناه كانتا تتحاشيان النظر الي ، ادخل اصابعه بين فتحات الشبك شد عليها كما لو كان يريد تمزيق الحاجز والخروج منه، وضعت كفي على اصابعه كانت ما تزال ترتجـف .

ـ سعـــــاد .

قال بصوت ممزوج بالالم والعذاب ، صمت لحظة كأنما نسي ما يود ان يقوله ..او ربما عدل عن قول ما أراد.

ـ سعاد ـ رأيت الليلة حلما مرعبا .

ابتسمت ، كانت الابتسامة مصطنعة ، شعرت بوخزة في قلبي ، هناك حيث يسكن هو وسعيد . هناك شعرت بالالم يتحرك ، يوخزني كلما نبض قلبـــي .

ـ اظنك لا تؤمن بالاحلام .

ـ وما زلت ، لكني تمنيت ان اراه اليوم معك ، انت تعرفين يا سعاد .. هو .. هو خرجت الكلمات من فيه بطيئة .. مرتجفة .. كأنما كانت صدى لانفجار وقع داخله .. زلزال هز كيانـــــه ...

ـ هو .. هو ثمرة حبنا يا سعاد .. هو ما افكر به دائما .. اخشى ان يجوع ان يمرض .. ان يقع من فوق جدار .. او تصدمه سيارة .. اخشى ان ...

عيناه كانتا تقاومان دمعة استقرت تحت جفنه .. قاوم .. وقاوم .. وظلت الدمعة عالقة تحت الجفن لا تقوى على الانفلات .

اتعذب لمجرد التفكير بأن امرا كهذا يمكن ان يحدث .

سحب اصابعه من تحت كفي .. القاها على البلاطةامامه .. كان يتحاشى النظر الي كأنما شعر بذنب ما .. قلت له وانا اغالب رغبتي بالبكاء ان يطمئن فهو في السجن ولا ينبغي ان يقلق كثيرا وسيكون "سعيد" اثمن هدية اقدمها له حين يخرج من السجن .

انتابني احساس بالكره الشديد لنفسي وانا استعيد هذه الحادثة وشعرت بأن ذنبي كبير لا يغتفر ، فلاول مرة منذ ارتبطت بزوجي يغمرني احساس بأني اخذله واخذله واسى لذلك الرباط المقدس المتين بمجرد ان اهملت الطفل الذى نفخ في حبنا الحياة والديمومة ومنحه ذاك العبير الذى يثلج الصدر ويبقى على الاحساس بالسعادة لمجرد ان نحب او نحب رغم الفراق والشقـــــاء .

اتجهت نحو زقاق مزدحم ، خففت من سرعتي بسبب صعوبة السير ،لفحت انفي رائحة كباب مشوى ، وفلافل وكعك ، تذكرت ان سعيد لم يتناول فطوره كعادته عندما يزور فؤاد، وقد يكون الان جائعا .. كيف سيحصل على الطعام اذا لم اجده ؟! لن يستجدى .. لن يسرق .. سيبقى يتلوى من الجوع ربما تنهار قواه ويسقط تحت اقدام المارة .. ربما يقبع في زاوية ويبكي،قررت ان اشترى له طعاما .. تقدمت نحو بائع الفلافل ، اشتريت رغيفا ووضع

Digitized by Birzeit University Library

اقراص من الفلافل وكعكة وزعتر ، وضعتها في كيس وواصلت البحث عنـــــه .

xxxxxx

— ٨ —

فكرت بما يمكن ان يحدث لامي في هذه اللحظات ، تصورت عينيها محمرتين ،منتفختين والدموع تتساقط على خديها ، وشفتاها متيبستان ترتعشان .. تشتم نفسها او تصرخ بصوت او تمزق شعرها ، وقد يعتقد المارة انها مجنونة او مريضة او شيئا من هذا القبيل .. قد يشفقون عليها ويتمنون لها الشفاء العاجل وربما يحملونها الى المستشفى .. اواه يا ربي ، اى مصيبة وقعت على رأس امي كل ذلك بسببي ، انا الذى جلبت لامي الشقاء والتعاسة ، لماذا تركتها وتسكعت امام حانوت بيع الساعات ، وماذا يقول والدى عندما يعلم بأني كنت سببا في حزن امي ؟! هل سيسامحني ؟! شعرت بالتعب ، جلست في احدى الزوايا ، ضممت ركبتي،والقيت رأسي على صدرى وطفقت ابكي بينما اخذ صدرى يعلو وينخفض .

xxxxxxx

— ٩ —

كنت ادفع المارة بكلتا يدى ، مستخدمة حقيبتي ، منتفخةالعينين ، ودموعي تنزلق على وجهي اشهق من حين لاخر ، وأتأوه ـ ربما اعتقد البعض اني مجنونة فافسحوا لي الطريق .. لست مجنونة !! انا اكثر انسانة لا تستحق الحياة .. انسانة لا تستحق ان تحب وغير جديرة بأن تحب .. انسانة فقدت عقلها وطار صوابها مكانها الطبيعي مستشفى للذين يتجاوزون الجنون بدرجـــــات .

xxxxxxxx

— ١٠ —

نهضت من مكاني وقدماى تصطفقان وصدرى ما زال يعلو وينخفض ودموعي تزداد غزارة ... سرت بأول منعطف واجهني ، كنت شديد الشبه بالمشرد والمتسكع بل والشحاذ الذى يستجدى . اصطدمت باحدى العربات ، سقطت على الارض ،شعرت بألم حاد في ركبتي ، اطلقت صرخة عالية .. تجمع المارة حولي رفعني احدهم عن الارض وكشف عن ركبتي ، لاحظت بقعة حمراء من الدم تصبغ بنطالي علا صراخي ، بكيت بمرارة .. نزعت احدى النساء منديلها لفته على ركبتي وحسست على شعرى....

— الاصابـة بسيطـــة ..

— لماذا لا تنتبه ايها السائق ؟!

— مسكين ؟! اين والديـــه .

سمعت الكثير من الكلمات ، آلمتني كلمة خرجت من فيه احد المتطفلين :

— يبدو انه مشرد .. ما ذنب السائـــق ...

Digitized by Birzeit University Library

اردت ان اصرخ في وجههواقول له انني لست مشردا ـ لدى اب وام .. ابي في السجن منذ عشر سنوات ، عندما خرجت الى الحياة كان يعاني في الزنزانة ، لم يراني الا من خلف القضبان ، وانا احب ابياكثر من كل الناس ، هو ليس مثلك ، هو افضل منك ، ولكني لم اصرخ في وجهه ولم انطق بأى كلمة ، بل بكيت بصوت عال ثم بصمت .. وتركت الجمع ورحت اشق طريقي مترنحا مصابا بالـــدوار ..

xxxxxxxx

ـ ١١ ـ

كماالمجنونة اسير ، بدأت اهذى واتوسل الى الله ، الى القدر الذى عذبني طويلا وما زال ... الى الباعة .. الى المارة ... ان يجدوا ابنـي ..

كما المجنونة اسير .. انتقل من منعطف الى اخر .. اصطدم بهذا وذاك اتعثر هنا وهنـــاك .

كما المجنونة اسير ، ابحث عنولدى عن ثمرة حبي ، ابكي حظي العاثر .. ألوك الامي التي تنخر عظامي .. ساعة مضت او اكثر قليلا .. قطعت المدينة كلها .. بأزقتها وشوارعها ...اين ذهبت يا سعيد .. اضعت ابنك يا فؤاد .. اضعت حبك يا فؤاد .. اضعت حبك يا فؤاد ... يا فؤاد .. يا فـــؤاد .

xxxxxx

ـ ١٢ ـ

من بعيد شاهدت امرأة .. كما المجنونة تسير .. تمزق شعرها الاشعث تارة وتضرب على صدرها تارة اخرى ، اواه .. انها امي ، سعـاد .. سعـاد .

xxxxxxx

ـ ١٣ ـ

من بعيد رأيته يسير نحوى .. يظلع على قدم واحدة ، يترنح يمينا ويسارا له هيئة المشرد او الشحاذ .. يبكي .. ويشهق . اواه .. انه ابنـي سعيـد ... سعيـد ....

Digitized by Birzeit University Library

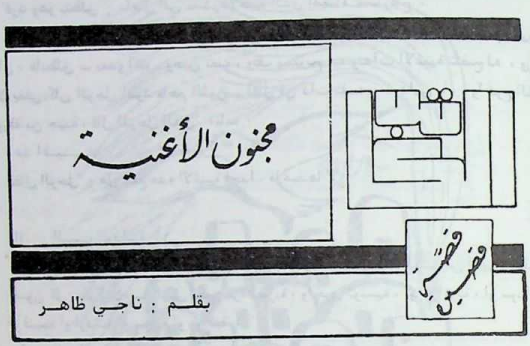

وقفت السيارة التي اقلتهم هو والسائق وامه وزوجته الى جانب الطريق المؤدي الى أعلى مكان في المنطقة ، نزل من السيارة تنشق هواءا نقيا لذيذا ، ذكره بقريته التي حاصرتها الوحوش السود ، ففر من فر من اهلها ، وبقي من بقي يصارع الوحوش ، وكان هو وأهله ــ ممن فرّ ! ! وها هم ــ هنا في هذا المكان يتنسمون هواءا نقيا لذيذا ، ها هم يبحثون عن مصدر الاغنية ، بلغ سمعه في تلك اللحظة غناء ، حاول ان يميزه فلم يستطع ،قال لامه :

– هذا غناء غريب .

– الم تستمع الى مثله من قبل ؟

– لا .

– انت تستطيع ان تميـــزه .

وغرست عينيها فيه .. فهو حقا يستطيع ان يميز ذلك الغناء ، وفي القرية كان يسجل كل اغنية يستمع اليها ، وأما الاغاني الغريبة فكان يعرفها بمجرد استماعه اليها ، ماذا جرى وماذا بدا ، حتى بات بين ليلة وضحاها لا يستطيع ان يميّزها ؟! نظر الى امه ، كانت ما تزال شابة ، اراد ان يقول لها : لن اخذلك ، سأعرف .. فهمهمت : هــه ؟! قال :

هذا خليط غريب من الاغانـــي .

وأخذ يعد . مصري ، تونسي ، جزائري ، سوداني ، ليبي ، اردني ، سوري ، عراقي .

– كل هذا الغناء ، يخرج من مكان واحد ؟

– لا اعلم ، انني استمع الى خليط من الاغاني .

وأتاه صوت من الاعماق يقول : ماذا تنتظر ... وانطلق .

Digitized by Birzeit University Library

صرخت امه : الى اين ايها المجنون ؟!

فرد وهو ينطلق : سأصل الى مصدر الاغنية الذى اضعناه ، سأرتاح .

كانوا طوال الطريق يعتقدون ان الاغنية ، واكتشاف مصدرها بالذات ،سيوصلهم الى بر الامان ، فانطلق ـ يعدو اكثر ، وحين تعب ، وقف يستريح .. وبدأت الاغنية تتضح له ، ورأى رجلا يغني.كان الرجل اسود فاحم اللون ، فقال في ذات نفسه : سوداني .. ، وأخرج القلم والورقة من جيبه ، قال للرجل الذى امامه :

ـ أعد اغنيتـــك .

فقال الرجل : هل تنفع هذه الاغنية احدا ، فأعيدها ؟!

قال : اليست سودانية ؟!

فرد الرجل : بلى ولكنني انا كاتبها ويوجد في هذه المنطقة الكثير من الهواة الذين يغنون كل على ليلاه ـ وليلى تكون مرة مصرية ، وأخرى تونسية ، او جزائرية ، او سودانية او ليبية او اردنية او سورية او عراقية .

قال : انتم فلسطينيـــون ؟!

فرد الرجل ببطء : نعـــم .

لم يكن الوقت ، وقت عراك ، والا لدخل في معركة،الله وحده يعلم من يكون فيها الخاسر !

فضل ان يعود الى حيث امه وزوجته والسيارة ، فعاد يركض ، باتجاههم .

تجاوز المكان الذى وقفت فيه السيارة منذ قليل ، ورأى امه تسير الهوينى ، عندما اقترب منها سألهـــا :

ـ أين همـــا ؟

ـ لم يستطيعا الانتظار اكثر !

ـ وماذا فعلت أنـــت ؟

ـ لم يطاوعني قلبي على تركك وحيدا فقلت امشي ببطء فتلحق بـــي .

نظر الى امه .. لاول مرة يراها بذلك البهاء ، كانت تشبه شجرة السنديان بقامتها وانتصابها ، لم تنحن في يوم ما لاى كان،كانت دائما منتصبة ، واذا حدث وانحنت فلم يكن ذلك ـ الا لابنائهـــا ـ لم تنحن الا لتكون اعظـــم .

وقال لها : بارادتك انت سنصل الى اغنيتنا ، فنرتاح .

فردت عليه بحزم : لا تستهن بارادتك يا ولدى .

وسارا،ورأيا السيارة التي اقلت الجميع منذ خرجوا من القرية،فقالت الام : لقد وصلنا واياهم في ذات الوقت .

Digitized by Birzeit University Library

فقال بينه وبين نفسه : لقد كان ذلك بفضل متابرتك واستمرارك في الطريق الصحيح .

رأى زوجته والسائق وراءهما يدخلان الى بيت قديم ، فركض وراءهما ، وفي البيت القديم لم يسمع الاغنية الفلسطينية التي ستريحه من هواة الغناء تلك الاغنية التي طالما بحث عنها منذ خرج مع من خرج من القرية ، وأخذ يتخبط ! فاين مصدر الاغنية ؟ انه ما يزال يذكر كلمات زوجته ترن في اذنيه الى الان : عندما نعثر على مصدر الاغنية سنرتاح ، وسنصل الى ذلك البرّ ، برّ الامـــان .

دخلت امه في تلك الاثناء الى البيت القديم وحينما رأته يتخبط في البحث عن مصدر الاغنية قالت: تعال ، وجذبته من يده الى مدخل جانبي ، دخل منه ، فأطل على حقل واسع مترامي الاطراف .. وتنبعث من اقصى مكان فيه اغنية ، قال لامه وهو يركض :سنعثر على مصدر الاغنية وسنعثر عليهم . وقبل ان ترد الام ، رأى ما لم يكن يتوقع ان يراه . رأى احد الوحوش الذين هاجموا قريته .. هجم الوحش .. وهجم هو ، وتعاركا وكلما كان يضرب الوحش ، كانت ترتفع الاغنية ..أعلـــى فأعلـــى .

Digitized by Birzeit University Library

نظرات في قصص الكاتب الفلسطيني محمد نفاع

بقلم : شاكر فريد حسن ـ مصمص المنلت

محمد نفاع رائد من رواد القصة الفلسطينية الحديثة داخل الحصار وواحد من ادباء الالتزام بقضايا المسحوقين . دخل محراب الكلمة الملتزمة ، الحرة ، الواعية في منتصف الستينات ليكتب القصة القصيرة متخذا من الماركسية ـ اللينينية مرشدا وهاديا في كتاباته وفي كفاحاته اليومية المتواصلة من اجل حياة افضل ومستقبل اجمل له ولشعبه العملاق الصامد وللبشرية جمعاء . ونشر محمد قصصه المتميزة في صحافة الحزب الشيوعي ("الاتحاد"، "الغد" ،الجديد") وصدرت له حتى الان اربع مجموعات قصصية هي الاصيلة (عربسك ١٩٧٦) ودية (عربسك ١٩٧٧) ريح الشمال (الاسوار ١٩٧٩) وكوشان (الاسوار ١٩٨٠) .

ان القضية الرئيسية التي تشغل وجدان القاص محمد نفاع ، بل قل الفكرة الملحة هي قضية الانسان الفلسطيني المسحوق الذى تسربت الى اعماقه معاني القوة والشجاعة والبطولة والتضحية . وهو ينقل في قصصه واقع القرية العربية الفلسطينية بكل ما فيها من تراب وحجارة واشجار ونبات وصخور ووديان وتجسد حياة اهلها ومعاناتهم من جراء سياسة التمييز والاضطهاد والتي تنتهجها حكومات اسرائيل المتعاقبة، ويرسم صورة الجرح النازف من افئدتنا .يقول الكاتب التقدمي فيصل دراج في مقالة له عن محمد نفاع ومجموعته القصصية "كوشان :" في السطور والكلمات،في الموضوع والشخصية وفي الذاكرة والتذكر يعلن محمد نفاع عن انتمائه الى القرية الفلسطينية عن ذوبانها فيه ، حتى يبدو مجبولا بكل ما فيها او حتى يبدو كاتبا فلاحيا او رساما بريا ،يرسل في كلماته اجواء قرية بعيدة . ويطلق في رسومه عوالم بعيدة من عقالها ، حتى نكاد نقول : ينطلق محمد نفاع من ذاكرة القرية الفلسطينية، فيكتبها ويصونها في كتابته من الضياع والفقدان ، وهو في ذلك لا يجد مواد قصصه الا بقدر ما

Digitized by Birzeit University Library

تذود هذه المواد عن الشخصية الفلسطينية اوبقدر ما تسمح بتحديد الملامح الفلسطينية في تاريخها الفلاحي ،فكأن الكتابة تعيد في سطورها بناء القرى التي " اندرست ".

في قصة " لاننا نحب الارض" يتناول محمد نفاع قضية مصادرة الارض وارتباط انساننا الفلسطيني وتعلقه بها . ويصور لنا بأسلوب مميز نضال جماهيرنا الشعبية وكفاحها الشاق المستمر ضد سياسة النهب والمصادرة والتهويد ، بالاضافة الى تصويره حالة ، اصحاب الارض حين وصلت اليهم الرسالة المتضمنة امر المصادرة بحجة انها تابعة لاملاك الدولة " : " وراح ابي يفكر بصمت ، ولكن بعض الناس بدأوا يتوافدون الى بيتنا مهرولين في ملابس النوم فارعين دارعين يحملون الاوراق الساخنة في ايديهم ، بعضهم يشتم وبعضهم يقهقه وآخر يطلق كلمات رصينـــــة .

ووجدت امي العزاء في مصاب الاخرين ، قال ابي : انا لا اصدق هذا ابدا . هل الورقة مكتوبة باسمي الكامل ؟! دقق النظر !! وعندما اخبرته بصحة الاسم تحول عني حانقا :

– نترك الارض بهذه السهولة !

– هه !! حكومة !! قال احد الحضور :

– بلا بطيخ اصفر ، ولاول مرة النعمت عينا ابي ببرق مخيف .

– ماأحلاك يا حكومة وانت ماخذة خلة "النمر" وكان هذا اسم قطعة الارض .

قال احراش !! ومرج ابن عامر كان " احراش " والناس صلحته .

وقصة " كوشان " هي قصة الضياع والتشرد والغربة" ضياع وتشرد وغربة الشعب الفلسطيني (جئت مع مجموعة من الرجال الى الوطن ، مذللين طوق المراقبة الرهيب ، بقينا اياما في الجبال ، في اماكن مجهولة تحت الشجرالملتف ، في بطون الاودية والكهوف تختلط بالضباب والليل والشمس ، رأينا الناس ولم يـرونا ، سمعنا الاصوات في البيوت ، بيننا وبين تلك الامكنة وحدة حال ،الفة ، معرفة ، قديمة اصيلة،في الحال عشقت كل شيء فيها الحجارة وغناء الاعراس ، ورياح الاودية الناعمة الباردة انقلبت الى انسان اخر ، انت لا تستطيع ان تفهم ذلك كما يجب ، اريد ان اقف ان ابقى ، ان اقضي عمرا بكامله تحسست دفء الاشياء ، اعب من الهواء قدرا كبيرا ،اتحسس هؤلاء الناس ، اعيش حياتهم كل يوم ، يلهب وجهي لفح انفاسهم في الارض ،اتلمس الايدى ، تتازل الحجارة في الحقل الشذى ، فتقيأ نفسي فنن العيش في طابور الغوث والتمويـــن) .

وفي قصة" الارض مرصودة بأهلها" يصور محمد الاساليب السلطوية في نهب الاراضي العربية وتصدى جماهيرنا العربية الواعية لها (رأيت الناس في بلدنا ، يقفون على الصخر في مواجهة الزحف والمصادرة يطبون على الصخر بأرجلهم ، الصخر ثابت ماكن ، وطب الاقدام امكن ،يسدون ابواب المغاور والكهوف والدخانيس بأجسامهم القوية الصامدة ، حيث توحمت امهاتهم على الصخور والسنديان ،من اجل بقاء المغاور لنا كما كانت وكما يجب ان تكون ، يعزلون اجران المياه من الحجارة والوحل ، يطوعون المعاصي صاغرة حتى تنبت القمح ،فتفعل

Digitized by Birzeit University Library

هاشة باشة معطاء ، يتصدون كتفا الى جانب كتف ومجن من الوحدة لا ينفذ يعود الشيخ شابا عنيفا منتصبا قاهرا ، يولد الطفل ورأسه الى العلاء يكبر رأسا للتحدى ، يتطاير الشرر من عيون الامهات والعذارى بلا تحفظ . اما ان نركب رأس الغول او بركبنا ، الكل يدافع عن البلد والارض والرصد بأسنانهم ، بأيديهم ، بحجارة الصوان واعواد السنديان ، عرفنا جميعا وليعرف الغول دفعة واحدة مرة والى الابد ان البلد فيها رصد ، الارض مرصودة بأهليها) .

وقصة "الحمال يفقد القوة" تسجل مأساة الفتاة الحسناء التي صدمتها حرب الستة ايام (١٩٦٧) حبيبها وشريك حياتها الذى لم يمض على زواجها منه شهران ، وقد افقدت هذه الحرب امالها وطموحاتها وامانيها كافـــــة .

وفي قصة " يوم شارك الحراثون في اعمال الثورة" يرسم محمد صورة للنضال المنظم والمتواصل والواعي ضد الاستعمار البريطاني ويصور بل ويبرز جميع الوان واشكال الظلم والقهر والعسف والاضطهاد الواقع على جماهير الشعب الفلسطيني : "فالشيوخ قصت لحاهم وفي المركز العسكرى اجبر عدد من الاهالي بلمس مؤخرات بعضهم بتهمة الاتصال مع الثوار والتستر عليهم ، وقضي على رجولة اثنين من البلد بتهمة التهريب من لبنان ،واربكت خصية ثالث كليا ، وعندما كان احد الرجال يتركب دابته عائدا من الحقل وفي يدية قضيب يضرب به الدابة التي تتلكأ في المشي صادفه عسكرى انجليزى فأوقفه وضربه بنفس القضيب ضربا مبرحا على رقبته ووجهه صارخا : " الرفق بالحيـــوان ".

وقصة " جهاز العروس" تعكس حياة عائلة بروليتارية فقيرة وترصد معاناتها واوضاعها المعيشية بسبب الظروف الاقتصادية السيئة : "واذا طبخت امي اكلة المجدرة وهي الطبخة التقليدية كانت تكيل ثلاث ملاعق زيت بملعقة خشب صغيرة وتفتش عن اردأ واصغر رأس بصل مدعية بأننا لا نرغب الزيت والبصل على الطبيخ فنأكل ما نطبخ ويتكرر ذلك يوميا "وفي موضع آخر يقول :" قال التلفزيون حرام لبس القصير والشغل هم بسلامتهم ما رفعوا صوتهم يوم مصادرة الارض ، قديش كان احلى لو طالبوا بفتح مشاغل في البلاد .. شغل بجب البيت مريح ومستور ، قديش كانوا يكسبوا اجر لو يطالبوا بتعفية الشباب من الجيش الاحباري ميات الشباب من البلد بترتمي ثلاث سنين في الجيش شي يرجع وشي ما يرجع ". وتنتهي القصة لتقول لنا على لسان احدى شخصياتها :

" كسوتي قليلة على قد الحال ، وكسوتي الحقيقية هي محبة الناس والادب والضمير والوعي والتعاون اجمل كسوة لبلدنـــــا ".

وقصة " واحد من كثيرين" تبرز شخصية الانسان الشيوعي الملتزم بحزبه وبرنامجه السياسي وبالقضية العادلة التي يدافع عنها ، قضية الكادحيـــن المحرومين .

وفي قصة " المشردون" يصور محمد نفاع مأساة الشعب الفلسطيني في العام ١٩٤٨ وما رافق ذلك من القتل والاقتلاع والترحيل الجماعي .. فيقول " وعكر المزاج وحرقت البيوت

Digitized by Birzeit University Library

والاشجار ،وارتعد الاولاد وصرع رجال ونساء واولاد وبهائم ، واقتلعت الحرب الناس،هذه الحجارة والحيطان والتراب والاشجار هي بقايا قرية حطيـــن ".

اما قصة " جاء وقت الخطر" فتتحدث عن هزيمة حزيران العام ١٩٦٧ التي استهدفت الانسان الفلسطيني جسدا وقضية وعن الارهاب والعسف والعذاب الذى تلاقيه الجماهيـــر الفلسطينية تحت نيران الاحتلال الصهيونـــي .

وقضية الحب في مجتمعنا العربي القروى عالجها محمد نفاع بأسلوب ساخر وذلك في قصته " اشياء غريبة " ، وقد ابدع في تصوير هذه القضية حين قال :" في حارتنا اكثر من عشرين صبية ،كلهن بالغات،فقعت انزازهن فقعة العدسة وفقعة الغولة من زمان احلى واحدة فيهن " صالحة" وانا داهب لملاقاتها اليوم في الوعر ، لان البلد كلها عيون والسن واذان وايدى وارجل وشحاشيط وعصي وحجارة وشبريات . الحب مكروه في البلد ، ولا يوجد اصعب منه الا العزارة والفضيحة وكيف ؟ يخطيء واحد ويطب على دابته !! فيحمل اسمها وعارها ونصبح الفضيحة كنية له يحملها ذنبا على الجنب وحسابا على الرب ، عملها في ساعة شيطانية ، طعنه نفسه الامارة بالسوء ، عنّ على باله ذلك الشي في البرية حيث يكثر الجهل والانطلاق ، تنفتح النفس للقيام بأعمال من نوع آخر فلم يجد في متناول يده الا الدابة تسرح وترعى ، وهي السائبة تقف تهدأ مبهمة تفعل فيها وترك حاشا من الطارئ ".

وينقلنا محمد نفاع في قصصه الى الريف ،لتنعم بأجوائه ونسعد بلقاء اهله الكرام ، ننتقل معهم في رحابهم الجميلة ، نسهر معهم في سهراتهم الريفية على ضوء القمر الوهاج ونستمع الى الاهازيج الشعبية ونصغي الى قص الزير سالم وتغريبة بني هلال وعنترة وحكايات الف ليلة وليلـــة .

تتميز قصص محمد ببساطتها وشعبيتها وروءياها الجلية الواضحة ، وما يميزها عن قصص غيره من الكتاب المحليين الذين تناولوا واقع القرية ، العربية ، امثال " مصطفى مراد ومحمد علي طه " انها تبرز اسماء النباتات والاشجار والازهار العابق اريجها من سفوح جبالنا الشماء وابطاله من ابناء الطبقات الشعبية الفقيرة ، وهم ريفيون بسيطون يعشقون الارض والزيتون والصبار ، يقاومون الظلام ويتحدون القهر والموت .فيهم العامل الكادح والفلاح المتجذر في ارضه ، وفيهم المدرس النبيل والمثقف الواعي لقضايا الفكر الانساني التقدمي الذى يشارك في خلق الانسان الجديد وبناء مجتمع العدل والحرية الخالي من الاضطهاد والتمييز والظلم والاستغلال ، استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ويدخل محمد في قصصه الاناشيد الكفاحية والاهازيج الشعبية ، كنشيد :

لبنـــاء عالـــم جديـــد ... ولقبـر مشعـل الحـــروب
فـي هـدى اكتوبـر المجيـد ... سائـر موكـب الشعـــوب
تهتـف الجمـوع فـي المواكب ... بشعـار حزبنـا الاميـــن
شعبنـا الابـي لـن يحـارب ... وطنـا شـاده لينيـــن

وكأغنيـــة :

Digitized by Birzeit University Library

من بين البيوت
شوقي مرق خيال
من بين البيوت
ما قلتله فوت
الله عمى قلبي
ما قلتله فوت

واسلوبه في الكتابة هو اسلوب جرمقي على حد تعبير القاص محمد علي طه ، يتراوح بين الاسلوب التسجيلي الحرفي الساخر وبين الاسلوب التأملي اى كأسلوب الشعراء حين العرض، كما لاحظنا ذلك في قصص زكي العيلة في مجموعته " العطش"و" الجبل لايأتي" ، يقول محمد في احدى قصصه : " وها انا اعي كل شيء اسمي عدوان ، ولي زوجة لطيفة ، ابيه وطفلة حلوة طيبة تكاد تنطق ، لها شعر اشقر ناعم كالزغب على فراخ الطير تلبس ثيابا جميلة زاهية ، وتدغدغ بأصابعها الطرية الحية عنقي ووجهي وتحاول ادخالها في عيني وفي واذنـــــي " .

ولغته تتراوح بين العامية والفصحى ، وهو يكثر من استعمال الكلمات العامية الدارجة لكي يقرب القارئ الى الريف ويثير فيه احساسا وشعورا عميقا وللمحافظة على التعابير والالفاظ التي يتبادلها ابناء الريف في احاديثهم كقوله : "وكانت الارض المحروثة المسهدة .. واحتج هو وبلعط بيديه محاولا الافلات ، وروح ضب اخواتك ، مشلبطات ودايرات مثل البساس في شباط " .

وما اخذه على محمد نفاع هو تكراره لكثير من العبارات والمترادفات وهذا بالطبع لا يخدم البناء القصصي بل يضعف ويقلل من قيمته .

اخيـرا نرجو لكاتبنا ورفيقنا محمد نفاع العمر المديد لكي يبقى يتحفنا بالقصـــص الحقيقية الصادقة التي تسجل وتصور الواقع في تطوره الثورى .

Digitized by Birzeit University Library

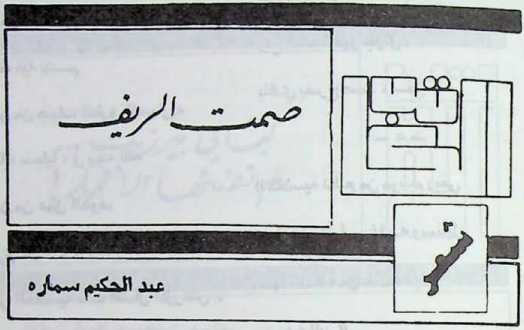

الى ابراهيم عمار

لعل الرؤيا عندي يا رفيقي الفصيح

لا ترد للتاريخ اعتباره

— أ —

قال : — صمت في الصمت وسكون وعتمه
مع صباح الريف الصاعد
من همس الفلاحين
انهض ...
ويكبر في الصمت الباسم
قال : — عمل في العمل وسكون وعتمه
أخرج من صمت الريف براقا
أعلو سحاب السهل
وغباري يلاحقني
في ظل براقي
يطاردني الطير الواعد
في الواد الذاهب نحو البحر
قال : — موت في الموت ، و ....
صمت في الصمت
والسكوت افضل ما يقال ..

— ب —

« تطلع الفلاحات الخلاسيات من دفء الموسم

Digitized by Birzeit University Library

وعلى كل صدر
طفل حالم ، نائم
كالريف فيه يتيـــم
يطلعن من جنبات الطرق الصباريه
عرايا ، سبايا ، فى وجه الله
يلطمن من عمق الخوف
عذارى كن . . . .
وتبكي الخلاسيه ذات الشال المزركش ،
يطلعن الخلاسيات يملأن القرية جحيم
يلطمن على الخد
يردحن هذا المصير
« يا باب الدار وانهدي
على طلع ما ردي »
يحمل هموم الدنيا
ولا من نصير
يحميه بالدفء من برد الزنزانه

من سوط كبير السجانه
قال : ــ قام أسعد جاب المدد
راح أسعد يدور جوال
ينادي يصرخ صمد ، سند

ــ ج ــ

« خلاسيه تطلع من موسم ريفي
تحمل على الرأس غلـــه وسنابل
عنقها قلادة ، من صدف البحر
من ودع البر »
الشعر جدائل
الثغر حالم
والنهد نائم
من تعب اليـــوم
من حر الجـــو
خلاسيه عينيها شهوانيتين
تحميني من غضب الريف

Digitized by Birzeit University Library

ليالي بيرزيت ... لم تضئها الأقمار!

بقلم : محمد البطراوي

في الاول من آب، الماضي ابتدأ مهرجان ليالي بيرزيت داخل ساحة حرم الجامعة القديم وكان برنامج المهرجان موزعا بحيث يعرض على مدار شهر آب سهرات تتضمن الغناء والدبكة والمنوعات الغنائية والمسرح. وشهدت الساحة ايضا هيكلا ضخما من البولستربن يمثل من الخارج شكلا لجدران حجرية واطلق على هذا الهيكل اسم القرية الفلسطينية، وعرضت داخل هذه القرية بعض الفعاليات القروية وأشكال الحرف السياحية ولوحات تشكيلية .

ايـــن الجامعـــــة ....؟

عودتنا جامعة بيرزيت في السابق اقامة يوم سوق عكاظ الذى كان يتبارى فيه طلاب الجامعة في الابداع الادبي والثقافي ، وكانت سوق عكاظ هذه تمثل ، في رأيي ، حدثا متميزا جدا بالنسبة لدور جامعة بيرزيت بالذات بصفتها أوفر جامعة في العالم العربي ديموقراطية واكثرها حرصا على نمو الطاقات العقلية الابداعية لطلابها .. وقد عرفنا عددا من الادباء

Digitized by Birzeit University Library

والكتاب المعروفين اليوم اول ما عرفناهم على منابر تلك السوق .. وقد حسبت ان مهرجان (الليالي) هو شكل اوسع وأكبر وأكثر تطويرا لشكل تلك السوق. ولكن الامر كان على نقيض ذلك تماما.

ان اخشى ما اخشاه ان ينقلب التقليد في جامعة بيرزيت الى هذا الشكل من المهرجان ملغيا تلك السوق، وملغيا تلك الخصوصية المتميزة لجامعة بيرزيت بصفتها الريادية اولا ، وصفتها الفلسطينية ثانيا وصفة المواجهة اليومية التي تعانيها كل جامعاتنا المحلية مع سلطات الاحتلال ثالثا . اين دور الجامعة في المهرجان؟ .. اين دورها كمصدر ابداع غني له الاثر البارز والهام في حياتنا الثقافية ؟ اين الثقافة في المهرجان ؟ ... هل دور الجامعة هو تنظيم لقاءات الفرق وحشد الجماهير وتنظيم اوقات العرض، وتدبيج الخطابات في مدح الفرق التي تقدم (اعمالها) كل مساء ؟ كثيرون يتحدثون بخيبة امل ورثاء لدور الجامعةالثقافي في هذا المهرجـــــان .

وأخشى ان يمتد تقليد (الليالي) الى جامعات اخرى، فنسمع عن ليالي بيت لحم وليالي نابلس وليالي غزة وليالي الخليل، خصوصا وأننا عرفنا من قبل (ليالي رمضان) في رام الله. اخشى ان يغني كل على (ليله) كما يقول مثلنا العامي، وأن تصبح المنافسة هي الدافع الاول وراء احياء الليالي والمواويل ويضيع دور الجامعة كليا في حمى المنافسة، وتبرز على الساحة الثقافية بدائل جديدة تتمثل في الغناء والدبكة وما الى ذلـــك .

وهل يكفي ان نغلف هذه الليالي في بداية كل سهرة بشعارات سياسية، ثم نقدم فنا عاديا مكرورا نراه كل يوم وفي كل الاماكن. ليس الدبكة والغناء وحدهما بعض اشكال الهوية الفلسطينية ، هنالك الكثير من الاشياء ، التي تتشكل بها الشخصية الفلسطينية وأهمها العقل والثقافة والنضال الوطني وديمقراطية العلاقـــة ...

ان دور الجامعة هو دور العقل والفكر والابداع في مجالات متعددة قد يكون آخرها الغناء والدبكة .. فأين دور الجامعة الحقيقي في هذه الليالـــي ؟

"بويبلـــــو"

"بويبلو "هو اسم يطلق على القرى الهندية في اميركا الشمالية ويأتي المتفرجون من كل الانحاء لمشاهدة الحياة الهندية المندثرة ، فيرون في احد البيوت امرأة تعد الخبز، واخرى تطهو انواعا غريبة من الاطعمة النفاذة الرائحة وثالثة تحيك بساطا او ثوبا .. ويرون اشخاصا يعكفون على صناعة عقود الخرز الملون وصنع السهام وأغطية الرأس المريشة .. وتلمع كاميرات الزوار ويتبادلون الابتسامات ويشترون بعض التذكارات وينصرفون سعـــداء .

Digitized by Birzeit University Library

ان الغالبية العظمى من ابناء شعبنا هنا يعيشون في قرى ويمارسون حياة القرية .. ويعيشون على الزراعة ،ويعرفون كل دقائق الحياة في القرية بدءا بالمعصرة والمحراث وانتهاء بالطابون والمسخن واقراص الزعتر ... لم تصبح قرانا " بويبلو " هندية اخرى ... هل غابت هذه الحقيقة عمّن فكروا بانشاء "القرية الفلسطينية" ضمن فعاليات المهرجان ؟ واذا كان الامر كذلك .. فهل القرية هي ذلك الشكل من الحجارة المتراصة ؟ اليست القرية هي تلك الحياة في داخلها ؟ اين المعمار الداخلي لنمط حياة القرية ؟. اين اشكال الحياة الاجتماعية وعلاقات الناس في القريـــــة ؟

لم تكن قرية ، ولكنها كانت اكشاك معروضات جرى الاهتمام بمظهرها الخارجي بشكل سطحي للغاية .. وجرى الاصرار على انها القرية الفلسطينية وكأننا لم نعرف قرانا من قبل ولا نعيش فيها حتى يومنا هـــــذا .

أيـــن الجديـــــد ؟

كانت ليالي العروض المسرحية من الليالي التي استقطبت اهتمام المشاهدين ..ولكن كل العروض المسرحية قديمة سبق وأن شاهدناها في عروض وأماكن مختلفة من قبل .. كنت اعتقد ان المهرجان هو مناسبة جادة لتقديم اعمال مسرحية جديدة ، وأن يكون شرط الاشتراك هو تقديم الجديد . فيكون الحافز على الابداع قويا ويكون شكل المباراة مقبولا .

لا ادرى ان كانت فعاليات الغناء والدبكات هي الاخرى قديمة مكررة ، ولكنني لم اسمع ممن شاهدوها عن تقديم بعض الخطوات الجديدة المتميزة المطورة في الدبكات والرقصات ولم اسمع عن الحان واغان جديـــدة .

ولا ادرى ، تبعا لذلك ، ان كانت نتائج المهرجان قد ارضت فعلا مسؤولي الجامعة ، الحريصين على الدور الحقيقي لها في ارساء قواعد اشد صلابة للثقافة الجماهيرية . وأرجو ان لا تمر هذه (الليالي) عبثا دون مناقشة ومحاولة لايجاد اشكال افضل واقوم واكثر نجاعة لها في الاعوام القادمة . آخذين في الاعتبار ان النجاعة لا تكون في الكمّ وطول (الليالي) ومقدار الضجة الاعلامية والاموال المهدورة .

حقا لقد كانت (ليالي) ولكن لم تزينها الاقمـــار .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب العدد 53، 15 ايلول 1984

من أجل تجاوز أخطاء "ليالي بيرزيت" ١٩٨٤

بقلم : خريج

قبل اسبوعين انتهى المخيم التاسع للعمل التطوعي في الناصرة، محققا ١٢٠ مشروعا قدرت قيمتها بمليون دولار، بالاضافة الى كافة الفوائد الاخرى التي شملها عرس الناصرة في استقطاب العديدين للمساهمة في التصدى للنهج الفاشي المعادى للجماهير العربية في اسرائيل، فضلا عن توسع المشاركة من منظمات عالمية متعددة شاهدت على الطبيعة وكما اثار ممثل الوفد القبرصي مظاهر الفاشية والعنصرية في الجهاز الصهيونـــي .

وبينما كان المخيم التاسع في الناصرة ينجز مشاريعه المختلفة، كانت جامعة بيرزيت مشغولة بنشاط من نوع آخر، استحدثه مكتب شؤون الطلبة في الاساس ثم انضم اليه المجلس وهو ليالي بيرزيت " ، ولقد دلت الدعاية الكبيرة "لليالي" سواء في الاعلانات في الصحف والاماكن العامة او اللافتات والشعارات التي زينت الجامعة والحماس في توزيع اعداد كبيرة من بطاقات الدعوات، وشكل القرية الفلسطينية الذى صممه نخبة من المهندسين، على جهد كبير وواضح، كذلك على تكلفة مالية ضخمة، تجاوزت كما قدرها العديدون ممن لهم مسّ وليات متباينة بين الطلبة والموظفين بأكثر من ٤٠ الف دينار اردني، اى حوالي ١٠٠ الف دولار.

الجمهور الحاشد الذى أمّ ليالي بيرزيت وبهرته المناظر المكلفة العديدة في القرية، كما فاجأته الدعاية السياسية المباشرة خاصة بعض الشعارات التي جسّدت مرحلة من التخلف تجاوزها الشعب الفلسطيني على شاكلة " عالمكشوف وعالمكشوف .. شيوعي ما بدنا نشوف " دارت في ذهنه عشرات الاسئلة التي ما زالت حديث الشارع واولها التساؤل عن

Digitized by Birzeit University Library

المضمون الذى حكم هذا النشاط ، والفائدة النوعية التي اضافتها لنشاطات الجامعة ومجلس طلبتها المتنوعة ، وبالتأكيد فلن يؤخذ على محمل الجد الجواب الذى قدمه احد المعنيين بأن بيرزيت " اخترعت " اسبوع فلسطين " والان اصبح اسبوع فلسطين نشاطا عاما لكافة المؤسسات ولذلك فان الحاجة الى التقييد والتطوير تفرض "ليالي بيرزيت" كابداع جديـــــد .

والواقع ان جامعة بيرزيت لم تخترع "اسبوع فلسطين" بل ان هذا النشاط الذى نجح خلال سنوات عديدة في ان يربط كافة طلبة الجامعة بفقراته ، ويدفع كل واحد منهم لمعاملته كنتاج لجهده الشخصي وبالتالي انجاحه باروع الاشكال ، ونجاحه كذلك في ان يصبح مركز اهتمام لفئات عديدة من ابنا شعبنا والرأى العام على مستوى دولي ، كل ذلك كان نتاج حاجة موضوعية ، اقتضاها مزيج من الحاجة لتوظيف هذا النشاط في مسيرة الانتفاضات الشعبية وكذلك الطاقة الخلاقة لدى الطلبة واكثر فئاتهم تقدما ، ولهذا جسّد بالعمل الموحد نجاحات ملموسة جعلته مثالا تفخر مؤسسات عديدة باحتذائه لا تقليده كما دفع السلطة لمقاومته بمصادرة محتويات معارضه ، واعتقال مجالس الطلبة ، واغلاق الجامعة عدة مرات ، ووضع نقاط التفتيش على الطرق المؤدية لبيرزيت ، ومنع بعض المشاركين في فقراته من مغادرة مدنهم او قراهم في الايام المخصصة لفقراتهم ، ويدل شكل القمع والتحريض الذى واجهت به السلطة قبل اسابيع قليلة ، نشاط اسبوع فلسطين" في جامعة النجاح على احد مظاهر مقاومته كما دل عليه افتعال الحريق " في جامعة بيرزيت قبل عدة اشهر ".

وفي الخلاصة فان "اسبوع فلسطين" الذى فرضته حاجة ، يحمل في اسمه ومضمونه معنى تحريضيا ملموسا ولا ننكر ان من حق جامعة بيرزيت وبالاخص مجالس طلبتها المتعاقبة ان تفخر بهذا النشاط كابداع من صنع الطلاب اولا وقبل كل شيء ، وكثمرة للنشاط الموحد ايضا .

اما " ليالي بيرزيت" فهناك العديد من الاستفسارات عن معنى هذا العنوان ، وهل بهرتنا "ليالي جرش" ومسلسل التلفزيون الاردني "ليالي عمان" وغيرها من اشكال "الليالي" ولماذا هي ليالي بيرزيت تحديدا " وهل يكفي لاى جامعة او مؤسسة ترغب في تقليد "بير زيت ان تنشيء "ليالي" قراها ومدنها الخاصة فيصبح لدينا " ليالي نابلس الناجحة" وليالي بيت لحم" "وليالي غزة" "وليالي كوبر" ..... ، وكيف يمكن لمخيم الامعرى او الدهيشة مثلا ان يقيم "ليالي ونسية لمن من القرى او المدن التي كان يقطنها سكانه ؟ .. واهتمامنا الى هذا الحد بالاسم مرده الحرص على عدم الزلل ونحن ننشيء نشاطا له علاقة بالتراث ، من ان نفقد الرؤية الشاملة مشجعين دون ان ندرى على ظهور نزعات محلية ضيقة ترتبط بمفهوم رجعي للتراث ، بالاضافة الى ان نشاطا ضخما بهذا المستوى كان ينبغي ان يلقى الاهتمام الكافي كذلك في اسم يحمل معنى تحريضيا ومضمونا اكثر تعبيرا مما توحي به "الليالي" من الانس والاستقرار والسمر والهدوء ، ولو كانت الليالي في المناطق المحتلة كذلك لما علق عليها احـــد .

Digitized by Birzeit University Library

والجانب الاخر من المظاهر التي لفتت انتباه الجمهور ، مدى الحاجة الى تصميم "القرية الفلسطينية" ،الرائع ولكن المكلف كذلك ، وهل اصبحت "القرية الفلسطينية " من التراث الغابر حتى يعاد تصميمها في نشاط منفصل ، وما هي القيمة المراد توصيلها على شكل القرية الى سكان المناطق المحتلة او طلبة الجامعة والذين تفوق نسبة اهل القرى منهم ٧٠٪ من عدد السكان ، ويمكن لاى داخل الى بيرزيت من الشارع العام ان يرى مجموعة كبيرة من القرى على الطبيعة ايتما كانت وجهته ، هذا اذا افترضنا ان سكان المدن عندنا يجهلون تصميم القرية" ان التفكير بهذا النشاط مقصود به على ما يبدو جمهور من نوع آخر . من الاجانب او المغتربين منذ عشرات السنين ، ولكنه قطعا لا يضيف جديدا عن المظاهر الحية التي يشاهدها المواطن العادى في حياته اليوميـــــة .

وعلى ما يبدو فأن عدم التوازن في الاستفادة من الامكانيات المالية الضخمة من اكثر الامور الملحوظة في "الليالي" فبينما ترفع ادارة الجامعة اقساط الطلبة وتصر على ان يدفع الطلبة الاقساط الجديدة ابتداء من الفصل القادم ، تنفق الاف الدنانير وببذخ ظاهر ، وربما كان من الاجدر الانتباه الى عشرات المشاكل المالية التي تواجه طلبة الجامعة في اجور السكن الحادة وفي اثمان الكتب وغيرهـــا ...

واذا كان هذا من مسؤولية اصحاب حق التصرف بالاموال في الجامعة من ادارة وطلبة وهذه مفارقة بالقياس الى مسلسل الصمود الجارى في الضفة ،حيث من النادر ان يكون الخطأ في الصرف مسؤولية لا يتحملها تماما المسؤولون في عمان بل المسؤولون في بيرزيت ، الا ان ذلك على ما يبدو يعكس تمشيا من قبيل العادة مع سياسة الصمود ، والتي تعطي اهتماما كبيرا للجوانب المظهرية والشكلية بدل تقديم الدعم الحقيقي للصمـــود .

واخيرا فاننا لن نتوقف كثيرا عند العديد من الاستفزازات التي ميزت بعض الفقرات وادت اكثر من مرة لاستياء الجمهور بسبب التعصب الاعمى والتهجمات المباشرة على اشخاص وتنظيمات مناضلة ما زالت تواقيع الاتفاق على الوحدة معها حديثة العهـــد جـــــدا .

ان اى تجربة تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب ، ومن اجل تجاوز الخطأ نحو الصواب قدمنا هذه الملاحظـــــات .

Digitized by Birzeit University Library

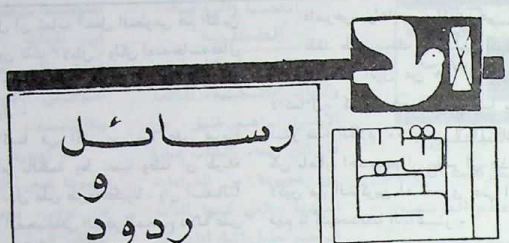

بكتبها : محمد البطراوي

● ما ان انهيت قراءة قصيدة "يوسف" وعرفت ان والد يوسف هو كاتبها حتى شعرت ان دمي يجري شلالا استمع الى خريره بكل خشوع واحترام ، وعدت مرة اخرى لاقرأ القصيدة لاحس بأحاسيس الوالد الذي يكتب عن لحظات صادقة من الحزن والفخر لاستشهاد ولده ، وتتبعت الصور واللوعة الصادقة ، فصار قلبي ثقيلا كحجر مرساة على شط الشيخ عوض في المجدل وأصبح شلال دمي يركض كخيول مزبدة في ساحة الجامع وحارة الطلسة وحارة زقوت وعلى طول الوادى غربا ثم عودة لساحة الجامع وسمعت صوت العبد طه الذى لا يغيب ابدا عن سمع المجدل منذرا مدويـــــا .

وزارني خيال حستي بلال شهيد المجدل الاول ليحدثني عن يوسف ؟ مؤكدا انهم يعيشون الان في المجدل ولكن القصيدة لم تظهر على صفحات الكاتب لظروف خارجة عن ارادتنا ، فمعذرة وكلنا سعادة لان الوالد خصنا بنبض فؤاده ، وما اعظمها وأكبرها من ثقـــة .

● صديق من جامعة غزة يرسل قصيدة بعنوان " علمني جدى " ويقول في بعض اجزائهـــا :

علمني جدى ان احرق اوراق التاريخ الخاسر لانير بها دربا صعبا ، لا بـد ، سأسلكـه " كم هو جميل ان نعرف كل التاريخ الخاسر ، وأن نحرق اوراقه ، حتى نسير ، على وعي ومعرفة ، بالمستقبل ، وكم هو جميل هذا المقطع من القصيدة ، وكم كنت اتمنى ان لو سارت كل القصيدة على هذا الشكل من الوعي والموسيقى ، ولكن القصيدة تفقد موسيقاها الداخلية ، فتقع في التبسيط والتفصيل لتظهر كلاما عاديا بعيدا عن جو التكثيف الذى يجب ان يصلنا من خلال المعاني الموحية التي تأخذ صفة جديدة داخل القصيدة الواحدة بعيدا عن المعنى القاموسي للكلمة ، فمعذرة واكتب لنا مرة اخـــرى .

● " بسواعد الاطفال سنحقق كل الامال " قصيدة يكتبها احد الاصدقاء وهو يقصد بالطبع

Digitized by Birzeit University Library

ان يقول ان شباب العمل التطوعي هم الذين سيحققون تلك "الامال ، ولكن لغته خانته فقال " بسواعد الاطفال" وطبيعي ان هذا امرا غير معقـــول .

اكدنا في اكثر من مرة على ضرورة الاهتمام بالكلمة وما تعنيه ،وقلنا ان طريقة كلامنا تدل على طريقةتفكيرنا ، وان استعمالنا للكلمة الصحيحةفي الموقع الصحيح دلالة على وضوح التفكيـــــر .

واضح ان صديقنا صاحب القصيدة واحد من الشرفاء العاملين على تغيير وطنهم ومجتمعهم الى الافضل ... ومن هنا فاننا ندعوه الى التفكير مرة اخرى في طريقة كتابتة، وان يهتم بالكلمة مثل اهتمامه بانجاز مشروع تطوعي ، لان اهتمامه بالكتابة واجادته لها هو خلق اديب جديد تجرى في عروقة دماء نبيلة جديدة ونحن في امس الحاجة الى هذا الاديـــب .

ونحن نأسف لاننا لم نستطع ان نجتزئ بعضا من القصيدة كنموذج يدل عليها، فمعـــذرة .

● ويكتب لنا احد الاصدقاء قصيدة بعنوان "ماذا وراء الصمت" يقول فيها :

« حبيبتـــي ...
لقد طال كبريائك بالصمت
وانت بعيدة عن الكبرياء
فـي قلبـــي
فبربـــك
اتؤمنيـن بحبـك ؟؟؟

فاصرخي واعلني برائتك عن الصمت فلقد طال صمتك ، وقتلني انتظـارك لا ادرى ماذا اقول عن هذا الكلام ، واني لاتساءل ، كيف توهّم الكاتب اننا يمكن ان ننشر هذا الكلام .. وانني لاسأل القراء اذا كان بامكان احدمنهم ان يفسر لي هذا الكلام لاكون من الشاكرين له لعجزى حتى الان عن فهم ما كتبهصديقنا الشاعـــر .

وانني لاستميح القارئ عذرا لانني اوردت الجزء الذى استشهدت به من القصيدة بكامل اخطائه اللغوية والاملائية . هذه الظاهرة التي يعاني منها شبابنا ، والتي تـدل على الجهل المطبق لدىالكثيرين باللغة ذاتها وطريقة تدوينها وكتابتها ولعلنا في اعداد قادمةنتوسع في الحديث عن هذه الظاهـــرة .

نحن مع المبتدئين ، وسيجدون حتما مكانا رحبا لهم في مجلة " الكاتب" وشرطنا الوحيد ان يكونوا مبتدئين حقا بعد ان تزودوا بالكثير من المعرفة عن الشعر والفن ووعي دور التاريخ في تفجير الطاقات الكامنة في الادب من خلال معرفته لحركة المجتمع ... اما الحديث عن الحبيبة والكبرياء والاستشهاد بقول قباني "ان اكثر من عشرين الف امرأة احببت" كما يقول صديقنا فيقصيدته ، فلعل الصديق يتفق معنا ان هذا النوع من الكلام نوع من احلام اليقظة التي تقتل الابداع الحقيقي المرتبط بتغيير الحياة ، والانطلاقالى الحب الحقيقي الذى لا يمكن ان يتحقق الا في وطن حـــر وشعـب سعيـــــد .

Digitized by Birzeit University Library

النهـــج

دفاتر الماركسية اللينينية في العالم العربـــي

==========

وصل الى مركز ابحاث مجلة الكاتب العدد الرابع من المجلة الفصلية النظرية "النهج" التي تصدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي تقع في ثلاثمائة وثمانية وخمسين صفحة من القطع الكبير ،وتتضمن عدداً كبيراً من الموضوعات الهامة التي تهم القارئ ، منها الحلقة الاساسية في نضال الشيوعيين اليوم ، الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية والقضية الفلسطينية ، الثورة الوطنية الديمقراطية والتجربة اليمنية ، بالاضافة الى قضايا راهنة ، ودراسات وابحاث ومدارات فكرية وتقارير عن الحركة الشيوعية ، ووثائق تضمنت برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ، الذي اقره المؤتمر الاول للحزب الذي انعقد في الربع الاخير من عام ١٩٨٣ كما هو وارد في الوثائق المذكـــورة .

القصـة والروايـة الفلسطينية

صدر في عمان كتاب القصة والرواية الفلسطينية ، للكاتب الاردني ابراهيم خليل ، عن دار ابن رشد ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الدراسات النقدية التي كتبها الناقد ابراهيم خليل اثناء اقامته في المغرب ، وقد تناولت عددا من القصص الفلسطينية ، والاعمال الروائية المهمة

غوركـي والمـرأة

==========

وعن نفس الدار صدر في عمان للدكتور عبد القادر الشيخلي كتاب ـ غوركي والمرأة ـ يتناول فيه السيرة الذاتية للكاتب الروسي المعروف مكسيم غوركي ، بالاضافة الى احوال المرأة في روسيا القيصرية متناولا حضور المرأة في أدب الكاتب الروسي الكبيـــر .

كتـب بالروسيـة

==========

موسكو ـ صدرت باللغة الروسية مجموعة كتب عربية ، ضمن سلسلة من المطبوعات التي تنشط دور النشر السوفييتية بترجمتها واصدارها في طبعات انيقة ومتقنة تهدف الى تعريف القارئ السوفييتي بالتراث العربـي وثقافتـــه .

فقد اصدرت دار " ناووكا " مجموعة قصص بالروسية لكتاب من تونس ، محمد الجروسي مصطفى الفرسي ، وحسن نصر بعنوان "دهاليز الليل" ، كتبت القصص بأساليب فنية متنوعة ومختلفة ، الا انه يجمع بينها التلوين القومي ، والتجاوب مع ايقاع الكوكب الارضي ، وامام القراء تتوالى حياة الشعب التونسي مع همومـــه وآلامه واحلامه وآمالـــه .

كما صدرت مجموعة قصص قصيرة ، بعنوان "رياح الخليج" عن دار ناووكا ، لمجموعة من الكتاب العرب من الكويت والعربية السعودية والبحرين ، ومجموعة اخرى لكتاب عراقيين معروفين ، موضوع القصص يتمحور حول القضايا التقليدية في الادب العربي والقضايا الجديدة الناجمة عن التحويلات الاجتماعية والاقتصادية في هذه المنطقة .

من جهة اخرى ، فقد اصدرت دار " ناووكا ـ العلم ـ كتابا عن حياة ونشاط عالم الرياضيات والفلكي والجغرافي والمؤرخ الفذ الخوارزمي ،

Digitized by Birzeit University Library

الذى عمل في بغداد في النصف الاول من القرن التاسع ويعتبر الخوارزمي مؤسس علم الجبر، وقد وضع اول مؤلف في مواضيع الجغرافية وتاريخ وعلم الفلك .

لا زلنا نحن الفقراء اقدر الناس على العشق

==========

بادرت اللجنة العليا للعمل التطوعي بالضفة الغربية والقطاع بأصدار المجموعة القصصية" لا زلنا نحن الفقراء اقدر الناس على العشق"، للقاص اسامة محيسن العيسة وهي باكورة انتاجه، وقدم لها صالح زقوت وضمت اربع عشرة قصة قصيرة تقع في واحد وسبعين صفحة من الحجم الصغير اما الغلاف الخارجي واللوحات الداخلية فهي من تصميم الفنان الفلسطيني خالد الحوراني .

كتب وقراءات

=========

صدر عن جمعية الدراسات العربية بالقدس "مجلة الكتب" من اعداد د.برنارد سابيلا وغسان عبدالله، وجاء في كلمة الجمعية" ان الجمعية اعدت هذا الكتاب بهدف اعطاء المثقفين والدارسين والباحثين في بلادنا فكرة عامة عن الكتب والمؤلفات التي تصدر في مختلفة انحاء العالم وتعالج مواضيع سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في الشؤون الفلسطينية والاسرائيلية والعربية والدولية والمجلة عبارة عن مجموعة من المقالات ،وتقع في مئة وست وعشرين صفحة من الحجم المتوسط .

طيور نفي ترتسا

==========

عن مكتبة الفاهوم بالناصرة صدر كتاب طيور نفي ترتسا للمحامي وليد الفاهوم ، يتحدث الكتاب عن واقع السجينات الفلسطينيات في سجون النساء الاسرائيلي – نفي ترتسا – من خلال الانطباعات التي خرج بها المحامي الفاهوم طوال فترة طويلة عاشها متفرغا للدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية، الجدير بالذكر ان المحامي الفاهوم كان قد اصدر كتابا آخر بعنوان، " لا بد للقيد ان ينكسر" تناول نفس الموضوع رغم اختلاف التوجه، وبهذا الكتاب ، يكون المحامي وليد الفاهوم قد اضاف الى المكتبة العربية كتابا جديدا قيما تعتبر المكتبة العربية بحاجة ماسة اليه .

ثلاثة ابحاث صادرة عن نقابة المحامين – القدس

==========

صدرت عن نقابة المحامين – مركز القدس ، ثلاثة ابحاث قانونية اثنين من اعداد المحامي مرسي حجير احدهما بعنوان : "تحليل للامر العسكري ١١٠٨" الذى ناقش الكاتب خلاله ابعاد وملابسات هذا الامر العسكري الذى يفرض على من يرمي حجرا عقوبة بالسجن لمدة تتراوح بين ١٠ – ٢٠ سنة . والثاني بعنوان : "حقوق العمال العرب في الضفة الغربيةفي ظل الاوامر العسكرية الاسرائيلية" يحتوى مقارنة بين حقوق العمال العالمية والاوامر العسكرية الاسرائيلية التي تحدد حقوق العمال العرب .

اما البحث الثالث فهو بقلم المحامي عمر ياسين ، الذى يتناول فيه موضوع اضراب المحامين ،ويناقش اعتراضات المحامين العاملين ضد الاضراب .

النظام القانوني في الضفة الغربية

==========

اعد المحامي مترى ابو عطية في حزيران ٨٤ دراسة حول "النظام القانوني في الضفة الغربية" تقع في ٢٥ صفحة من القطع المتوسط يتناول فيها الاوضاع القانونية في الضفة الغربية والتعديلات التي طرأت عليها والعلاقة بين مختلف السلطات .

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

خالد الحوراني

-KATEB
Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
53 الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library